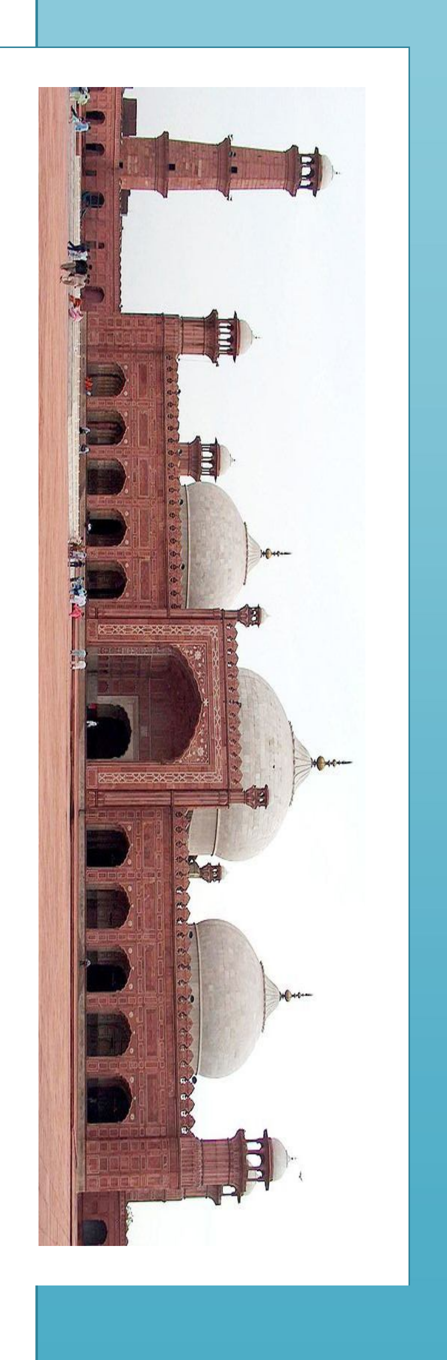
عالمكير الأول

"اورانك زيب"

إمبراطور الهند الكبير

دراسات تاريخية





أ.د.أحمد محمد الجوارنه

قسم التاريخ - جامعة اليرموك

١٤٣٥هـ/٢٠١٤م

النسخة الألكترونية

نقدمها للقراء الأعزاء لكي يطلعوا

على مآثر المسلمين في الهند

وفي مقدمتهم الإمبراطور "محي

الدين محمد اورانك زيب"

١٤٣٥هـ/٢٠١٤م

الإهداء

الى اولئك الذين يتطلعون الى
العودة بالمسلمين الى
أمجادهم العظيمة ، يؤمنون
بوحدة الأمة وترابطها
وتماسكها وحريتها وسيادتها
على العالم

عالمكير الأول (اورانك زيب)

المقدمة

- حياته ووفاته
- على عرش الهند
- سياسة الإمبراطور عالمكير الأول (اورانجزيب) الدينية
- إدارة الولايات الهندية (حكام الولايات)
- المؤرخون والتدوين التاريخي في الهند
- البعثات الدبلوماسية في عهد اورانجزيب
- صورة المدينة الاسلامية ابان عهد اورانجزيب

المقدمة

كان لي شرف دراسة تاريخ الإسلام في شبه القارة الهندية (باكستان والهند) في جامعة كراتشي الباكستانية ، بدأت دراسة المر حلة الجامعية الأولى سنة ١٩٧٩، وأنهيت درجة الدكتوراه سنة ١٩٨٨ ، حيث تناولت الأطروحة تاريخ المسلمين الاقتصادي والاجتماعي في الهند في عصر دولة المغول منذ سنة ١٥٥٦ – ١٧٠٧م ، وتعرفت على تاريخ الملك المغولي "اورانك وزيب" معرفة جعلتني ألم بمعظم مصادر تاريخ المرحلة المعاصرة ، بالإضافة الى الدراسات الحديثة التي تناولت بالبحث والتحليل والتمحيص تاريخ هذا الإمبراطور المغولي الكبير ، وكشفت لنا تلك المصادر التي سأستعرضها لاحقا ، كشفت عن قائد موهوب وزعيم محترف في السياسة والإدارة والحكم ، بل وكان من الطراز الرفيع في إدارة شؤون الدول ، ناهيك عن دولته مترامية الأطراف كثيرة الأديان والمذاهب ، غزيرة الثقافات واللغات ، متنوعة التضاريس ، ومختلفة الأعراق ، متباينة المناخات والألوان ، هي الهند ، التي حكمها برمتها قرابة احدى وخمسين عاما (١٠٦٨هـ/١٦٥٨م – ١١١٨هـ/١٧٠٧م) ، واذا كان أسلافه هم من أرسى قواعد الحكم المغولي في الهند بأساليبهم السياسية المتنوعة ، وطرائقهم الفكرية والعقائدية المختلفة ، فحققوا بتلك السياسة انجازات كبيرة تاركين وراءهم آثارا عميقة في ثقافة الهند وفكرها ومعتقداتها ، فان الملك "اورانك زيب" هو الزعيم المسلم الوحيد الذي نجح اولا في اخضاع كافة اراضي الهند واقاليمها ، وانه هو الذي ارسى روح العقيدة الإسلامية في ربوع الهند ، وله الفضل الكبير في ترسيخ عقيدة الإسلام في الوسط الاجتماعي الهندي ، فقد قسم الهند الى ولايات بلغ

عـددها احـدى وعشـرون ولايـة توزعـت علـى باكسـتان والهنـد وافغانسـتان وكشمير ونيبال وحتى سيريلانكا في اقصى الجنوب .

محـي الـدين محمـد اورانـك زيـب ، ابـن الملكـة "ارجمنـد بـانو بـيكم" الشـهيرة بـ"ممتـاز محـل" التـي ترقـد تحـت الثـرى فـي ذلـك الصـرح المعمـاري الرهيـب والمهيـب المسـمى بـ"تـاج محـل" ، تلـك الملكـة التـي عاشـت حيـاة مغمـورة بالبـذخ والرفـاه والأهبـة والفخامـة ، تنعمـت فـي عـرش المغـول ايمـا تنعـيم ، وفاقـت ملكـات العـالم بـذلك النعـيم ، وأي فخامـة وخـيلاء اعظـم شـأنا مـن ذلـك الصـرح العظـيم ، الـذي بنـاه شـاهجيهان" تكريمـا وتعظيمـا وتخليـدا لزوجتـه التـي أحبهـا حبـا جمـا ، وعشـقها عشـقا كبيـرا ، فـي ظـل هـذه الظـروف المفعمـة بالبـذخ والرفاهيـة ولـد "وترعـرع الأميـر"اورانـك زيـب" ، اذ لـم يكـن مـن المتوقـع ان يكـون هـذا الأميـر ملكـا مصـلحا للهنـد وراعيـا للإسـلام فـي ربوعهـا ، ومجـددا للـدين وعلمائـه وفقهائـه وعلومـه ، امـا وانـه اصـبح ملكـا ، ورفـع شـعار الإصـلاح الـديني والسياسـي والاجتمـاعي والأخلاقـي ، وأخـذ بالهنـد الـى بـر الأمـان الإقتصـادي والسياسـي ، لتبلـغ الهنـد فـي عصـره شـأوا عظيمـا لـم تبلغـه دولـة مـن قبـل ولـن تبلغـه دولـة سـتأتي مسـتقبلا ، فانـه بـذلك يكـون اعجوبـة الزمـان ونـادرة العصـر ، وانـه نسـيج وحـده ، ولا ينفـع مقارنتـه بزعمـاء آخـرين ، ولا يمكـن جعلـه مثـل غيـره مـن خلفـاء المسـلمين ، لأن البيئـة والمجتمـع والثقافـة والجغرافيـا التـي حكـم فيهـا اورانـك زيـب تختلـف تمـام الاخـتلاف عـن بقيـة العصـور والأمـاكن التـي حكمهـا غيـره مـن زعمـاء المسـلمين ، واذا كـان الـبعض يرغـب بتسـميته الخليفـة الراشـد السـادس ، فـان ذلـك لا يجـوز مـن الناحيـة التاريخيـة والواقعيـة ، فـالظروفـالتـي عاشـها الخلفـاء الراشـدون فـي جزيـرة العـر ب غيرهـا في شبه القارة الهندية .

جـاء هـذا الكتـاب نتيجـة جهـود كبيـرة وممتـدة عبـر السـنوات والأعـوام ، وقـد ترسـخ فـي فكـري ضـرورة كتابـة مؤلـف خـاص عـن الملـك المغـولي "اورانـك زيـب" ، حيـث اسـتهوتني شخصـيته الفـذة وبراعتـه الفريـدة فـي حكـم شـبه القـارة الهنديـة

المليئــة بالأديــان والأفكــار والمتناقضـــات واللغــات والثقافــات والألــوان والأعــراق والأجنـاس ، كمـا اسـتهوتني شخصـيات اسـلامية اخـرى كـان لهـا نصـيب موفـور فـــي حكـــم الهنـــد ، امثـــال "محمـــد بـــن القاســـم الثقفـــي" و" الســـلطان محمـــود الغزنــوي"و" والســلطان عـــلاء الـــدين الغـــوري" وغيـــرهم ، بـــل دفعنـــي اعجـــابي الكبيـــر بشخصـــية "اورانـــك زيـــب" الـــى كتابـــة مجموعـــة مـــن الأبحـــاث العلميـــة المحكمـــة عـــن تلـــك الشخصـــية والتـــي نشـــرتها فـــي مجـــلات علميـــة محكمـــة ، ورأيـــت ان أجمعهـــا وأضـــيف اليهـــا موضـــوعات اخـــرى لتكـــون كتابـــا وافيـــا عـــن تـــاريخ "اورانـــك زيـــب" ، وبـــذلك يكـــون اول منـــتج علمـــي باللغـــة العربيـــة بصـــورة كتاب متكامل عن ملك كبير وزعيم ألمعي .

امـــا المصـــادر التاريخيـــة التـــي اســـتقيت منهـــا كامـــل المعلومـــات التاريخيـــة حـــول عصـــر الملـــك "اورانـــك زيـــب" فهـــي كثيـــرة ومتنوعـــة ، مـــن اهمـــا واكثرهـــا موضـــوعية كتـــاب "**مـــآثر عـــالمكيري**" للمـــؤرخ المعاصـــر "ســـاقي مســـتعد خـــان" ، يعتبـــر كتـــاب " مـــآثر عـــالمكيري" مـــن المصـــادر التاريخيـــة الهامـــة التـــي قـــدمت دراســـة مختصـــرة ومستفيضـــة فـــي نفـــس الوقـــت لعصـــر الامبراطـــور "اورانـــك زيـــب"، وقـــد ألفـــه المـــؤرخ الهنـــدي محمـــد ســـاقي مســـتعد خـــان، ســـنة ١١٣٢هــ/١٧١٠م، وذلـــك بـــأمر مـــن عنايـــة الله الكشـــميري وزيـــر الدولـــة المغوليـــة فـــي عهـــد الملـــك محمـــد شـــاه ابـــن اورانجزيـــت، علـــى أن المـــؤرخ كـــان يعمـــل " وقـــائع نـــويز" أي كاتبـــا للوقـــائع والأخبـــار فـــي بـــلاط المغـــول فـــي الهنـــد، والكتـــاب يشـــتمل علـــى أخبـــار أربعـــين ســـنة مـــن ألم اورانجزيـــت، فـــي حـــين دو ّ ن المـــؤرخ ميـــرزا محمـــد كـــاظم القزوينـــي العقـــد الأول مـــن عهـــد ملـــك المغـــول، وذلـــك بـــأمر ملكـــي، و جـــاءت تحـــت مســـمى " عـــالمكير نامـــة" إلا أن الملـــك أوقفـــه عـــن إكمـــال هـــذا المشـــروع، بـــدعوى انـــه كـــان يكـــذب فـــي كثيـــر مـــن الروايـــات كمـــا أشـــار إلـــى ذلـــك ســـاقي مســـتعد خـــان[٨]،والنســـخة التـــي بـــين أيـــدينا مترجمـــة إلـــى اللغـــة الإنجليزيـــة عـــن اصـــل المخطـــوط الفارســـي الـــذي دون فيـــه الكتـــاب، وقـــد قـــام علـــى نقلـــه إلـــى الإنجليزيـــة البرفسور الهندي سيرجادوناث سركار Jadunath Sarka عضو المجمع

التـاريخي الهنـدي، وزميـل المجمـع الآسـيوي البنغـالي، ومـن مشـاهير المـؤرخين الـذين سـلطوا الأضـواء بأبحـاثهم ودراسـاتهم علـى تـاريخ الهنـد فـي عهـد الملـك اورانجزيـب، قـدم عشـرات الابحـاث والمؤلفـات والترجمـات ويعتبـر كتابـه الشـهير بـ" تـاريخ اورانجزيـب" (History of Aurangzib) والـذي يقـع فـي خمسـة مجلـدات مـن الحجـم المتوسـط مـن أعمالـه الخالـدة فـي هـذا المضـمار ،بينما صـدرت أول ترجمـة " لمـآثر عـالمكيري" فـي مدينـة كلكتـا "Calcuta" سـنة ١٩٤٧م، ثم أعيد نشره سنة ١٩٨١م في مدينة لاهور (باكستان).

أما المنهج التاريخي الذي استخدمه ساقي مستعد خان فيغلب عليه الاختصار الشـديد للأحـداث المتعلقـة بعهـد الإمبراطـور اورانجزيـب، إلا انـه رغـم ذلـك يسـلط الأضواء على كافة الجوانب ذات الأهمية السياسية والإدارية، وعند مطالعتنا للكتاب نجده يتحدث عن، المعارك والحروب، وتقاليد الدولة في الاحتفالات الرسمية بمناسبة سنة الجلوس على العرش ، ومولد الامبراطور وفقا للتقويم الشمسي والقمري، وكذلك العادة المتبعـة عنـد ملوك المغول فـي هذه المناسبات، من تـوزين أنفسـهم بـالميزان مقابل الذهب والفضة، وتوزيعها علـى الرعيـة والمسؤولين، وتعرض بشكل شامل إلـى المناصب السياسية والإداريـة والدينيـة والعسكرية للدولـة، ومما يعطـي هذا المصـدر الأهميـة الكبـرى، انـه كـان يعطـي الأسـماء التـي يـتم تعيينهـا وتنصـيبها موضـحاً ذلـك باليوم والشهر والسنة بدقة متناهية.

اما كتاب "**منتخب اللباب** " للمؤرخ محمد هاشم علي خان الشهير بخافي خان ، من المؤرخين الهنود الذين اهتموا بدراسة وتدوين تاريخ الدولة المغولية في الهند ، وخافي خان ، وا ٍن لم تكشف المصادر التاريخية عن انه مؤرخ رسمي للدولة المغولية ، إلا أنه يبقى من المؤرخين الذين نالوا حظاً وافراً من الرعاية الاهتمام من قبل ملوك المغـول المسـلمين ، فقـد حظـي خـافي خـان بخدمـة الملـك اورانجزيـب ، وعينـه فـي مناصـب سياسـية وعسـكرية عليـا ، فقـد عمـل بديـة الأمـر موظفـاً لتـدوين الوقـائع

والأخبار عند عبد الرزاق خان رئيس ميناء سورات ، وكذلك عُين سفيراً من قبل حاكم إقليم الكجرات وبأمر من الملك ، للتوجه إلى ميناء بومباي للتفاوض مع الإنجليز هناك ، حيث ترأس المفاوضات التي جرت بين دولة المغول والإنجليز ، على خلفية الصراع الذي نشأ بينهما وما تسببه إنجلترا من مضايقات للمغول ومصالحهم التجارية والاقتصادية في ذلك الميناء.

ألّف كتابه في تاريخ الدولة المغولية ، والذي أشتهر بـ "منتخب اللّباب " وهو مصدر تاريخي معاصر ، تتلخص فوائده في معرفة تاريخ الإسلام في الهند في فترة الحكم المغولي ، جاء في جزأين ، عالج الجزء الأول تاريخ تيمورلنك وذريته ، وصولاً إلى بابر وهمايون واكبر وجهانكير وشاهجهان ، أما الجزء الثاني فخصص لعصر الملك اورانجزيب ، مع بعض الانتقادات التي وجهها خافي خان والمتصلة ببعض مواقف اورانجزيب السياسية والإصلاحية. الأمر الذي يجعلنا نميل إلى اعتبار هذا المؤرخ من غير المؤرخين الرسميين للدولة المغولية ، وربما يكون موقفة النقدي من ملك المغول، هو الذي دفع العديد من المؤرخين إلى دراسة مؤلفة وترجمته والاعتماد عليه في البحوث والدراسات ذات الصلة بعصر الملك اورانجزيب . وقد حرر الكتاب بجزأيه ، مولانا كبير الدين احمد ، وقام على نشره المجمع البنغالي الآسيوي في سلسلة المؤلفات الهندية وذلك سنة 1868م ، وقام المستشرق الإنجليزي اليوت (Elliot) بترجمة الجزء المتعلق بعصر الملك اورانجزيب ، وخلفائه .

وكتاب "**عالمكير نامه**" للمؤرخ ميرزا محمد كاظم بن محمد أمين القزويني ، ابن المؤرخ الشهير أمين بن أبي الحسن القزويني ، مؤلف "بادشاه نامه" في سيرة الملك شاهجهان ، تقرب محمد كاظم إلى الملك اورانجزيب ، وحضي عنده بالمراتب العالية ، وعينه مشرفاً عاماً على قسم النفقات في بلاط الدولة المغولية (Bakhshi Paymaster)، وعينه أيضاً مؤرخاً رسميا للبلاط ، وأمره بتأليف كتاب جامع

وشامل لسيرته وتاريخ إمبراطوريته ، ونزولاً عند رغبة الملك ، شرع محمد كاظم في تدوين كتابه الشهير بـ "عالمكير نامه ، Almaqir Nama " ، وقد أتم تدوين وقائع وحوادث العقد الأول من عهد اورانجزيب (1069هـ/1659م – 1079هـ/1669م) ثم أمر الملك بمنعه من إكمال كتابه ، بدعوى انه يكذب في كثير من رواياته التي اعتمدها في "عالمكير نامه"، أكد على ذلك المؤر خ المعاصر ساقي مستعد خان ، بينما يؤكد المؤرخ الهندي سركار (Sarkar) في مقدمته على كتاب "مآثر عالمكيري" ، أن القزويني وعد انتهائه من تدوين العقد الأول من سيرة الملك اورانجزيب ، أمر الملك بتقليص نفقات الدولة ، وأغلق دائرة النفقات الرسمية ، والتي كان القزويني مسؤولاً عنها بسبب النقص الكبير في الموارد المالية.

كان الملك اورانجزيب قد أمر المؤرخ القزويني بتسليم صفحات الكتاب التي يفرغ منها إليه ، وذلك لمراقبة دقة المعلومات عنده ، فإما أن يوافق عليها الملك أو أن يرفضها ، وعلى الرغم من الموقف المتشدد الذي اتخذه ملك المغول تجاه القزويني ، ومنعه من إكمال مؤلفه التاريخي ، إلا أن "عالمكير نامه" يبقى من المصادر التاريخية المعاصرة الهامة التي غطت حُقبة تاريخية مميزة من عهد الملك المغولي ، بكل تفاصيلها ووقائعها وأحداثها ، وقد برزت أهمية المصدر عند المؤرخين الذين ابدوا عناية كبيرة به وبموضوعاته كالمؤرخ ساقي مستعد خان والمؤرخ خافي خان ، والمؤرخ بختاور خان العالمكيري وغيرهم .

اما الرحلات الأجنبية الى الهند في عصر "اورانك زيب" فجاءت رحلة الرحالة الفرنسي " بيرنير Bernier" المعروفة باسم " رحلة في إمبراطورية المغول ١٦٥٦-١٦٦٨م" ، حيث تعتبر من اهم الرحلات الأجنبية الى امبراطورية المغول في الهند ، مكث يعيش في دولة المغول قرابة اثنتى عشرة عاما متواصلة ، طاف في عموم المدن الهندية ، وصف المجتمع الهندي وصفا دقيقا ، ودون العمارة الاسلامية في

الهند ، من أبرزها حديثة المفصل عن "قلعة أكرا" وقلعة "دلهي" ومساجدها ، كما اعطى وصفا سحريا ممتعا لـ"تاج محل" ، كما تطرق الى الاحوال الاقتصادية وتجارة الهند مع اوروبا والعالم ، وذكر الاسواق والبضائع والأسعار والعملات والموازين وغيرها ، اما رحلة بيرنير، فقد حازت على شهرة عالمية كبيرة، دفعت بالباحثين والمهتمين إلى دراستها وتحليلها ونقدها، لا سيما المؤرخون الهنود، وكل المعنيون بتاريخ المغول المسلمين في شبه القارة الهندية في القرن السابع عشر الميلادي، تقع الرحلة في اربعمائة وسبع وتسعون صفحة من الحجم المتوسط، مترجمه إلى اللغة الانجليزية، حيث ترجمت على يد المؤرخ الانجليزي ارفن بروك (Irvine Brock)، والتي صدرت طبعتها في كلكتا في جزئين سنة ١٨٦٦م، ثم قام بترجمتها المستشرق ارتشيبالد كونستابل "Archibaled Constable "، ثم جاءت الطبعة الهندية الاولى الحديثة سنة ١٩٨٣م، في نيودلهي ، وهي النسخة التي اصدرها وعلق عليها وقدم لها المستشرق فنسينت سميث (Vincent Smith).

الرحالة الفرنسي، نيكولا مانوسي (Niccolao Manucci) مؤلف كتاب "تاريخ المغول (Storia du mogor)" في اربعة مجلدات ١٦٥٣-١٧٠٨م، ترجم الكتاب إلى الانجليزية المؤرخ وليام ارفن (William Irvine)، ونشره في لندن سنة ١٩٠٧م، قضى هذا الرحالة معظم ايام حياته في الهند، ودخل في خدمة الامير دارا شيكوه ابن شاهجهان، وطلب منه الدخول في خدمة اورانجزيب فأبى ثم دخل في خدمة الامير شاه عالم ابن اورانجزيب سنة ١٦٧٨م، وتوفي سنة ١٧١٧م ، تميزت رحلة مانوشي عن غيرها من الرحلات باهماماتها الواسعة والعميقة بعادات المجتمع الهندي .

اما الدراسات الحديثة فيأتي في مقدمتها أعمال المؤرخ الهندي الكبير "جادوناث سركار Jadunath Sarkar" الذي تفرغ لتدوين تاريخ ومآثر الإمبراطور

المغولي "اورانك زيب" ، حيث صدر له او كتاب تحت عنوان " هند اورانك زيب " "India of Aurangzeb" ، سنة ١٩٠١م ، ثم صدر له اهم مؤلفاته وهو "تاريخ اورانك زيب" في خمسة مجلدات ،سنة ١٩٢٤م ، وهو افضل ما كتب عن "اورانك زيب" باللغة الإنجليزية ، حيث اعتمد على المصادر الفارسية الأولية ،واستغرق "سركار" على تأليفه قرابة ٢٥ سنة من عمره ، وقضى المؤرخ الهندي الشهير من عمره ٢٥ سنة أخرى في تأليف كتابه الشهير " سقوط الإمبراطورية المغولية" ، صدر سنة ١٩٥٠م ، وأخيرا ، من الكتب المهمة والتي عالجت تاريخ الهند في عصر الملك المغولي "اورانك زيب" المؤرخ الهندي "ظهير الدين فاروقي صاحب كتاب " عصر اورانك زيب""Aurangzeb and his times" ، صدر في طبعته الأولى سنة ١٩٣٥م في مدينة "كلكتا" في الهند ، ثم اعيد طباعته في مدينة لاهور الباكستانية سنة ١٩٧٧م، وهو من الكتب الفريدة في تناولها لتاريخ "اورانك زيب" .

واخيرا وليس آخرا ، فقد ترك الملك المغولي " مآثر سياسية ودينية وادارية غاية في التأثير والأهمية ، الى درجة ان مؤثراته لا زالت حية تعيش في ارض الهند حتى زماننا هذا ، ابتغينا تقديمها للقراء العرب لكي يعر فوا على علم بارز من أعلام المسلمين ، والله من وراء القصد.

احمد الجوارنه

اربد -١٤٣٥هـ/٢٠١٤م

حياته ووفاته

محـــي الـــدين محمـــد اورانجزيـــب ، الـــذي اعتلـــى عـــرش المغـــول المســـلمين فـــي الهنـــد بإســـم "عـــالمكير الأول" ، هـــو ســـادس الأبنـــاء للإمبراطـــور المغـــولي " شـــاهجهان" ، ولزوجتـــه الملكـــة "ارجمنـــد بـــانو بـــيكم " والتـــي اشـــتهرت باســـم " ممتـــاز محـــل " ، ولـــد "اورانجزيـــب" فـــي قريـــة "دوهـــاب Dohab" الهنديـــة فـــي ليلـــة ١٥ ذو القعـــدة ســـنة ١٠٢٧هـــ/ الموافـــق ليـــوم الأحـــد ٢٤ اكتـــوبر عـــام ١٦١٨م (خـــافي خـــان ، منتخـــب اللبـــاب ، مجموعـــة اليـــوت الانجليزيـــة ،ج٧ ص ٢١٣،نزهـــة الخـــواطر ،ج٦ص ١٢٣) ، وعنـــد بلوغـــه ســـن العاشـــرة مـــن عمـــره ، اقبـــل علـــى تعلـــم القـــرآن الكـــريم والحـــديث النبـــوي الشـــريف ، كمـــا تعلـــم اللغتـــين العربيـــة والفارســـية واتقنهمـــا اتقانـــا جيـــدا ، فكـــان يكتـــب بهمـــا ويـــتكلم بهمـــا ايضـــا ، امـــا اللغـــة الهندوســـتانية (الهنديـــة) فهـــي لغـــة الأم ، وهـــي اللغـــة الخاصـــة بـــالبلاط المغـــولي فـــي الهنـــد(sarkar,ashort history of Aurangzib,p.7) ، ويؤكـــد المـــؤرخ النـــدوي ان اورانجزيـــب كـــان بارعـــا فـــي فنـــون كتابـــة الخـــط العربـــي ، فكتـــب فـــي مختلـــف انـــواع الخطـــوط ، منهـــا: خـــط النســـخ وخـــط النســـختعليق ، وخـــط الشكســـته ، الـــى درجـــة ان براعتـــه فـــي هـــذا الفـــن مـــن الفنـــون الاســـلامية اوصـــلته الـــى ان يقـــوم بنســـخ المصـــحف الشـــريف بخـــط يـــده قبـــل ان يعتلـــي

عرش الهند ، وبعث بتلك النسخة الى مكة المكرمة ، وبعد جلوسه على العرش كتب نسخة أخرى بيده ، وأنفق عل تذهيبها وتجليدها سبعة الآف روبية هندية ، بعثها الى المدينة المنورة ، وكان انتسخ الألفية لأبن مالك في مراحل الصبا ، وارسلها الى مكة المكرمة (نزهة الخواطر ، ج٦ص ١٢٨،١٢٩) .

تولى اورانجزيب ولاية الدكن الواقعة في جنوب الهند ، بأمر من والده الإمبرطور شاهجهان سنة ١٦٣٦م وبقي وليا للأقليم الى سنة ١٦٤٤م ، وكان عمره لا يزيد على ثماني عشرة سنة ، وذلك بعد صراعات مريرة بين الدولة المغولية والدول الشيعية في بيجابور وكولكنده ، التي استقلت عن السيادة المغولية وأظهرت في وجهها العداء الصريح ، بل وكانت تعلن كراهيتها للخلفاء الراشدين وتسبهم وتشتمهم على منابر المساجد ، في الوقت الذي يبايعون الملوك الصفويون في ايران ، وقد استمر الصراع بين المغول الذين يمثلون اهل السنة والجماعة وبين مملكتي بيجابور وكولكندة التي تمثل المذهب الشيعي طويلا ، ما بين ١٥٩٥-١٦٣٦م تقريبا ، الى ان نجح شاهجهان في تحطيم ممالكهم ومطاردة الأمراء الشيعة وقتلهم اينما عثر عليهم ، لتصبح ولاية الدكن بكل مناطقها تحت سيادة الدولة المغولية السنية ، كان اسناد ولاية الدكن للأمير اورانجزيب بداية صراع واضح وقوي بينه وبين الشيعة المتشرين في الهند ، بحيث استطاع كبح جماحهم وتقليص نفوذهم ونفوذ دعاتهم في الجنوب الهندي(majumdar,An Advanced ,p471) ، وربما يكون للمواجهة المباشرة بين اورانجزيب والشيعة ، الى جانب تربيته في صباه على علوم القرآن وعلوم السنة وقراءة السيرة النبوية وسيرة وتاريخ الصحابة ، يكون لها ابعد الأثر في توجيه مسار الإمبراطورية المغولية حينما تولى عرشها تجاه المذهب السني الخالص .

بعد مضي ثمان سنوات على حكم اروانجزيب لولاية الدكن الجنوبية ، ارسل والده في طلبه لتولي مهمة عسكرية حربية كبيرة تتعلق بأفغانستان وقبائلها

المتمـردة علــى العــرش المغـولي ، لا سـيما قبائـل الأوزبــك فــي ولايــة قنــدهار الأفغانيــة ، وتحـرك اليهــا ، ولـم يمضــي علــى حركـة اورانجزيـب صـوب قنـدهار كثيـر وقـت وزمـان ، حتـى ثـارت الشـيعة فـي الـدكن وتمـردت مـن جديـد ضـد دولــة المغـول ، الأمـر الـذي دفـع بشـاهجهان الـى إعـادة اورانجزيـب الـى الـدكن مــن جديــد ، لينصـبه حاكمــا عليــه للمــرة الثانيــة ســنة ١٦٥٣ ولغايــة ســنة ١٦٥٧م ، وهنــا يقــول المــؤرخ الهنــدي "ساكســينا saksena" صــاحب كتــاب " تــاريخ شــاهجهان فــي دلهــي " : ان المعــارك والحــروب والغـزوات والمواجهــات العنيفـة التـي خاضـها الأميـر اورانجزيـب فـي اقلـيم الـدكن وفـي قنـدهار ، أكسبته تجربــة عســكرية وسياســية فريــدة ، ليبلــغ مكانــة وشـأوا كبيـرا فــي دولــة المغــول وا ٍدارة شـؤونها العليـا ، وجعلتـه يتربـع علـى قمـة المجـد السياسـي والعسـكري قبـل ان يعتلــي عــرش المغــول فــي الهنــد (saksena,History of Shahjahan,p198) .

فـي اليـوم الـذي سـقط فيـه الإمبراطـور شـاهجهان صـريع المـرض ، وبـات يعـيش اسـير الفـراش والعــلاج ، دب فيــه الضــعف ، فلــم يعــد قــادرا علــى إدارة دفــة الحكـم ، وظهـر عجـزة الشـديد فـي ممارسـة شـؤون الدولـة ، مـا افقـده مكانتـه البــارزة والمــؤثرة فــي عــرش الهنــد (khafi Khan,history of alamgir,pp5-7) ، وقاعــدة الحكــم ونظامــه لــم يكــن قــد ســن قانونــا لولايــة العـرش عنـد المغـول ، فـالأقوى مـن بـين الأولاد هـو الـذي ينتـزع العـرش بـالقوة والحنكـة السياسـية التـي يمتلكهـا ، وهـذا مـا سـاعد علـى نشـر الحـروب والفوضـى بـين ابنـاء الملـوك المغـول مـن خـلال صـراعهم علـى السـلطة ، لأن احـدا غيـر ابنــاء اباطرة المغــول لا يجــرؤ علــى اعــلان التمــرد او الثــورة ، فلــيس ذلــك مسـمو ح بـه الا لإبنـاء اباطرة المغـول فحسـب ، وفـي ظـل هـذا النظـام ، وحينمـا أعلـن الملـك المـريض عـن ابنــه "دارا شـيكوه" خليفتـه فـي عـرش الهنـد ، حتـى ثـارت مـن حولـه ثـورة ابنائـه جميعـا ، ودب الصـراع بيـنهم علـى خلافـة العـرش المغــولي ، فابنــاء شــاهجهان ، الأميــر شــجاع حــاكم البنغــال ، والأميـر مـراد

بخش حاكم الكجرات ، والأمير اورانجزيب حاكم الدكن ، بينما الأمير المعين "دارشيكوه" كان حاكما على كابول والملتان ، اجتاحت إمبرطورية المغول فوضى وأزمة سياسية كبيرة لما تعهدها من قبل ، فجميعهم يمتلكون من القوة ما توفر لهم اسباب النصر على الآخر ، ولهم من النفوذ اضعاف ما لشقيقهم المستخلف على العرش "داراشيكوه" ، وقد عزى المؤرخ الهندي "سركار" والمؤرخ "شارما" الى ان هذه الأزمة تفاعلت بفعل مواقف إخوة "دارا شيكوه" تجاه الأفكار والفلسفات التي يؤمن بها والتي تبعد كثيرا عن روح الإسلام ، فعقيدته متحررة ، ولذلك اجتمعت عليه أغلب رؤوساء وزعماء قبائل الهندوس الهندية يؤيدونه ويناصرونه على عرش الهند ، وهو ما أثار مخاوف اشقائه وحملهم على حمل السلاح والتمرد والثورة بوجهه، وقد قاد التمرد والعصيان الأمير"اورانجزيب" الذي أعلن رفضه وبقوة تولي "داراشيكوه " الحكم لما يحمله من أفكار مخالفة لتعاليم الدين الإسلامي الحنيف . (Sarkar,op-cit,vol.1,p171)

أدت ثورة الأشقاء وعصيانهم على ولاية العرش في دلهي الى انتشار حالة من الفوضى السياسية التي اجتاحت شبه القارة الهندية ، فلم يكتف اولئك الأشقاء برفع راية التمرد والعصيان فحسب ، بل بادروا الى إعلان الاستقلال كل في ولايته وموقعه ، فالأمير "شجاع" نصب نفسه ملكا على البنغال ، وضرب السكة باسمه ، وقرأت الخطبة من على منابر مدن البنغال وقراها باسم الملك الجديد " شجاع بن شاهجهان" (khafi khan,op-cit,p.2) ، بينما تحالف 'اورانجزيب والأمير مراد بخش " في وجه ملك المغول الجديد "دارا شيكوه" سنة ١٦٥٧م ، وكان من بنود هذا الإتفاق ، توزيع ملك أبيهم بينهم على النحو ،ثلثي الغنائم للأمير "اورانجزيب" والثلث الآخر للأمير"مراد بخش " ، وان تؤول حاكمية اقليم البنجاب وأفغانستان وكشمير والسند للأمير " مراد بخش" ، ويؤول الملك العام للأمير "اورانجزيب" وعليه تحركت الجيوش باتجاه مدينة دلهي ونجحت في ايقاع الهزيمة بجيوش "داراشيكوه"

سنة ١٦٥٨م ، في موقعة "دهرمت" ، ثم التقى الجمعان في موقعة "سامكورا"القريبة من مدينة "اكرا" ، في الثامن من حزيران/يونيو ١٦٥٨م ، واوقع بها "اورانجزيب" هزيمة ثانية ، فولت قوات الملك الجديد الفرار امام زحف الأشقاء وقواتهم الضاربة ، ولما فرغ "اورانجزيب " من حملته بعدما حقق نصره الكاسح على ملك شقيقه ، زحف نحو مدينة "أكرا" معقل الملك المريض "شاهجهان" وفرض عليها حصارا في ١٣ رمضان ١٠٦٨هـ/١٦٥٨م، منع الميرة والماء والطعام من الدخول الى المدينة حتى أرغمهم على الاستسلام ، وأودع أباه سجن المدينة ، وخصص له من الخدم والحشم الأعداد الكثيرة ، وبقي لديه معززا مكرما الى ان مات سنة ١٦٦٦م ، بينما سيطر "اورانجزيب"على مدينة أكرا سيطرة كاملة في ٢٢ رمضان ١٠٦٨ه/١٦٥٨م ، وفي هذا التاريخ تقلد عرش الهند(khafi khan,op-cit,pp.24-34/ نزهة الخواطر ، ج٦ ،ص ١٢٣،١٢٤)

وقبل الحديث عن عرش المغول وا مبراطورها الجديد في الهند ، ينبغي التوقف عند أسرة "اورانجزيب" ، فقد تزوج "اورانجزيب" بأربع نساء ، هما :
١- "ديلراس بانو بيكم" ، وهي ابنة النبيل "شاه نواز خان" الذي تعود اصول جده الى الملك الصفوي اسماعيل الأول ، تزوجها في مدينة "أكرا" في "٨ ايار/مايو ١٦٣٧م" ، وتوفيت في مدينة "اورانج أباد" في " ٨ تشرين ثاني/اكتوبر ١٦٥٧م" ، (sarkar,ashort history,p12).

٢- "رحمت النساء" واسمها الحقيقي" نواب باي"، وهي ابنة الـز عيم الهندوسي "راجا راجوه" من ولاية "راجوري " في اقليم كشمير ، وهي من قبيلة الراجبوت الهندية العريقة (sarkar,ashort,p12)

٣- "اورانج أبادي محل" ، وهو اسمها الذي تسمت به حينما دخلت قصر حريم الأميرات في مدينة "اورانج أباد"

٤-"أديبوري محل"وهي والدة الأمير "كام بخش" ، وهي "مملوكة جورجية" كما أشار الى ذلك الرحالة الفرنسي المعاصر "مانوشي" (sarkar,ashort history,p13)

اما ابناء الإمبراطور "اورانجزيب " فهم ، الأميرة " زيب النساء" ، ولدت في مدينة "دولت اباد " سنة ١٦٣٨م" ، والأميرة " زينت النساء" ، ولدت في مدينة "اورانج اباد " سنة ١٦٤٣م ، والأميرة " زبدة النساء" ، ولدت في الملتان سنة ١٦٥١م، والأمير محمد أعظم" ، ولد في مدينة "برهانبور" سنة ١٦٥٣م ، والأمير "محمد أكبر" ، ولد في مدينة "اورانج أباد" سنة ١٦٥٧م، والأمير محمد سلطان ،ولد بالقرب من "ماثورا" سنة ١٦٣٩م، والأمير "محمد مُعظم" ، وهو الذي خلف والده على عرش الهند باسم " بهادر شاه الأول" ، ولد في مدينة "برهانبور" سنة ١٦٤٣م، والأميرة " بدر النساء" ، ولدت سنة ١٦٤٧م، والأميرة "مهر النساء" ، ولدت سنة ١٦٦١م ، والأمير"محمد كام بخش" ، ولد في دلهي سنة ١٦٦٧م .(ashort history,pp14-15)

لقد احتفلت بلاد شبه القارة الهندية مرتين بجلوس الإمبراطور"محي الدين محمد اورانجزيب" على العرش ، جاءت الأولى عقب استسلام الملك "شاهجهان" في شهر رمضان من سنة ١٠٦٨هـ/١٦٥٨م، وجاءت الأخرى في العام القابل اي في عام ١٠٦٩هـ/١٦٥٩م ، وفي هذه السنة تم تقليد "اورانجزيب" عرش المغول في الهند بشكل رسمي ، حيث قرأت مساجد الهند في دلهي وأكرا وبقية المدن الأخرى الخطبة باسم الملك الجديد ، واعلن عن لقبه الجديد الذي حمل اسم :" ابو المظفر محي الدين محمد اورانجزيب عالمكير بادشاه غازي" (سركار، نفس المرجع ، ج٢ ص ٣٨٦-٣٨٧)

ينقسم عهد "اورانجزيب" الى قسمين متماثلين من حيث الفترة الزمنية ، مختلفين من حيث الأعمال والمهام السياسية والفتوحات العسكرية ، ففي السنوات ١٠٦٨هـ/١٦٥٨م وحتى سنة ١٠٩١هـ/١٦٨١م انشغل ملك المغول الجديد بحملاته العسكرية المتتابعة تجاه الأقاليم الشمالية والوسطى

الـــى ان بســـط ســـيطرته بشـــكل كامـــل عليهـــا ، وقـــد شـــهدت تلـــك الفتـــرة تطـــورا ملحوظـــا فـــي مجـــالات مختلفـــة ، سياســـية وادرايـــة واقتصـــادية ، والفتـــرة الثانيـــة جـــاءت فـــي الســـنوات ١٠٩١هـ/١٦٨١م ولغايـــة ســـنة ١١١٦هـ/١٧٠٧م ، حيـــث شـــهدت هـــذه المرحلـــة اهتمامـــا مباشـــرا فـــي شـــؤون الأقـــاليم الهنديـــة الجنوبيـــة وفـــي مقـــدمتها اقلـــيم الـــدكن ، تاركـــا مـــدن الهنـــد العريقـــة ، مثـــل مدينـــة دلهـــي وأكـــرا ليـــذهب الـــى الجنـــوب ويـــدير دفـــة الحكـــم مـــن هنـــاك حتـــى وفاتـــه ســـنة ١١١٦هـ/١٧٠٧م .

اذا واجهـــت المتاعـــب والمصـــاعب معظـــم الســـلاطين والملـــوك المســـلمين فـــي حكمهـــم للهنـــد ، فـــان المصـــاعب والمتاعـــب التـــي واجههـــا الإمبرطـــور اوّر انجزيـــب" أكثـــر بكثيـــر ممـــا واجهـــه الآخـــرون ، فهـــو الـــزعيم المســـلم الوحيـــد الـــذي اســـتطاع الســـيطرة الكاملـــة علـــى كافـــة أقـــاليم الهنـــد الشـــمالية والشـــرقية والوســـطى والغربيـــة والجنوبيـــة ، بـــل وصـــل نفـــوذ امبراطوريـــة المغـــول إبـــان عهـــد الإمبراطـــور "اورانجزيـــب" الـــى أبعـــد مـــن ذلـــك ، حيـــث ســـيطر علـــى نيبـــال وبورمـــا ، ففـــي ســـنة ١٦٦١م ، وعقـــب اســـتتباب الأمـــن فـــي ربـــوع الإمبراطوريـــة المغوليـــة ، بقـــي علـــى "اورانجزيـــب" ان يواجـــه أحـــد أكبـــر المشـــكلات فـــي عصـــره ، الا وهـــي اعـــلان شـــقيقه" الأميـــر مـــراد بخـــش" نفســـه ملكـــا مســـتقلا علـــى البنغـــال ، بينمـــا الاتفاقيـــة التـــي ابرمـــت بينـــه وبـــين شـــقيقه "اورانجزيـــب" تعهـــدت بـــان يكـــون حاكمـــا علـــى تلـــك المنـــاطق لا ملكـــا مســـتقلا ، فعـــين حاكمـــا علـــى البنغـــال وهـــو" الأميـــر ميـــر جملـــة" ، وأمـــده بقـــوات عســـكرية كبيـــرة كافيـــة للقضـــاء علـــى قـــوات "مـــراد بخـــش" ، ونجـــح "ميـــر جملـــة" فـــي القضـــاء علـــى ســـلطة الأميـــر "مـــراد بخـــش" ، ليســـدل الســـتار علىهـــذه القضـــية التـــي كـــادت ان تضـــعف مـــن شـــأن المغـــول السياســـي فـــي الهنـــد ، امـــا المشـــكلة الكبيـــرة الأخـــرى التـــي واجهـــت "اورانجزيـــب" فـــي اقلـــيم البنغـــال ، هـــي تنـــامي قـــوة ومخـــاطر قبائـــل "الآهـــوم Ahoms" المنتشـــرة فـــي البنغـــال ، وهـــي قبائـــل ذات أصـــول منغوليـــة ، هـــاجروا مـــن مـــواطنهم الأصـــلية مـــن أعـــالي جبـــال بورمـــا القريبـــة مـــن مرتفعـــات همالايـــا ، الـــى المنـــاطق

الشمالية الشرقية من الهند ، ليستقروا غرب البنغال في القرن الخامس عشر الميلادي ، وامتد نفوذهم ما بين نهر "بارنادي" في الشمال الغربي من البنغال ، وحتى نهر "كالنج" في الجنوب الغربي ، وهي المنطقة التي تعرف بأسم "آسام" ، وكانت هذه المجموعات البشرية قد اعتنقت الديانة الهندوسية ، وأضحت من المنافحين عنها ، بل وناصبت دولة المغول العداء الشديد وصولا الى اضعافها واسقاطها ان استطاعوا (sarkar,Aurangzib,vol.iii,pp79-100)

كان على الإمبراطور "اورانجزيب" ان يضع حدا لتلك الأعتداءات التي مارستها قبائل "الآهوم" في اقليم " آسام " تجاه الدولة المغولية ، وتحقيقا لهذه المهمة ، كلف حاكم البنغال " مير جملة" بتجهيز جيش كبير للقضاء على القوى المعادية في "آسام" ، وتحرك من مدينة "دكا" على رأس جيش بلغ اثنا عشرة الفا من الفرسان ، وثلاثون الفا من المشاة ، مسلحين بالنادق والمدافع ، وتوغل في الأقليم وحقق انتصارات كبيرة جدا ، الا ان سوء الأحوال الجوية فرض على جيش المسلمين التوقف عن الزحف ، الا انهم ححقوا انتصارهم من خلال ارغام زعيم "آسام" على دفع الجزية للمسلمين ، حيث أقر الراجا حاكم "آسام"بدفع جزية مقدار ها مائة وعشرون الفا من الفضة والفين من الذهب وخمسون فيلا ، جزية سنوية يدفعا لخزينة الدولة المغولية ، وحينما توفي "مير جملة" ، عين الإمبراطور المغولي خاله " شايسته خان" حاكما على البنغال ،الذي واجه أول ولايته على البنغال أزمة"الأهوم" الذين نقضوا العهد وخرجوا على طاعة المغول ، فروضها"شايستا خان" ثانية ، وخضعت لحكم المغول ما يقرب من ثلاثين عاما (sharma,op-cit,274,sarkar,vol.iii,101-106)

سياسة "اورانجزيب" تجاه القبائل الأفغانية في الحدود الشمالية الغربية :

من اكثر الأزمات السياسية التي تعامل معها الزعيم المغولي "اورانجزيب" تلك الثورات والمناوشات التي أظهرتها القبائل المغولية بوجه الدولة المغولية

في الهند ، وهي نفس المعضلة التي تعاطى مها معظم ملوك المغول الذين سبقوا "اورانجزيب" ، وكان سبب كثرة الثورات التي أظرتها قبائل الأفغان قبل عهد "اورانجزيب" وخلاله وبعده ، إنما ترجع الى مجموعة من الأسباب ، وهي الأسباب التي أجمع عليها أغلب من أرخ لتاريخ دولة المغول في الهند ، وهي ان القبائل الأفغانية تتمتع بحرية قلما تجدها عند غيرها من سكان المناطق الأخرى في به القارة الهندية ، وذلك بسبب وجودهم في مرتفعات جبلية ومناطق وعرة يصعب على الغزاة ترويضها بسهولة ويسر ، كما كان لصلابة المراس لديهم وقوة عزيمتهم وشجاعتهم سببا آخر من أسباب عدم اعطاء الأفغان ولاءهم لدولة المغول او حتى لغيرها ، والمشكلة الكبيرة الأخرى باستمرار حالة العصيان والتمرد لدى القبائل الأفغانية انها لا تجتمع علىز عامة واحدة ولا تربطها رابط قبلي واحد ، ومن أبرز القبائل التي تزعمت حالة الثورة والتمرد على دولة المغول في الهند هي قبيلة "يوسف زي" وقبيلة أفريدي".

اولا: قبيلة "يوسف زي"

ظهرت اول حركة ثورة وتمرد افغانية بوجه دولة المغول في الهند سنة ١٦٦٧م على يد زعيم قبيلة يُوسف زي" "بهاكو" ، وهذه القبيلة الأفغانية من اكبر القبائل التي تنتشر بين "سواط"و"باجور" وبين مرتفعات بيشاور ، اي ما تعرف بمرتفعات الهندوكوش ، وهي من أكثر المناطق وعورة واخطرها تضاريسا ، لقد جمع الزوعيم الأفغاني"بهاكو" ما يزيد على خمسة الآف محارب أفغاني من قبيلة "يوسف زي" عابرا بهم نهر السند الكبير ، مجتاحا سهول نهر السند الشرقية ، وراحت تعيث نهبا وسلبا وفسادا في المناطق الشمالية الغربية لدولة المغول ، وهو ما أثار حفيظة دولة المغول ، وعلى رأسهم الإمبراطور"اورانجزيب" (kahfi kahn,op-cit,p.210)، الذي بادر من جانبه الى تعبئة قواته ومقاتليه ، ليشكل ثلاثة جيوش جرارة زحفت لملاقاة العدوان الأفغاني على اراضي الدولة المغولية ، والحق بهم هزيمة

كبيـرة ، ولـم يعـد لهـم اي دور فـي خلـق حالـة مـن الاضـطرابات بوجـه الدولـة المغوليـة ، ومـا ان أتـى شـهر تشـرين اول سـنة ١٦٦٧م حتـى تلاشـى خطـرهم في المناطق الشمالية الغربية (Ellphinstone,op-cit,p.634).

ثانيا : قبيلة "أفريدي"

لعبـت قبيلـة"أفريـدي" الأفغانيـة دورا كبيـرا فـي اثـارة القلاقـل والمتاعـب فـي وجـه ملـوك المغـول الـذين تعـاقبو علـى حكـم الهنـد ، وهـم اكثـر عـدة وعـددا وخطـورة مـن قبيلـة "يوسـف زي" ، ففـي الوقـت الـذي تربـع بـه "اورانجزيـب" ملكـا علـى الهنـد ، حتـى ثـارت قبيلـة"افريـدي" بوجهـه نافضـة ضـروب الطاعـة القديمـة التـي كانـت تمنحهـا لسـلطان المغـول فـي الهنـد ، بـل وراحـت تلـك القبيلـة الأفغانيـة تقتطـع مـن اراضـي دولـة المغـول وتظيفهـا لنفوذهـا ، وقـد تـزعم " أكمـل خـان " تلـك الثـورة والعصـيان بوجـه المغـول ، ومـن أشـدها وأكثرهـا خطـورة ، حينمـا حـل ربيـع سـنة ١٦٧٢م ، أقـدم نائـب ملـك المغـول فـي افغانسـتان " محمـد أمـين خـان" علـى الزحـف تجـاه "بيشـاور" لملاقـاة قبيلـة "أفريـدي" هنـاك ، ولمـا علمـت القبيلـة بمقـدمهم ، حملـت علـيهم لـيلا علـى حـين غـرة ، وأحـاطوا بهـم إحاطـة السـوار بالمعصـم ، ومنعـوا عـنهم المـؤن والإمـدادات ، حتـى اضـطر "محمـد أمـين خـان " علـى طلـب الصـلح معهـم ، الا انهـم أبـوا عليـه ذلـك واسـتمروا بحصـارهم لـه ولقواتـه ، بـل ممـا زاد الوضـع تـدهورا وخطـورة حينمـا امطـرت الأفغـان القـوات المقوليـة بوابـل مـن الحجـارة حيـث كـانوا فـي أعـالي الجبـال وقممهـا ، كمـا القـوا علـيهم النيـران ، وأطبقـت علـيهم مـن كـل ناحيـة ، ولـم يتركـوا لهـم منفـذا للهـروب ، واقبلـوا علـيهم يقتلـونهم واحـدا فواحـدا حتـى ابـادوهم عـن آخـرهم ، ولـم يبـق مـنهم الا الشـريد الهـارب ، وأوقعـوا بصـفوف المغـول مـذابح فضيعة (Sarkar,Aurangzib,vol.iii,pp.15,152).

ان هـذه المذبحـة التـي وقعـت فـي صـفوف المغـول ، وهـذا النصـر الـذي حصـلت عليـه القبيلـة الأفغانيـة ، شـجعت قبيلـة "أفريـدي" وبقيـة القبائـل الأفغانيـة الأخـرى علـى المبـادرة الـى الثـورة والعصـيان بوجـه الدولـة المغوليـة ،لا سـيما تلـك القبائـل

التـي كانـت تضـرب بـين "آتـوك وقنـدهار" ، فركنـت بـدورها الـى العصـيان المسـلح ، يقـول السـاداتي:" وقـوى مـن عزائمهـا انضـمام الـزعيم الأفغـاني "خوشـحال" الـى صـفوفهم ، وهـو زعـيم قبيلـة "آتـوك الأفغانيـة" ، وكـان هـذا الـزعيم قـد اسـتدرج مـن قبـل ، بالخيانـة والغـدر الـى بيشـاور ثـم قـبض المغـول عليـه ، وألقـوه فـي غياهـب السـجن بمدينـة "دلهـي" ، ثـم اطلقـت حكومـة المغـول سـراحه ، علـى ان يسـير بجنـده لمحاربـة القبائـل الأفغانيـة الثـائرة ، خصوصـا قبيلـة "أفريـدي" ، الا أن مـا أحـرزه بنـو جلدتـه مـن انتصـارات ، أنسـاه عـداءه القـديم معهـم وأنضـم الـيهم (السـاداتي ، تـاريخ المسـلمين فـي شـبه القـارة الهنديـة ،ج٢ص١٢٠) فكـان لهـذه الحادثـة آثارهـا السـيئة والسـلبية علـى دولـة المغـول فـي الهنـد ، والملـك "اورانجزيـب" لـم يكـن ذلـك الرجـل الـذي تروعـه مثـل هـذه التقلبـات السياسـية والعسـكرية الخطيـرة ، ولـم تحـدث فـي نفسـه أيـة أثـر ، وعنـدما أدرك الملـك المغـولي ان القبائـل الأفغانيـة تتقـدم الخطـى محـرزة انتصـارات متلاحقـة فـي ارضـه ، و ان خطـرهم يـزداد يومـا بعـد يـوم ، أمـر بتجهيـز جـيش كبيـر بقيـادة اميـر البنجـاب " فـدائي خـان" وحـاكم "لاهـور" ، بـالتحرك صـوب بيشـاور ، كمـا وجـه جيشـا آخـر بقيـادة " محبـت خـان" الـذي تواطـأ مـن جهتـه مـع القبائـل الأفغانيـة وعقـد حلفـا معهـا لحـرب المغـول ، فعزلـه "اورانجزيـب" ، وعـين مكانـه "شـجاعت خـان" ، فحالـت الظـروف والأحـوال الجويـة ووعـورة المنطقـة بـين جـيش المغـول وتحقيـق ايـة انتصـارات علـى القبائـل الأفغانيـة الثـائرة ، بـل وأوقعـت القبائـل الأفغانيـة القتـل والـذبح فـي صـفوف الجـيش المغـولي ، حتـى قتـل القائـد "شـجاعت خـان " فـي أرض المعركـة ، وهـزم جـيش المغـول هزيمـة نكـراء ، وهـو مـا ضـاعف خطـورة القبائـل الأفغانيـة علـى دولـة المغـول ، بـل وباتـت تشـكل خطـرا كبيـرا ربمـا يـوهن ويضـعف دولـة المغـول ويشـجع القبائـل الهنديـة فـي داخـل الإمبراطوريـة علـى الثـورة والعصـيان ، هـذه المخـاوف اقلقـت الملـك "اورانجزيـب" ودفعـت بـه الـى قيـادة الجـيش بنفسـه ،ففـي ٢٦ حزيـران/يونيـو ١٦٧٤م ، حـط "اورانجزيـب" بقواتـه فـي مدينـة "بيشـاور" ، وأدار الحـرب مـن هنـاك ، واسـتدعى لتحقيـق النصـر نخبـة مـن

أجناده وقواده ، وعلى رأسهم "آغا خان التركي" حاكم اقليم الدكن ، الأمر الذي منح امارات الجنوب فرصة مغادرة واليهم القوي ، لإثارة المتعاب والاضطرابات بوجه الملك من بعد ذلك (الساداتي ، المرجع السابق،ج٢ص٢٢١ ، khafi khan,op-cit,p.235)

أفلح الملك اورانجزيب وقائده التركي ، بقوة السلاح تارة ، وببذل الأعطيات والأموال والهبات لشيوخ القبائل الأفغانية تارة أخرى ،في ان يؤمن منطقة ممر خيبر الاستراتيجية ، ولما أدام الملك هذه السياسة ، استقطب لصفه الكثير من المناوئين من رجالات الأفغان ، ولم يفلت أحد من وجهاء وزعماء قبائل الافغان من الوقوع في شرك الملك الذي نصبه بحنكته ودهائه ، حتى شرع الكثير من رؤوساء القبائل يدخلون في حلف الملك المغولي افواجا ، وفرغ من قضية الأفغان بنجاح منقطع النظير (الساداتي ٢٢١/٢ ، sarkar,a short ,p.119).

الثورات الداخلية

شكلت الأزمة في المناطق الشمالية والتي أشعلتها قبائل الافغان ، ارضية خصبة لكثير من الطوائف والقبائل الهندوسية وحتى المسلمة لإعلان حالة العصيان والتمرد على الدولة المغولية في الهند ، وعلى عرش الإمبراطور محي الدين اورانجزيب ، هذا من ناحية ، ومن الناحية الأخرى ، ولما فرغ اورانجزيب من بسط الأمن والاستقرار في المناطق الشمالية الغربية وآسام ، اتخذ خطوات عملية في سبيل تطبيق الشريعة الإسلامية وجعلها أساسا في حكم الهند ، وهو بذلك يخالف مخالفة صريحة سياسة آبائه وأجداده في هذا الأمر ، التي رسخت مباديء فيها تغليب المصالح السياسية والاقتصادية على تطبيق الشريعة الإسلامية والعمل بقوانينها وتشريعاتها ، وهذه السياسة لاقت تجاوب وإعجاب زعماء القبائل الهندوسية في عموم الهند ، وكانوا

يعطـون عـرش المغـول الـولاء المطلـق ، لاسـيما عصـر الإمبراطـور جـلال الـدين أكبـر وعصـر جهـانكير وحتـى عصـر شـاهجهان والـد اورانجزيـب ، وحينمـا قـرر ملـك المغـول الجـدي "اورانجزيـب" تغليـب الجوانـب الدينيـة والإسـلامية علـى شـؤون دولتـه ، قلـب الهنـدوس لدولـة وعـرش المغـول ظهـر المجـن ، وكـان مـن ابـرز القـوانين التـي اشـعلت روح التمـرد والعصـيان لـدى الهنـدوس والسـيخ وغيـرهم ، هـو تطبيـق دفـع ضـريبة "الجزيـة" سـنة ١٦٧٩م (خـافي خـان ، ص ٢٥٨) ، وهـي تجبـى مـن غيـر المسـلمين المقيمـين فـي الدولـة الإلأسـلامية مقابـل اعفـاءهم مـن الخدمـة العسـكرية ، وتـأمين حيـاتهم مـن اي اعتـداء يتعرضـون لـه ، بينمـا المسـلمون يـدفعون لبيـت مـال المسـلمين فريضـة" الزكـاة" ، واذا كـان الملـك "اكبـر" قـد ألغـا ضـريبة الجزيـة عـن الهنادكـة وغيـرهم مـن اهـل الذمـة ، تمشـيا مـع سياسـته اللادينيـة التـي اتبعهـا ، واذا اطمـئن لـذلك الهنادكـة وابتهجـوا وفرحـوا ، اذ أنهـم كـانوا ينظـرون اليهـا علـى أنهـا شـعار الذلـة والصـغار والقهـر ، إن هـم أمـروا بـدفعها وتأديتهـا لبيـت مـال المسـلمين ، واذا كـان "جهـانكير" و"شـاهجهان" قـد تبعـا الملـك "اكبـر" حـذو القـذة بالقـذة فـي الغـاء الجزيـة ، فـان "اورانجزيـب" أنـف مشـايعتهم واحتـذاء حـذوهم ، لمـا لـذلك مـن مهانـة للـدين وانتقـاص لمكانتـة فـي المجتمـع ، بـل وركـز جـل اهتمامـه علـى الإطاحـة بغايـات الآبـاء والأجـداد ، ولمـا شـعر أهـل الذمـة ، وعلـى رأسـهم اهـل الهنـدوس ، الـذين آلفـوا عـدم اعطـاء الجزيـة لبيـت المـال ، كـان لفرضـها علـيهم مـن جديـد علـى يـد "اورانجزيـب" كبيـر أثـر (النمـر ، تـاريخ الاسـلام فـي الهند،٣٤٥) .

وحينمـا أصـبح قـانون فـرض الجزيـة نافـذا علـى الهنـدوس ، رأوا فـي ذلـك مهانـة صـريحة لهـم ، لا سـيما وانهـم رأوا إمبراطـور المغـول الجديـد يعـزز فـرض تلـك الضـريبة بـالقوة مـن خـلال نشـر قـوات خاصـة دربـت وجهـزت مـن أجـل هـذا الغـرض ، قـررت زعامـات الهنـدوس الخـروج احتجاجـا علـى سياسـة اورانجزيـب الدينيـة تجـاههم ، وجمعـوا أنفسـهم وتحركـوا بـالطريق الواصـل الـى القصـر

المغولي ، وهم يبكون ويحتجون على مسمع من الملك وحاشيته ، لكي يلغي ضريبة الجزية ، في حين لم يتلقى الملك احتجاجاتهم بالترحاب ، وأعرض عن تلك المطالب ، بينما الهندوس مستمرون في اضرابهم واحتجاجهم في الشارع الرئيسي المؤدي الى القصر المغولي ، بل وصعدوا من احتجاجاتهم ،وسدوا منافذ الطرق المؤدية الى القصر ، على ان معظم المتظاهرين كما وصفهم المؤرخ الهندي "جادوناث سركار" من أصحاب المحال التجارية والأموال ، واهل الحرف والصناعات ورجالات الأسواق العامة (البازار)، ومع ذلك حاول الملك ردهم بالحسنى الا ان ذلك لم يجدي معهم نفعا ، حينئذ أمر "اورانجزيب" سلاح الفيلة ان يتولى تفريق حشودهم واعتصامهم ، معلنا اصراره على تطبيق القانون الإسلامي (sarkar,op–cit,iii,178) ، ولم يكتف "اورانجزيب بفرض ضريبة الجزية في الهند ، بل وأمر بفرض ضريبة الخراج التي كان ملوك الهند السابقون قد ألغوها من قبل . (sarkar,op–cit,iii,181)

أدت سياسة "اورانجزيب" الإسلامية تجاه فرض ضريبة الجزية والخراج ، وهدم بعض معابد الهندوس التي اقيمت في عهد الدولة الإسلامية وتحويلها الى مساجد، أدت الى شيوع روح العداء والثورة والعصيان في اوساط أهل الذمة من اهل الهند ، هندوس وسيخ ونصارى وغيرهم من الطوائف الدينية الأخرى ، ونجد من المناسب في هذا السياق ان نستعرض بعض آراء المؤرخين حول اشتعال الثورات والانتفاضات في وجه امبرطور المغول في الهند ، حيث يرى المؤرخ الأمريك "ستانلي ولبرت S.Wolpert" :"أن الدوافع الرئيسية وراء تأجيج تلك الثورات الداخلية الواسعة التي اجتاحت بلاد الهند ايام "اورانجزيب" انما كانت جملة دوافع اقتصادية محضة ، أكثر منها دوافع دينية ، بسبب ما شدد عليه ملك المغول في أداء الجزية (A New History of India,p159) ،بينما يرى المؤرخ الهندوسي "شارما" :" ان سبب تلك الثورات التي أشعل أوارها الهندوس وغيرهم، تعود الى سياسة

التعصب الديني والتزمت العقائدي الذي بات شعارا يرفعه إمبرطور المغول" اورانجزيب" ، وخصوصا عمله الدؤوب على تحطيم سياسة التسامح الديني التي رسخها وسار عليها أسلافه من قبل ، لا سيما سياسة "جلال الدين أكبر" (Sharma L.P.,Medieval History of India,p.410) ، ولا شك في ان الثورات التي اشعلها الهندوس والسيخ والشيعة وقبائل المراتها والراجبوت وغيرهم ، شكلت امتحانا صعبا وخطيرا امام "اورانجزيب" وحتمت عليه التعامل معها بحزم وقوة لكي لا يتعرض سلطان الإسلام وسيادته على الهند للخطر ، وهنا نستعرض موقف "اورانجزيب" من حركات التمرد والعصيان التي ظهرت في وجهه .

اولا: ثورة قبائل "الجات" الهندوسية:

اول الثورات والمواجهات الداخلية التي يواجهها إمبراطور المغول"اورانجزيب" كانت سنة ١٦٦٩م ، حينما أعلن اعلنت قبائل "الجات" الهندوسية ثورتها على سلطان المغول ، حيث قاد زعيمهم " كوكولا Gokula" تلك الثورة ، وكان بداية أمرها ، ان قبائل "الجات" قتلت الحاكم المغولي في بلادهم"ماثورا" ويدعى الأمير " عبدالنبي خان" ، والذي كان متدينا ويوافق سيده حاكم الهند في تطبيق وتنفيذ أحكام الشريعة الإسلامية في الهند ، وهو الذي باشر ولايته في "ماثورا" في بناء مسجد جامع كبير في قلب "ماثورا" على أطلال معبد هندوسي دارس(Sarkar,iii,194) ، وهذا هو سبب مقتله على يد أهالي تلك المنطقة ، هذه الحادثة أشعلت حربا بين المسلمين وقبيلة "الجات" ، أدت الى وقوع قتلى من المسلمين ومن الهندوس ، بلغ عدد قتلى الهندوس من قبيلة "الجات" ما يزيد على خمسة آلف قتيل ، بينما يقابلهم من قتلى المسلمين حوالي اربعة آلاف ، وتبع تلك الحرب الكثير من الأعتداءات من جانب قبيلة "الجات" على المسلمين وعلى اراضي الدولة المغولية ، وتمدد خطرهم حتى اقترب من مدينة "أكرا" الشهيرة (Sarkar,iii,195) ، لم يقف "اورانجزيب" من تلك الأفعال موقف المتفرج ، بل سارع الى إعداد

جيش كبير سنة ١٦٧٠م ، بقيادة "حسن علي خان" ، وهو من القادة المغول العسكريين التي تعتد بهم دولة المغول ، ولما وصلت قوات المغول اليهم ، أوقع "حسن علي خان" بقبيلة "الجات" مذابح عظيمة ، ويبدوا ان المغول لم يتوقفوا عن الذبح حتى افنوهم عن آخرهم (شارما،٢٨٠، سركار،١٩٠،٣).

ثانيا: ثورة قبائل "الستنام"الهندوسية

في سنة ١٦٧٢م ، ظهرت ثورة "الستناميين" الهندوس الفقراء في وجه "اورانجزيب" ، وعلى راي المؤرخ الهندي "ماجمدار" فانهم ثاروا وهم جاهلون لحقيقة الثورة ، بل ويفتقدون لأهداف تلك الثورة التي أعلنوها بوجه المغول، وحقيقة أمرهم أنهم جماعة من الهندوس مسالمين اتخذوا لأنفسهم مذهبا وطقوس دينية متميزة خاصة بهم ، وهم يتجمعون في مقاطعة "باتيلا" و"ميوات" في اقليم "أشور" (Majumdar,op–cit,491) ، على ان المؤرخ الهندي"سركار" يؤكد على ان الستناميين الهندوس تميزوا بقذارة ملابسهم ومطاعمهم وفحشهم الى ابعد مدى ، وهم لا يميزون في شريعتهم بين مسلم وهندوسي ، ولا ملامة عندهم فيما يفعلون من ذنوب وما يقترفون من آثام وخطايا وأعمال منكرة (sarkar,iii,197) ، وقد اعتبر المؤرخ"خافي خان" تلك الأحداث التي أثارها اولئك البشر من الهندوس في وجه دولة المغول سنة ١٦٧٢م ، من الأحداث التي واجهتها الأسرة المغولية بحزم وقوة ، علما بان أتباع تلك الفئة او الطائفة لا يتجاوزون خمسة آلاف ، أغلبهم من حراس البيوت وعمال التجارة ، وسبب ثورتهم على المغول يعود الى صراع بين احد اتباع الطائفة الستنامية مع احد قادة المغول ، حيث قتله رجل الدولة المغولية ، وما أن انتشر الخبر حتى اجتمع اتباع الطائفة الستنامية وقتلوا رجل المغول ، وحينما بلغ الخبر الى حاكم الأقليم ، سارع في ارسال قوة عسكرية لإلقاء القبض على القتلة ، وبينما هم في طريقهم اليه ، أحاط بهم الستناميون من كل جانب وقتلوا القوة المغولية وأسروا من بقي على قيد الحياة (خافي خان ، ٢٥٥)، واستمرت قوتهم تزداد قوة وخطورة ، بل وراحوا

يهددوا مدينة دلهي التي وصلوا الى مشارفها ، وهو ما أقلق زعيم المغول "اورانجزيب" ، الذي أمر قواته بالزحف اليهم وملاقاتهم ، وعند اللقاء وبعد التحام الجانبين في معركة حامية ، انتصر الستناميون على المغول المسلمين ، وأوقعوا في صفوفهم هزيمة منكرة ، وقد ضن المغول ان تتباع تلك الطائفة انما يقاتلون بقوة السحر والشعوذة ، وشاع تأثيرهم النفسي بين جنود المغول فأجفلوا منهم وهربوا ،وحتى يلقي امبراطور المغول السكينة والطمأنينة في نفوس رجاله وعساكره ، أمرهم ببناء فسطاطه ، وجلس في مكان مخصص وراح يكتب بخط يده آيات من القرآن الكريم وبعض الأدعية المأثورة عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولما فرغ من كتابتها ، أمر بتعليقها بسارية الجيش ، ثمر سارت القوات المغولية وهي مُعبأة حماسا وقوة معنوية وتصميم على القتال ، ولما تقابل الجمعان ، وراحت السيوف تتحاور فيما بينها ، ألحق المغول بالستناميين هزيمة ساحقة ، حيث تمت ابادتهم وتصفيتهم ، ولم ينجوا منهم الا الشريد الهارب ، وبذلك وضعت دولة المغول نهاية لثورة الستناميين (سركار، ٣ ، ٢١٦)

ثالثا: ثورة "الراجبوت" الهندوسية

أدت سياسة "اورانجزيب" الدينية تجاه غير المسلمين في الهند فيما يتعلق بفرض ضريبة "الجزية" عليهم ، الى شيوع روح التذمر والعداء في وسط قبائل "الراجبوت" الهندوسية ، ولم تزل هذه الطائفة مصدر قلق وازعاج لدولة المغول في الهند في عصر "اورانجزيب" ، الى ان هلك زعيمهم "جسوانت سنك " حاكم ولاية "مارورار Marwar" ، وذلك في مدينة بيشاور سنة ١٦٧٨م ، الأمر الذي قوى سلطة المغول في تلك الولاية ، بينما لم يكن للزعيم الراجبوتي من الأبناء الا طفلا صغير ا مما اربك دولته وجعلها عرضة للتفكك والانقسام ، وهو ما شجع "اورانجزيب" على فتح تلك الولاية واخضاعها الى سلطان المغول ، كونها تحتل موقعا استراتيجيا هاما ، وقبل ذلك ، كانت عائلة "جسوانت سنك" قد جاءت الى مدينة دلهي لمقابلة الملك

"اورانجزيب" ، راغبين في تنصيب ابن "جسوانت سنك" خليفة لأبيه على عرش "ماروار" ، ولما وصولا القصر ، أمر "اورانجزيب" بالقبض على اميرهم الصغير ، ووضعه تحت الرعاية الملكية الخاصة الى حين بلوغه سن الرشد ، وطلب منه اعتناق الاسلام ليكون حاكما على الولاية ، وبالفعل اعلن اسلامه وتسمى بـ" محمد راج" (سركار،٣ ، ٢١٩/ماجمدار،٤٩٤)

لم يكن قرار الملك المغولي مريحا ولا مطمئنا لرجالات قبيلة الراجبوت ، بل والأمر الذي جعل الراجبوت يتخفون منه هو اعتناق أميرهم الصغير للإسلام ، ولذلك راحوا يخططون لتخليصة من القصر المغولي ، حتى توصلوا بالخديعة والدسائس الى تخليص أميرهم من الأسر (سركار،٣ ، ١٤٤-١٤٥) ، ولما علم القصر بالذي حصل ، أتبعهم الملك المغولي بقوات عسكرية للقبض على الأمير الراجبوتي واعادته الى دلهي ، الا ان الراجبوت اعتصموا بالجبال والمرتفعات العالية ، الأمر الذي مكنهم من ايقاع الأذى والقتل في صفوف المغول ، بل وقتل من القوات المغولية أعداد كبيرة جدا ، فرأى الملك بوادر الفوضى والفتنة تطل برأسها ، فحرك جيشا بقيادته تجاه "أجمير" سنة ١٦٧٩م ، وذلك عشية إخفاق ابن "اورانجزيب" محمد أكبر في ردع العصاة وتأديب ثورتهم وتمردهم ، ليعيد الملك تنظيم جيشه ، وأرسل ثلاثة جيوش في وقت واحد لملاقاة قبائل الراجبوت والتخلص من تمردهم ، وقد أولك قيادة تلك الجيوش الى ابنائه ، وهم محمد مُعظم ، ومحمد أعظم ، ومحمد أكبر ،بينما الملك يسير بخطاهم ويراقب عن كثب سير المعارك ، اقتحم بنفسه "جادبور" وأخضع"ماروار"، وطفق يهدم معابد الهندوس معبدا معبدا ، ويشيد على أنقاضها مساجد للمسلمين (سركار، مختصر تاريخ اورانجزيب ،١٤٤-١٤٥)

لم ينجح "اورانجزيب" في القضاء على زعماء قبائل الراجبوت الهندوسية ، بل استمروا يهددون استقرار دولة المغول من خلال تحويل حربهم معها الى حروب عصابات ، ليسند مهمة التخلص منهم والقضاء على تمردهم

وعصـيانهم لإبنـه الأميـر محمـد أكبـر ، ولمـا لـم بفلـح هـذا الأميـر بتحقيـق رغبـات والـده ، عزلـه عـن الجـيش، ولمـا أحـس الراجبـوت بتـدهور العلاقـة بـين الملـك وولـده ، سـارعوا الـى اسـتعطاف الأميـر واسـتمالته الـى جـانبهم ، معلنـين ولاءهـم لـه ملكـا علـى الهنـد ، ولا زالـوا بـه يسـتحثونه علـى الثـورة والعصـيان ضـد والـده الـى ان اسـتجاب الـى مطـالبهم ونـادى بنفسـه ملكـا علـيهم ، وقـد أشـار المـؤرخ"خـافي خـان" الـى ان الراجبـوت أحبـوا "محمـد أكبـر " لعلاقـاتهم معـه وعلـى مـا يتمتـع بـه مـن تحـرر كبيـر فـي مجـال العقيـدة والسـلوك ، فهـو ضـد سياسـة والـده الدينيـة الإسـلامية (منتخـب اللبـاب ، ٢٦٨)، وحينمـا تهيـأ للأميـر "محمـد اكبـر" أسـباب القـوة والمنعـة ، وبلغـت قواتـه مـا يزيـد علـى سـبعبن الـف مقاتـل ، زحـف يطلـب عـرش أبيـه ،فـي حـين كـان الملـك "اورانجزيـب" فـي أجميـر ، والأميـر يزحـف بقواتـه نحـوه ، وقـد ذاق "اورانجزيـب" مـن ولـده والراجبـوت ذرعـا ، الا انـه لـم يكـن ممـن ينفعـل او يتخـبط فـي سياسـته فـي مثـل هـذه الحالـة الطارئـة والخطيـرة ، بـل بـادر بحسـن دهائـه وحنكتـه السياسـية المعهـودة الـى الإيقـاع بـين ولـده وزعمـاء الراجبـوت ، وصـرفهم عـن محالفـة ابنـه ، فاصـطنع خطابـا مموهـا بعـث بـه الـى ولـده"محمـد أكبـر" ، تعمـد ان يقـع بأيـدي الراجبـوت ، وقـد أثنـى فيـه علـى الأميـر "اكبـر" وخداعـه للأعـداء ، وأمـره باسـتدراجهم حتـى يقعـوا فـي شـرك قواتـه ليبيـدهم عـن آخـرهم (خـافي خـان ، منتخـب اللبـاب، ٢٦٩-٢٧٢/ السـاداتي ، ٢، ٢٢٧-٢٢٨)، فكـان لهـذه الرسـالة أثرهـا ووقعهـا البـالغ علـى الزعمـاء الراجبـوت ، بـل ولعبـت الرسـالة دورا محوريـا فـي تفتيـت التحـالف بـين "الأميـر محمـد اكبـر" وزعمـاء الراجبـوت ، فـأوهم الملـك المغـولي الراجبـوت ان ولـده إنمـا يلعـب بمصـيرهم ليـوردهم مـورد الهـلاك ، فشـعر الراجبـوت أنهـم اسـتغفلوا ليقعـوا فريسـة سـيف المغـول ، فتركـوا مـواقعهم ، وتركـوا الأميـر محمـد اكبـر ،ليفقـد الأميـر بـين عشـية وضـحاها غالبيـة العسـاكر التـي عقـد عليهـا الآمـال العـراض ، فـولى الفـرار نحـو الـدكن فـي الجنـوب مـن الهنـد ، وأمعـن بـالهرب ونـزل عنـد زعـيم "المرهتـا الأميـر شـيفاجي"، ولمـا زحـف "اورانجزيـب" تجـاه الجنـوب فيمـا بعـد ، غادرهـا الأميـر متوجهـا الـى بـلاد فـارس

واستقر هناك الى ان مات سنة ١٧٠٤م، وبذلك تخلص الملك المغولي من الراجبوت في سنة ١٠٩٢هـ/١٦٨١م، وخضعت "ميوار" لسلطان المغول ، واعطى زعيم الراجبوت" بهما سنك" ولاءه المطلق لعرش المغول ، واغدق عليه الملك "اورانجزيب" الهدايا والأعطيات الكبيرة والكثيرة (شارما،امبراطورية المغول في الهند ، ٢٩٣-٢٩٤/سركار،٣، ٢٤٦)

رابعا: ثورة طائفة "السيخ"

من الثورات الخطيرة التي اشتعل اوارها في وجه الملك المغولي"اورانجزيب" على أثر سياسته في تطبيق فرض ضريبة الجزية على المواطنين غير المسلمين في الدولة المغولية ، تلك الثورة التي أشعلتها طائفة "السيخ" الذي بادروا الى رفض سياسة المغول واعلنوا عصيانهم عليها ، وينبغي في هذا السياق الحديث عن تاريخ تلك الطائفة بشكل مقتضب ، وذلك لتوضيح مسببات الثورة ودوافعها ومسببات قمعها ونتائجها .

أسست ديانة "السيخ Sikh" على يد المصلح الهندوسي"كورو بابا ناناك Guru Baba nanak ١٤٦٩م – ١٥٣٩م" (Cunningham,History of the Sikh,pp35-37" ، وقد أعتمد في دعوته على أسس ومباديء كثيرة ومتنوعة المصادر الدينية ، منها ان ديانته الجديدة اعتمدت على أصول وأسس الديانتين الإسلامية والهندوسية ، وقد ظهر ت هذه الديانة في شمال الهند ، وتحديدا في مقاطعة البنجاب(Maculiffe,The Sikh Religion,i,1) ، وكان "غورو بابا ناناك"يُعلن على الملأ أنه اذا ما امتزجت الديانة الإسلامية بالديانة الهندوسية ، عم البلاد الخير والفلاح ، حيث نتج عن هذا الإندماج ،مذهبا دينيا جديدا وهو ديانة"السيخ" (Sarkar,iii,200) ، بينما تركزت دعوة هذا المصلح الهندوسي في اقليم البنجاب ، وكان ولادة هذه الديانة متزامنا مع ولادة إمبراطورية المغول المسلمين في الهند على يد الزعيم المغولي الكبير "ظهير الدين محمد بابر".

استطاع "تاناك"من ان يضع القوانين و الأسس والتعليمات الدينية لهذا الدين الجديد قبل مماته سنة ١٥٣٩م ، فكان بمثابة الأب الروحي والزعيم الديني الكبير لتلك الطائفة ، ثم خلفه من بعده الزعيم الجديد " أنكاد Angad" ، ١٥٣٩-١٥٥٢م" ، وقد عاصر هذا الزعيم الملك المغولي "همايون" ، ثم خلفه الزعيم "أمرداس Amardas ١٥٥٢-١٥٧٤م"، ليصبح الأب الروحي والقسيس الأعظم لتلك الطائفة (Maculiffe,op-cit,ii,19-20) ، الا ان الوقت لم يسعفه في لعب دور مهم في رعاية الطائفة ونشر افكارها في اقليم الهند ، فمات في نفس العام الذي تقلد فيه زعامة الطائفة ، وخلفه من بعده الزعيم " رام داس Ram Das" ١٥٧٤-١٥٨١م ، وقد تزامنت زعامة "رام داس" لطائفة "السيخ" مع عصر الملك المغولي "جلال الدين محمد أكبر" ، الذي قدم رعاية فائقة "للسيخ" وأتباعهم في الهند ، بل وحظي "رام داس" بمكانة رفيعة في بلاد المغول ، واغدق البلاط المغولي عليه بالهبات والأموال الكثيرة ، ومنح الطائفة قطعة أرض خاصة في مقاطعة البنجاب وذلك لبناء معبد للطائفة ، وسميت هذه المنطقة بـ "أمرتسار Amritsar" ، وذلك في سنة ١٥٧٧م(Maculiffe,op-cit,iii,1)

لقد علا شأن طائفة "السيخ" وزعيمهم "رام داس" في عصر الملك المغولي "أكبر" ، وراحت تنتشر بين الناس ، واصبحت مدينة "أمرتسار" محجا للسيخ ومكانا مقدسا لهم ، لا سيما بعد بناء معبدهم الكبير "المعبد الذهبي" ، وبعد وفاة "رام داس" خلفه على زعامة طائفة السيخ الزعيم "أرجان Arjan" ١٥٨١-١٦٠٦م ، ويعتبر هذا القائد من ألمع وأبرز الزعماء الذين عرفتهم طائفة السيخ عبر تاريخها الطويل ، فهو الذي ساهم في تنظيم معتقدات السيخ وتنظيم طائفتهم ، الأمر الذي أوصل الطائفة الى درجات كبيرة وعالية من التأثير والقوة في بلاد الهند ، مستغلا بذلك سياسة اباطرة المغول المتسامحة كثيرا معهم ومع غيرهم من الأديان والطوائف الأخرى ، خصوصا عصر "أكبر" وابنه " جهانكير" (Najjar,Punjab under the great

"Mughal,p84" ، ولـم تـركن دعـوة طائفـة السـيخ الـى حصـر جهودهـا فـي اقلـيم البنجـاب فحسـب ، بـل راحـت تنتشـر فـي كثيـر مـن مـدن وقـرى اقـاليم الهنـد الوسـطى ، حتـى بلغـت شـأوا كبيـرا ، الـى درجـة ان ملـوك المغـول وقـادتهم كـانوا ينحنــون أمامــه ، لاسـيما الملــك المغــولي"جــلال الــدين اكبــر" ، الــذي كــان لتســامحه المفـرط تجـاه طائفـة السـيخ كبيـر الأثـر علـى بلـوغ تلـك الطائفـة وزعيمهـا شـأوا كبيـرا ، والملـك أكبـر لـم يكتفـي بمـنح الرعايـة لطائفـة السـيخ فحسـب ، بـل منحهـا كامـل الحريـة فـي نشـر معتقـداتها علـى أرض الهنـد حتـى فـي وسـط المسـلمين ، وقـد اعتـرض العديـد مـن مشـايخ وعلمـاء المسـلمين علـى تلـك السياسـة المغوليـة المنحـازة الـى طائفـة السـيخ ، ومـن ابـرز العلمـاء الـذين رفعـوا رايــة المعارضــة والاحتجـاج الشـيخ "أحمـد الفـاروقي"، بـل واعلـن حربـه ضد السيخ مباشرة (Sharma,op-cit,p.282/Najjar,op-cit,p85)

كانــت طائفــة "الســيخ" تلتــزم الحيــاد التــام فــي ممارســة الأنشــطة السياســية والعسـكرية ، واقتصـر عملهـا علـى نشـر العقيـدة الجديـدة بـين النـاس ، كمـا انهـم احترمـوا القيـادة المغوليـة ومؤسسـاتها فـي عصـر الملـك "اكبـر" ، ولمـا مـات "اكبـر" انحـازت طائفـة السـيخ الـى الأميـر الثـائر "خسـروا خـان ابـن اكبـر" ضـد الملــك الجديــد "جهــانكير" ، مــع انــه أبــدى تســامحا كبيــرا للطائفــة ، الا ان "خسـروا" كـان علـى مـا يبـدوا بينـه وبـين السـيخ علاقـات عميقـة وقويـة ممـا دفعهـم الــى مناصــرته لتــولي عــرش المغــول ، وهــي المــرة الأولــى التــي تتــدخل فيهــا طائفـة السـيخ بالشـأن الـداخلي والسياسـي لدولـة المغـول ، وهـو مـا غيـر مسـارها الـدعوي الـى السياسـي ، وقـد أدت هـذه الخطـوة التـي اقـدمت عليهـا الطائفـة الـى دفـع ثمـن بـاهض وكبيـر ، حيـث قتلـت دولـة المغـول زعـيمهم " أرغـان سـنك" سـنة ١٦٠٦م(Majumdar,op-cit,p492)، وتسـلم زعامــة الطــائف الــزعيم " هاركوبنـد Hargobind" ١٦٠٦-١٦٤٥م، وكــان اكثــر خبــرة وتمرســا علــى فنـون السياسـة والقتـال مـن سـابقيه ، بـل دفعـه طموحـه الـى مواجهـات مفتوحـة مـع دولـة المغـول ، حيـث انتقـل بالطائفـة وأتباعهـا مـن مرحلـة الزهـد والتقشـف

الــى مرحلــة العمــل السياســي والتــدريب العســكري ، الا ان محاولاتــه تلــك شــكلت خطــرا واضــحا علـــى شـــرعية الدولـــة المغوليـــة ، الأمـــر الـــذي دفـــع بالملـــك "جهـانكير " الـى مطاردتـه وملاحقتـه الـى ان قـبض عليـه وأودعـه السـجن بضـع سـنين ، وحينمـا تـولى الملـك "شـاهجهان" عـرش الهنـد ، أطلـق سـراحه وعفـا عنـه ، ولـم يكـن لهـذا العفـوا كبيـر أثـر علـى نفـس الـزعيم "هاركوبنـد" تجـاه مـنح الطاعـة والـولاء لدولـة المغـول ، بـل باشـر تمـرده وثورتـه علـى المغـول ، وكانـت اول مواجهـــة عســكرية فـــي موقعـــة " ســـامكرام Samgram" القريبـــة مـــن مدينـــة "أمرتسـار" فـي سـنة ١٦٤٥ ، والتـي انـزل بهـا هـزائم كبيـرة فـي صـفوف القـوات المغوليـــة ، استشـــعرت دولـــة المغـــول مخـــاطرهم ، وتجهـــزت للحـــد مـــن تلـــك المخـاطر ، وراحـت تطـاردهم وتلاحقهـم الـى ان اعتصـموا فـي جبـال "كشـمير " المرتفعـة ، حتـى لقـي زعـيمهم "هاركوبنـد" حتفـه فـي كشـمير سـنة ١٦٤٥م (Najjar,op-cit,p.89) ، وخلفــه مــن بعــده ولــده" هــار رايHar-Ray " ١٦٤٤-١٦٦١م، ليكـون سـابع الآبـاء الـروحيين لطائفـة السـيخ فـي الهنـد ، وقـد حظـي هـذا الـزعيم بـالكثير مـن التقـدير والاحتـرام علـى يـد المغـول ، لا سـيما علـى يـد الأميـر المغـولي "دارا شـيكوه بـن شـاهجهان" ، حيـث كـان يتـردد علـى هـذا الأميـر كثيـرا ويجلـب لـه الهـدايا الكثيـرة (Maculiffe,op-cit,iv,203 (M.Gregore,The History of the Sikh,ii,20-21/

ولمـا تقلـد الملـك"محـي الـدين محمـد اورانجـز يـب" عـرش دولـة المغـول فـي الهنـد ، وهـو الـذي قـاد حربـا واسـعة وكبيـرة مـع شـقيقه "دارا شـيكو" الـذي قلـده والـده عـرش المغـول فـي الهنـد ، والـذي احـتفظ بعلاقـات خاصـة وهامـة مـع زعـيم المغـول "هـار راي" الـذي أعلـن تأييـده المطلـق لملـك المغـول "دارا شـيكوه" ، كـان لعلاقـات "دارا شـيكوه " مـع السـيخ الـذين ايـدوه ضـد شـقيقه ، سـببا جوهريـا كافيـا لـيعلن "اورانجزيـب " حربـه علـى تلـك الطائفـة ويضـع لهـا حـدا فـي الهنـد ، فحينمـا فـرغ مـن الاسـتيلاء علـى عـرش الهنـد والـتخلص مـن شـقيقه ، حتـى ارسـل بطلـب زعـيم طائفـة السـيخ" هـار راي" يسـتدعيه الـى بـلاط المغـول فـي

دلهي لمحاكمته ، فما كان من زعيم السيخ الا رفض دعوة ملك المغول"اورانجزيب" ، بل ارسل مكانه ولده ، وحاول ولده استدرار عطف وود ملك المغول ليمنح الأذن في استخلاف والده زعيما على طائفة السيخ ، الا ان "اورانجزيب" رفض ذلك العرض (Khazan Singh,History and philosophy of the Sikhs,i,139) ، ويبدو ان القدر عجل بموت "هار راي " وولده ، ليخلفهم على زعامة الطائفة "كورو هار كيشان Guru Hari Kishan" ١٦٦١-م-١٦٦٤م ، وطلب الآخر للمقول امام امبرطور المغول في دلهي ، الا انه توفي قبل المثول امام زعيم المغول ، وعقب وفاته ، اضطربت احوال الطائفة ، وباتت مهددة بالانقسامات الداخلية الى ان قيض لها زعيما جديدا وهو "تيك بهادر Tegh Bahadar" ١٦٦٤-١٦٧٥م، حيث نجح في لملمة الطائفة وتوحيدها من جديد ، وأضحت قوية الى درجة ان زعيمها أعلن وبكل شجاعة مناوءته لعرش المغول ، دون أدنى وجل من النتائج التي سيتمخض عنها هذا الموقف ، وحينما استشعرت الدولة المغولية خطر السيخ ، ارسل "اورانجزيب" في طلب زعيمهم للمثول امامه في مدينة دلهي ، ونزل عند رغبة الملك المغولي ، وتحرك لملاقاته في دلهي ، واثناء مسيرة وقع في قبضة بعض الجنود المغول وحملوه الى "اورانجزيب" ، ولما دخل عليه طلب منه اعتناق الإسلام ، الا انه رفض رفضا قاطعا ، فأمر "اورانجزيب" باعتقاله ، وحبسه خمسة أيام ، ثم أمر بقتله شنقا(Sharma,op-cit,405/Sarkar,iii,207)

كان لشنق زعيم طائفة السيخ " تيك بهادر" أثرا سلبيا على علاقات المغول بطائفة السيخ ، و أثارت في نفوس اتباع الطائفة روح النقمة والبغضاء تجاه المغول ، وأشعلت روح الحرب بين المسلمين وطائفة السيخ ، بل وتعاطفت طائفة الهندوس معهم للأخذ بثاراتهم من ملك المغول "اورانجزيب" ، فبعد اعدامه شنقا ، تولى زعامة الطائفة " كوبند سنك Gobind Singh" ١٦٧٥-١٧٠٨م ، حيث تمكن من ترتيب الصف الداخلي ، وقام بتسليح

اتباعه واعدادهم اعدادا حربيا قويا ، للوقوف في وجه المارد المغولي الذي يتهدد وجودهم وحياتهم ومستقبل عقيدتهم ، وجعلته سياسته المتصلبة تجاه المغول من اقوى زعماء الطائفة في تاريخها ، وحينما غادر "اورانجزيب" نحو الجنوب الهندي ، قامت القوات المغولية بجمع الضرائب من البنجاب والمناطق الشمالية ، امتنع الأهالي عن دفع تلك الأموال لخزينة الدولة ، بل وقاموا بتصفية القوات المرافقة لجامعي الضرائب ، الأمر الذي دف بملك المغول الى تحريك جيشه للقضاء على تمر السيخ والقبائل المساندة لها في اقليم البنجاب ، وعلى الر غم من استبسال زعيم السيخ ، الا انه خسر المعركة امام المغول وبات طريدا هائما على نفسه الى ان مات "اورانجزيب " سنة ١٧٠٧م (Maculiffe,op-cit,v,304)

سياسة "اورانجزيب" تجاه الجنوب الهندي "الدكن"

اولا : فتح "بيجابور"

لما فرغ "اورانجزيب"من استتباب الأمن والاستقر ار في ربوع الأقاليم الشمالية والوسطى للهند ، ووضع حدا لثورات القبائل الراجبوتية والستامية وطائفة السيخ ، وجه انظاره وتطلاعه الى جنوب الهند ، وتحديدا الى مقاطعة الدكن ، وقد سبق لـ"اورانجزيب" ان حكم ولاية الدكن يوم كان اميرا في عهد والده "شاهجهان"، وخبر ار ضها وسكانها ، وتمرس على الإدارة الحربية والسياسية والإدارية فيها ، كما لعب الملك المغولي أبرز الأدوار العسكرية حينما واجه عصيان الشيعة وثورتهم ضد دولة المغول ، لا سيما مملكتي "بيجابور" و"كولكنده" ، التي أظهرت عداءها وقلة أدبها تجاه الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم ، ودعوتهم لـ"شاه عباس الصفوي" من على منابر المساجد ، دون وضع اعتبار لحكم المغول السني في ارض الهند ، ونجح في قمع تلك الثورة وتأديب الشيعة في "بيجابور" و"كولكنده" ، ولما ولي القائد"جاي سنك " ولاية الدكن بأمر من "اورانجزيب" خاض هو الآخر حروبا ضد المر دة والعصاة من الشيعة وقبائل "المرهتا" الهندوسية ، وبقي في

حربهم الى ان أبرمت بينهم اتفاقية مصالحة تلتزم بموجبها "بيجابور"و"كولكنده" الشيعيتين بعدم شتم وسب الخلفاء الراشدين ، والغاء قراءة الخطبة باسم ملك فارس"عباس شاه الصفوي" ، الا ان الشيعة لم يحترموا تلك الاتفاقية ، ورجعوا سيرتهم السيئة المعهودة في شتم الخلفاء الراشدين ، بل وحركوا قواتهم وواجهوا الدولة المغولية وأوقعوا في صفوف المغول هزائم متكررة (Ellphinstone,op-cit,630)

استأنفت الشيعة في جنوب العهند أنشطتها ضد دولة المغول ، وراحت تعلن مرة أخرى سب وشتم الخلفاء الراشدين من على المنابر ، ولم يرق هذا الموقف لدولة المغول التي ترفع راية السنة في جنوب آسيا ، بل وجدت فيه عدوانا صارخا على الإسلام والمسلمين وعلى عرش المغول في الهند ، لا سيما حينما أعلن زعيم "بيجابور" الشيعي" محمد عادل شاه" المواجه العلنية والصريحة تجاه العرش المغولي، حيث راح يتوسع في دولته على حساب الدولة المغولية ، كما امتنع عن اعطاء الدولة ضريبة الخراج ، وضم اليه العديد من المناطق التي كانت تخضع لسلطان المغول وسيادتهم ، حيث امتدت حدود الدولة الشيعية من بحر العرب غربا الى خليج البنغال شرقا ، وبلغت حاصلة الموارد في عهد"محمد عادل شاه" ما يزيد على سبعة كرورات (Crors) من الروبيات الهندية (٧٠مليون روبية) ، وبلغ عديد قواتهم المسلحة حوالي ٢٥٠،٠٠٠ من المشاة ، وحوالي ٨٠،٠٠٠ من الفرسان (Sarkar,iv,110) ، وهو ما شكل مخاطر حقيقية تجاه الدولة المغولية ، الا ان وفاة "عادل شاه" سنة ١٦٧٢م ، عطلت طموحات الدولة في التوسع والعدوان ، خصوصا بعدما تقلد ولده "اسكندر" الذي لا يتجاوز سن البلوغ بعد ، ويؤكد المؤرخ "خافي خان" ان عمره كان يوم توليه مقاليد الدولة لا يزيد على اربع سنوات ،الأمر الذي سرع في انتشار الفوضى والاضطرابات الداخلية ، وباتت وقوع حربا اهلية تقرع الأبواب ، وهو ما أغرى سلطان المغول بالزحف نحوها والتخلص من شرورها (Khafi khan,op-cit,319)

وجه الملك المغولي "اورانجزيب" اوامره الى احد قادته في الدكن ويدعى" بهادر خان" بالتحرك صوب "بيجابور"و"كولكنده" وذلك سنة ١٦٧٦م ، الا ان جيش المغول أخفق في هذه الحرب ، فأقاله "اورانجزيب" وولى مكانه"ديلر خان" (Sarkar,iv,116-117) ، وحاول القائد الجديد من خلال ممارسة اساليب الدهاء والحيلة والمكر ان يستميل قائد"بيجابور" وجعله يوقع اتفاقية صلح مع الدولة المغولية ، حيث كانت رغبة "اورانجزيب" ان يتم اخضاع المنطقة بالطرق السلمية لا العسكرية ، وبالفعل تم اعتراف الزعيم الشيعي بسيادة المغول على "بيجابور" والدكن ، وقبلت الشيعة بعدم دعم قبائل "المرهتا" الهندوسية ضد الدولة المغولية ، وبلغت حالة التوافق والرضا حدا ان ارسل زعيم "بيجابور" شقيقته هدية لإبن الملك"اوارنجزيب" وهو محّمد م ُعظّم" كي يتزوجها (Sarkar,iv,123) ، ولما لم يمر على المعاهدة كثير زمان ، حتى نقض حاكم "بيجابور الشيعي " شروطها بتحالفه مع "شيفاجي" زعيم قبائل "المرهتا" الهندوسية ، فما كان من القائد المغولي"ديلر خان" الا ان شن حربا كبيرة ضد "بيجابور" واستطاع اخضاعها واوقع في اهلها المذابح والقتل ، وبرغم من النجاح الذي أحرزه ، فقد أنبه "اورانجزيب" على ذلك ، لرغبته في السيطرة عليهم بالطرق السلمية من اجل استقطابهم في حرب الدولة المغولية ضد قبائل "المرهتا" الهندوسية (Sarkar,iv,123-134)، وعلى الر غم مما حل بـ"بيجابور" من مذابح كبيرة في صفوف زعاماتها وناسها ، الا أنها حافظت على استقلالها عن دولة المغول ، الأمر الذي دف بـ"اورانجزيب" الى تحريك جيوش خاصة بقيادة ولده الأمير" محمد أعظم " سنة ١٦٨٠م ، ولما اقتربت قوات المغول من مشارف المنطقة ، وجدها محصنة ومنيعة ، ففرض عليها حصارا لمدة ثلاثة أشهر ، بينما "بيجابور " تستبسل وتقاوم ، ولم يكن الملك المغولي ليترك ما بذلته دولته من جهود لتضيع أدراج الرياح ، ليزحف بنفسه سنة ١٦٨٦م ويفرض حصارا على "بيجابور" الى ان أعلنت استسلامها للمغول ، حيث عفى "اورانجزيب" عن زعيمها(Sarkar,iv,277,278).

ثانيا: فتح"كولكنده"

عقب فراغ الملك المغولي"اورانجزيب" من اخضاع "بيجابور " الى سلطان المغول ، وجه اهتمامه تجاه اخضاع مملكة "كولكنده" الشيعية ، وذلك في آواخر سنة ١٦٨٦م ، وهي يومئذ تحت قيادة زعيمها الشيعي"ابو الحسن قطب شاه" ، وكان من اسباب حملة "اورانجزيب" على تلك المملكة ما كانت تقدمه من دعم مادي وعسكري لقبائل "المرهتا" الهندوسية في حربها ضد دولة المغول ، بل وبلغ من تواطوء تلك الدولة الشيعة ضد الدولة المغولية السنية ، انها قامت بتعيين زعيمين هندوسيين وهما " مادنا" و"أكانا" وزراء في الدولة الشيعية ، وهم من أشد المناوئين لدولة المغول في الهند (منتخب اللباب ، ٢٩٧)

لم يفلح الأميرمحمد مُعظم" ابن الملك "اورانجزيب" الذي قاد حملة عسكرية لإخضاع"كولكنده" من تحقيق الانتصار المطلوب ، وذلك لقة حيلته في الإدارة والسياسة والحزم ،فحرصت دولة المغول على استمالة "ابو الحسن "الشيعي الى صفها بالطرق السلمية ، الا ان ابو الحسن كان يرفض كافة العروض التي تقدمها له دولة المغول ، ومع مرور الوقت ، وممارسة دولة المغول ضغوطات كبيرة لحمل "كولكنده" على التسليم والخضوع لسلطان المغول ، شعر ابو الحسن ان سلطانه بدأ يتفكك ويضعف ، وان الكثيرون من قادته تخلوا عنه وانضموا الى الدولة المغولية ، خصوصا بعد سقوط مدينة "حيدر آباد" بيد المغول ، الأمر الذي جعله يرضخ لبعض الشروط التي فرضتها عليه الدولة المغولية ، ومن أبرزها حبس وزيريه الهندوسيين ، ودفع الخراج المستحق للدولة المغولية ((Sarkar,AShort,228/Sharma,298

وحينما خلص الملك المغولي من شأن تلك الاتفاقية بينه وبين حاكم "كولكنده" ابو الحسن الشيعي، استطاعت بعض النسوة من قتل الأميرين الهندوسيين في محبسهما ، ويبدو ان لدولة المغول يد في هذه المهمة ،

حيث اعلن الملك المغولي عن فرحته لتلك الحادثة ، ولم يكتف بما حصل ، بل زحف اليها من جديد للقضاء على ابو الحسن ، وفوجيء بمناعة حصونها وقوة اسوارها، اضافة الى المؤن والأسلحة التي احتاط اليها الزعيم الشيعي من أجل البقاء داخل القلعة مع قواته مدد طويلة جدا ، وفرض المغول حصارهم ، وعانوا ما عانو ا من هذا الحصار بسبب سوء الأحوال الجوية ، وبلوغ الحرارة درجات متدنية جدا ، مما لا يحتمله الجند ، وتفشي الأمراض بين الجيش المغولي ، وأضحت هزيمة المغول قاب قوسين او أدنى من الحدوث ، الا ان "اورانجزيب" لا يعرف القنوط ولا التردد والتراجع ، فأعمل الحيلة والخديعة، ونجح في استمالة بعض وزراء ابو الحسن الشيعي ، عن طريق منحهم الأموال الكثيرة ، حيث أقنعهم بفتح أحد أبواب الحصن أمام قوات المغول ، وبالفعل تحقق للمغول ما يصبون اليه ، فدخلت القوات المغولية الى داخل القلعة ، واستولت علىما فيها من ارزاق ومؤن واسلحة ، ووقع ابو الحسن في أسر المغول واحضر الى "اورانجزيب" واصدر عفوه عنه ، ومنحه رعاية خاصة ، واعطاه نفقة سنوية تقدر بحوالي خمسون الف روبية كل عام (Sarka,iv,314-315)

ثالثا: المواجهة مع قبائل "المرهتا"الهندوسية

كانت قبائل "المرهتا Maratha" [1]الهندوسية تنظر بعين الريبة والخوف من الحملات التي يشنها ملك المغول"اورانجزيب" ضد مملكتي"بيجابور"و"كولكنده" الشيعيتين في جنوب الهند ، وبات زعيمهم " شامبهوجي بن شيفاجي" أكثر حذرا وترقبا لجيش المغول ، وفي نفس الوقت

[1] لم يكن لقبائل "المرهتا" الهندوسية اي تاريخ حضاري في الهند ، ولم يظهر لهم كيانات سياسية على ارض الهند ، فهم اقوام قليلة العدد ، يتميزون بسوء احوالهم الاجتماعية ، بل ويغلب عليهم طابع الشذوذ والانحراف وعدم التقيد بقوانين اجتماعية في حياتهم ، ويعتبرون من طبقة "الشودرا" وهم المنبوذين ضمن الطبقات المعترف بها في الهند ، والتي تقع في أسفل الطبقات وأدناها مكانة ، ويؤكد المؤرخ الهندي "سركار" ان ظهور هذه الطبقة التي تعرف بالمرهتا كان قبل اعتلاء "اورانجزيب" عرش المغول في الهند مدة قرن ونصف على وجه التقريب ، ولا نستطيع تحديد فترة وجودهم في مناطق الدكن الجنوبية ، وقد غلب عليهم عدم الاستقرار ، فهم يرتحلون من مكان الى مكان آخر ، دون ضابط يجمعهم ويوحد صفوفهم (Sarkar,iv,3,4/Ellphinstone,615,616)

، كـان الـزعيم الهندوسـي يسـتغل انشـغال دولـة المغـول فـي حربهـا ضـد الشـيعة فــي الجنــوب ، ويتوســع فــي الأراضــي علــى حســاب دولــة المغــول ، وبلغــت الجــرأة بقــوات "المرهتــا" الهندوســية اعــلان ثــورتهم وعصــيانهم علــى عــرش المغــول فــي الهنــد ، وكــان "اورانجزيــب" يراقــب تحركــاتهم ، الا انــه تــركهم وشأنهم لحين فراغـه مـن بسـط هيمنـة الدولـة علـى ممالـك الشـيعة فـي "بيجـابور" و"كولكنــده" ، وكانــت دولــة المغــول قــد أبرمــت معهــم اتفاقيــة ســنة ١٦٦٦م ، واسـتمرت ثـلاث سـنوات ، لكـن الـزعيم الهندوسـي" شـيفاجي" لـم يلتـزم بشـروط الاتفاقيــة ، بــل ونقــض العهــد ، وراح يبغــي ويعتــدي علــى اراضــي الدولــة المغوليــة فــي جنــوب الهنــد ، الــى درجــة انــه شــن حربــا علــى المغــول ســنة ١٦٧٠م (Sarkar,iv,32-82/Ellphinstone,653,654) محققــــــــــــــــــا انتصــارات علــى ارض الميــدان ، وبقــي يشــكل عامــل ازعــاج لدولــة المغــول الــى ان مــات الــزعيم الهندوســي "شــيفاجي" ســنة ١٦٨٠م ، ولــم يكــن "اورانجزيــب" مـن القـادة اللامبـالين لمـا يقـوم بـه الهنـدوس فـي الجنـوب الهنـدي مـن قلاقـل واضـطرابات يثيرونهـا فـي وجـه الدولـة المغوليـة فـي كـل حـين ، حتـى حـرك قواتــه زاحفــا نحــو "المرهتــا" ســنة ١٦٨٩م ، واوقــع فــيهم هــزائم منكــرة ، وأزال سـلطانهم ، وكـان معقلهـم آخـر المعاقـل التـي كانـت قـد استعصـت علـى العـرش المغولي ، وبذلك دانت الهند بكافة أقاليمها الى سلطان المغول المسلمين .

تـوفي الملـك المغـولي"محـي الـدين محمـد اورانجزيـب" فـي شـهر ذي القعـدة سـنة ١١١٨هــ الموافــق شــهر شــباط/فبرايــر ســنة ١٧٠٧م ، وذلــك إثــر إصــابته بمـرض المفاصـل ، حيـث بلـغ هـذا الـزعيم المغـولي ٩١ عامـا ، حكـم الهنـد خمســة عقــود، ودفــن فــي مدينــة "دولــت آبــاد" جنــوب الهنــد"الــدكن" (نزهــة الخواطر، ٦، ١٣٥/منتخب اللباب، ٥٣٩، ٥٤٠)

سياسة "اورانجزيب " الدينية

تعرضت الدولة المغولية التي أسست على المذهب السني ، وعلى مذهب الإمام ابو حنيفة ، فدولة المغول اتخذت من المذهب الحنفي مذهبا رسميا للدولة ، تعرضت للكثير من الأفكار والطرائق الفلسفية التي كادت ان تودي بتطور انتشار الدعوة الإسلامية في ربوع شبه القارة الهندية ، وذلك يعود الى مجموعة من الأسباب الطبيعية التي تتوفر في الهند ، ففي الهند تنتشر الفلسفات والأديان الكثيرة والمختلفة والمتباينة ، وقد تطور الفكر الفلسفي في الهند تطورا اكثر منه في الحضارات القديمة الأخرى ، لينبثق عنها عشرات الفلاسفة والمصلحين الدينيين والإجتماعيين ، بل وشهدت ولادة ديانتين كبيرتين ،هما : الديانة البوذية ، والديانة الهندوسية ، وهذه الديانات تركت آثارا فلسفية كثيرة من أبرزها الكتب الدينية القديمة مثل الركفيدا ، والمهابهاراتا ، هذا التطور الكبير في المجال الديني والفلسفي خلق صعوبات كبيرة وتحدياتصعبة امام الدول والز عامات الاسلامية التي حكمت الهند ، من تلك الدول التي كانت عرضة لمؤثرات الفلسفة الهندية ، هي دولة المغول المسلمين ، حيث كان تأثرها بالفلسفة الهندية كبيرا ، وقد ظهرت

ملامح تأثير الفلسفة الهندية على ملوك المغول في عصر الملك "جلال الدين أكبر" الذي خضع وهو ابن ثلاثة عشر سنة لنفوذ الأمير "بيرم خان الشيعي" الفارسي حيث كان وصيا على عرش المغول ، الذي بقي يدير دفة العرش المغولي وقتا طويلا الى ان بلغ من تاثيره على ملك المغول مرحلة انقلب فيها على الدين الإسلامي وتعاليمه السمحة ، بل وراح ينادي الى دمج الأديان وخلق دين جديد يتماشى مع طبيعة الشعب الهندي ، كما كان لزواج الملك "اكبر" من الأميرات الراجبوتيات الهندوسيات كبير أثر على أخلاقه وسلوكه الاجتماعي والديني (آين أكبري ، ٢، ١٥٩)

ساير الملك "اكبر" كافة الأديان المنتشرة في الهند ، وقرب اتباعها وزعمائها الى قصره وبلاطه ، بل وبنى لهم المعابد والأديرة والكنائس في فناء القصر الملكي ، كما انه نحى منحا فلسفيا جديدا في اتخاذه مبنى خاصا لممارسة طقوسه ومعتقداته الجديدة والذي أسماه "عبادة خانه" ، شيد هذا المبنى في مدينة "فاتحبور سكري" لتدارس عقائد الأديان ومبادئها ، حيث قادته توجهاته الفكرية الى دمج الأديان بعضها ببعض ، وخلق دين جديد اسماه وأسماه العلماء والفقهاء في عصره بـ"الدين الإلهي او التوحيد الإلهي" ، واعتبره المؤرخ الهندي "شارما" :شيء جامع لخصائص التوحيد الإلهي التي تؤمن بها الهندوسية والمجوسية والجينية والبوذية واليهودية والنصرانية والإسلام "(Religious Policy of the great Mughals,p155) ، وقد بلغت حالة التسامح الدينية التي أظهرها الملك "اكبر" تجاه الأديان الأخرى حدا جعلهم يقومون بالدعوة والتبشير الى نشر اديانهم بين المسلمين ، ويؤكد هنا المؤرخ المعاصر لأكبر "عبدالقادر البدايوني" :"أنه من شاء من المسلمين دخل في دينهم ومن شاء بقي على ما هو عليه ، مما سببت هذه الممارسات تداعيات خطيرة للإسلام والمسلمين ، بل وأفقدت تلك السياسة هيبة الإسلام والمسلمين ، وقد زاد من حرب الملك المغولي على الاسلام انه راح يطارد العلماء المسلمين الذين أعلنوا معارضتهم لسياسته الدينية التي انحرفت بعيدا

عن حقيقة ما يدعوا اليه الاسلام ، فطرد مجموعة من العلماء السنة الى افغانستان ، حيث استقروا في مدينة "قندهار "(منتخب التواريخ ، ٢، ٣٠٨) ، وبلغ تطرف الملك"أكبر" حدا اعتبر فيه تعلم اللغة العربية وتعليمها جريمة نكراء ، وحال بينها وبين انتشارها بين المسلمين ، لا سيما منعها في المدارس والمعاهد العلمية المنتشرة في الهند ، ومنع ايضا تعلم القرآن الكريم ، والأحاديث النبوية الشريفه وعلومها ، وسمح في نفس الوقت ، على ما أكده المؤرخ البدايوني ، لتعلم الفلسفة والرياضيات والطب والفلك والطبيعيات والشعر والسحر (منتخب التواريخ ، ٢ ، ٣١٦)

اقتفى الملك "جهانكير بن أكبر" بسياسة والده في التقرب من الهندوس وغيرهم ، حيث فتح لهم ابواب الرعاية والخدمة ، وحافظ على سجدة التحية التي أقرها الملك "أكبر" ، لكنه عفا العلماء والمشايخ والفقهاء المسلمين من ممارستها في حظرة الملك (Sharma,op-cit,pp.73-74) ، وحصلت تطورات في مسيرة الملك المغولي ، اذ قرب اليه علماء السنة وراح يأخذ بنصائحهم الى درجة انه بدأ ينصاع الى رغباتهم ، فحضر بيع الخمور والأفيون ، مع أنه كان مدمنا عليها (Tuzuk-i-Jahangiri,p.76) ، وفي عهده كان ظهور المجدد الديني الشيخ العلامة "أحمد بن عبد الأوحد الفاروقي السرهندي"الذي يعرف بمجدد الألف الثاني الهجري ، عاش في كنف الدولة المغولية في عهد "جلال الدين أكبر" قرابة اربعين سنة ، وكان معارضا أشد المعارضة على سياسة "أكبر "الدينية ، وحمل راية التصدي لكل مفاسد الدولة المغولية ، ووجه نقده وحربه ضد الشيعة وضد غيرها من أديان الهند الأخرى ، لعب دورا كبيرا في اصلاح دولة المغول في عهد "جهانكير" ، بل يعود اليه سبب عودة المغول الى دينهم الإسلامي الحنيف والتخلص شيئا فشيئا من مؤثرات اديان الهند الأخرى ، والأمر الذي يحسب "للسرهندي" أنه شن حربا ضروسا ضد الشيعة ، وألف فيهم كتبا كثيرة يعري معتقداتهم تجاه الرسول والصحابة الكرام ، من تلك الكتب والرسائل ، رسالة

بعنوان"رد رافضة " ، انتقد فيها اعمال الشيعة بصراحة وجرأة وكشف النقاب عن زيفها ، وهو ما دفع بالشيعة المتنفذين في بلاط المغول للوشاية به الى الملك ، حتى اعتقله وأودعه السجن ، وكان له كبير أثر على تغيير معتقدات السجناء ، الأمر الذي دفع بملك المغول الى اطلاق سراحة ومنحه الحرية الكاملة في نشر الدعوة الاسلامية الصحيحة (مسعود الندوي، تاريخ الدعوة الاسلامية في الهند ،ص ١٠٢/نزهة الخواطر،٥، ٤٤).

لم تتوقف دعوة المجدد السرهندي عند احداث تغييرات واصلاحات دينية واجتماعية في دولة المغول في عصر الملك "جهانكير" فحسب ، بل استمر تأثير دعوته واصلاحاته تتوغل في اعماق المسلمين في الهند ، الى درجة ان الملك "شاهجهان" راح ينحاز بوضوح الى المذهب السني الذي يمثل مذهب المغول في الهند ، وعلى الرغم من ان والدة "شاهجهان" هندوسية ومن أصول "راجبوتية" ، الا ان ذلك لم يحدث خللا في عقيدة الملك المغولي الذي وجه سياسة دولته الدينية باتجاه صحيح ومثمر ، فكان ظهور الملك الجديد صفحة جديدة في تاريخ الهند ، حيث استقبله المسلمون بالترحاب ، وقد افتتح عصره بالكثير من الاصلاحات الدينية والاجتماعية ، من أبرزها عودة نشاط الدعوة الآسلامية بين المسلمين والهندوس ، وبناء المساجد في ربوع الهند ، والاهتمام بالتعليم الديني ، ورعاية وتقدير العلماء والفقهاء المسلمين ، كما وجه حروبا طاحنة ضد الشيعة ، حيث خصص ولده"اورانجزيب" لمواجهة الشيعة في اقليم "الدكن" في جنوب الهند ، خصوصا مملكتي "بيجابور"و"كولكندة" الشيعيتين ، وهي التي جعلت من "اورانجزيب" سنيا متعصبا ، وعدوا لدودا للرافضة الشيعة ، وخلافا لما تمتعت به الديانة الهندوسية من تسامح ديني لا حدود له ايام الملك "أكبر" و"جهانكير" ، وحصولهم على نفوذ سياسي كبير وقوي ، وفي عهد "شاهجان" حرموا من جميع تلك الأمتيازات التي حصلوا عليها في السابق ، وحقيقة الأمر ، فان الملك "شاهجهان " قد سار في بالدولة المغولية نحو

تغليب مبادىء الدين الإسلامي الحنيف ، نابذا جميع الغقائد والهرطقات الفلسفية والسياسية التي لاقت رواجا في عصور أسلافه ، وهو السبب في فرض حالة الاستقرار العقائدي الإسلامي في شبه القارة الهندية .

ومع ذلك كله ، فان الملك "شاهجهان" ، ورغم تدينه وميولاته الإسلامية ، الا أنه وقع في خطأ كبير حينما أعلن ولاية العهد لولده" داراشيكو" [٢]، الأمير الذي كان بارعا في علوم الفلسفة والسياسة والكلام ، والذي لقي تأييدا منقطع النظير من كل الديانات والطوائف غير السنية في الهند ، بل وسارعوا الى بيعته ومنحه الولاء ، ووضعوا تحت تصرفه معظم ما يمتلكونه من قوات محاربة ، وتلك كانت الأسباب وراء انقلاب أخوته عليه وفي مقدمتهم الأمير "محي الدين اورانك زيب" الذي تحمّل كامل المسؤولية للقضاء عليه وتخليص مملكة المغول من شروره ، على أن وجه الاختلاف بين ما تمتع به جده الملك "أكبر"من أفكار فلسفية ، وبين ما تمتع به "دارا شيكوه" يُعد كبيرا جدا ، فان "أكبر " لم يكن صاحب علم ومعرفة ، بل كان أميا لا يقرأ ولا يكتب ، بينما كان "داراشيكو" من فلاسفة الهند وعلمائها النجباء ، وهو ما أثار مخاوف الأسرة المغولية برمتها ، وعلى رأسهم الأمير "اورانك زيب" ، الذي كان خلاف شقيقه ينحاز بشكل كامل الى علوم الدين والشريعة الإسلامية وتحديدا المذهب السني ، وحينما اعتلى عرش المغول في الهند ، وهو الذي تربى وتعلم علوم الشريعة الإسلامية ، وتمرس على قتال الفرق والمذاهب والأديان الأخرى ، بكل ما أوتي من قوة ، ويعتبر عصره فتحا جديدا للمسلمين في شبه القارة الهندية برمتها ، وقد تقدم معنا حروبه الكثيرة في مختلف اقاليم الهند ، حيث ثارت عليه قبائل الراجبوت الهندوسية ،

---

[٢] ولد الأمير "داراشيكوه" لليلة بقيت من شهر صفر سنة ١٠٢٤هـ ، وكان بارعا في العلوم والمعارف الفلسفية ، وله فيها مصنفات مختلفة ، منها: "في سير المشايخ" ، و"سفينة الأولياء" ، و"سكينة الأولياء" ، و"السر الأكبر والأعظم " ، و"رسالة في المعارف" ، وله مصنف نقش في عنوانه تصاوير عظماء الهنود مكان "بسم الله الرحمن الرحيم" ، بل وقال في خطبة الكتاب:"أنه لُب القرآن وأنه سر مكنون لا يمسه إلا المطهرون ، ومن مصنفاته الذائعة الصيت " التطبيق فيما بين مذهب الهنادك وأهل الإسلام ، قتله شقيقه "اورانجزيب" سنة ١٠٧٠هـ (نزهة الخواطر ، ج ٥ ، ص ١٤٣-١٤٤)

وطائفة السيخ في ولاية البنجاب ، والشيعة في الدكن ، جنوب الهند ، كل تلك الثورات كانت بسبب توجهاته في تطبيق الشريعة الإسلامية وجعلها الدين الأوحد الذي يحكم البلاد .

ذهب المؤرخون في ذكر سيرته ومناقبه مذاهب شتى ، الا اننا نقف عند الذي ذكره المؤرخ الندوي :" كان "اورانك زيب" عالما دينا تقيا ورعا متصلبا في المذهب(السني)، يتدين بالمذهب الحنفي ، لا يتجاوز عنه في قول او عمل ، وكان يعمل بالعزيمة ، ويصلي الصلاة المفروضة في اوائل أوقاتها بالجماعة في المسجد ، ويقيم السنن والنوافل ما أمكن ، وكان يحي الليالي بالتراويح ، ويعتكف في العشرة الأواخر من شهر رمضان المبارك في المسجد ، ويصوم التطوع يومي الأثنين والخميس ، وكان يرسل الناس تباعا لأداء فريضة الحج (نزهة الخواطر، ٦، Sarkar,iii,53/١٢٤) ، كما حرص على بذل الأعطيات للمحتاجين ، لا سيما في ايام الحج ، كما كان يحافظ على الأذكار والأدعية المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وصاحب العلماء والفقهاء والمشايخ ، وحفظ القرآن الكريم ، وذلك بعد جلوسه على العرش ، فأرخ بعض المؤرخين لبدء حفظه من قوله تعالى :" سنقرئك فلا تنسى"، ولتمام حفظه للقرآن " لوح محفوظ" ، ومن مآثره ، كان له معرفة في الحديث النبوي الشريف ، وألف في ذلك كتابا أسماه:" الأربعين" ، جمع فيه اربعين حديثا من أقوال الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، وذلك قبل توليه العرش المغولي في الهند (نزهة الخواطر، ٦/ ١٢٥، ١٢٦) ،وبلغ بـ"اورانجزيب" الزهد مبلغا كبيرا ، فانه مع سعة سلطانه ، كان يأكل خبز الشعير في شهر رمضان ، ويصلي بالناس التراويح(المحبي، خلاصة الأثر، نزهة الخواطر، ١٣٣/٦)

ومع ان "اورانك زيب" ملكا لا عالما ، الا أنه استطاع بقوة ايمانه وفهمه القوي لدينه ان يجدد في الدين الإسلامي ، ويصلح من أحوال المسلمين ودولتهم في الهند ، حتى ساقه انتماءه القوي للإسلام ، أنه جمع عدد كبير

من علماء وفقهاء المسلمين الأحناف ، طالبا منهم تصنيف كتاب في الفقه الحنفي يحوي كافة المسائل الفقهية ، ليكون بمثابة الدستور الذي تحتكم اليه الدولة والقضاء عند المغول المسلمين ، ولبى العلماء النداء ، وشكل منهم فريقا لتأليف الكتاب ، وترأسهم الشيخ العلامة نظام الدين البرهانبوري ، وصنفوا كتابا موسوعيا في الفقه الحنفي ، سمي بـ" الفتاوى العالمكيرية او الفتاوى الهندية" ، وقد انفق عليها الملك المغولي مائتي الف من النقود ،[٣] وتعتبر تلك الفتاوى من منجزات الملك المغولي"اورانك زيب" الحضارية ، فهو من الزعماء المسلمين القلائل الذين وضعوا مرجعيات فقهية شاملة تنتظم بها مسيرة الدولة وقوانينها ، وبذلك يكون الملك المغولي "اورانك زيب" من الملوك السملين القلائل الذين اعتنوا بالتشريع الإسلامي ووضع قوانين للدولة .

ومن الإصلاحات التي تبناها "اورانك زيب" ، أنه اعطى الفقراء والمحتاجين العطايا الجزلة الكثيرة ، واعفاهم من دفع الغرامات والضرائب المستحقة عليهم ، كما أنه اهتم اهتماما كبيرا في بناء المساجد في ربوع الهند ، في شمالها وجنوبها وشرقها وغربها ، كان من أبرزها مسجد"باد شاهي مسجد" القابع في مدينة لاهور الباكستانية ، والذي يعتبر تحفة معمارية فريدة في فنها وز خرفتها وهندستها وعمّر القديم منها ، وصرف الرواتب والأرزاق للأئمة والوعاظ والمؤذنيين ، وأسس دورا للعجزة سميت بـ" بلغور خانات" ، حيث انتشرت في معظم اراضي الهند ، وكان يرسل العطايا الكثيرة الى أهل الحرمين الشريفين ، في مكة المكرمة والمدينة المنورة (نزهة الخواطر،٦/ ١٢٨،١٢٩) ، ومن اهتماماته الخاصة انه كان يتقن اللغة العربية ، ويكتب

[٣] ومما جاء في مقدمة الفتاوى العالمكيرية :" ألهم أمير المؤمنين ، إمام الغزاة ورأس المجاهدين "ابو المظفر محي الدين اورانك زيب بهادر عالمكير الغازي " الى تأليف كتاب يفرغ من التهذيب الأنيق ، في قالب الكمال ، ويلبس حسن الترتيب حلة الجمال ، عاريا عن الإطناب والإملال ، حاويا لمعظم الروايات الصحيحة ، مشتملا على جل الدرايات النجيحة ، يبين الغث من السمين ، ويميز الضعيف من المتين ، فحشد له الحذاق في هذا الفن من العلماء الغائصين على فرائده ، وكلد الكتب المدونة الجامعة لفوائده ، فأوعز اليهم بالكدش في مخايل هذا الفن ، حتى أتموه وسموه بـ"الفتاوى العالمكيرية، نسبة للملك "اورانك زيب"، وهو مدون بالأصل العربي (الفتاوى العالمكيرية ، ج١، ص ٢، ٣ ، طبع كوتا ، باكستان ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م)

بها ، وبرع في الخط يكتب النسخ والنستعليق والشكسته ، حتى انه كتب مصحفا بخط يده قبل جلوسه على العرش وارسله الى المسجد الحرام في مكة المكرمة ، وبعد جلوسه على العرش كتب مصحفا آخر وأنفق على تذهيبه وتجليده سبعة آلاف روبية هندية وارسلها الى المسجد النبوي في المدينة المنورة (نزهة الخواطر، ٦/ ١٢٨)

افتتح عهده باعتماد التقويم الهجري و الغاء التقويم الإلهي الذي أمر بتطبيقة الملك "اكبر" ، حيث ألغى "اكبر" التقويم الإسلامي (الهجري) ، واتخذ تقويما يبدأ فيه من يوم جلوسه على العرش في الهند سنة ٩٦٣هـ ، حيث امر الملك "اكبر" المؤرخين وكتاب الوقائع والمراسم اليومية باعتماد التقويم الجديد ، طالبا منهم جعل التاريخ الألفي الأكبري الجديد هو التقويم الرسمي للدولة (البدايوني ، منتخب التواريخ ، ٢/٣١٠-٣١٦) ، وباشرت دور سك العملات وضربها في إثبات التاريخ (التقويم الإلهي) الى جانب اسم الملك فأبطلها الملك "اورلنك زيب" (البدايوني ،٢/٣٢٨،٣٢٧)، وذهب "اورانك زيب" بعيدا في تغيير جذري لعموم نهج وسياسة جده الملك "اكبر" ، فألغى كافة المراسيم والعادات والتقاليد الرسمية في البلاط الملكي ، منها ، التوقف عن السلام على الملك انحناءا وركوعا (Smith,p.159) ، وقد أفتى كثير من علماء المسلمين بجواز الركوع للملك، من هؤلاء العلماء الشيخ "تاج الدين الدهلوي" الذي كان على طريقة الشيخ ابن عربي ، بل وزين للملك العصمة والكمال في نفسه ، وأفتى بجواز السجود له(البدايوني ، ٢/٣٦٥) ، انطلق "اورانك زيب" يحمل على العادات الاجتماعية السيئة التي انتشرت في المجتمع وأثرت عليه تأثيرا كبيرا ، منها انتشار شرب الخمور في عموم الأراضي الهندية ، وتحقيقا لهذه الغاية فقد أفرد لها مصلحة خاصة فلإحتساب الشرعي ، وعين لها الموظفين الخاصين والعمال الذين يقومون على تنفيذ الأوامر الملكية في هذا الغرض (خافي خان ، ٨/٢)، وعلى الرغم مما بذله "اورانك زيب" من جهود كبيرة في سبيل القضاء على عادة

شـرب الخمـور وانتشـارها فـي المجتمـع ، الا انـه لـم يحقـق النجـاح المطلـوب للـتخلص منهـا ، ويؤكـد المـؤرخ الهنـدي "شـارما" :" ان اورانـك زيـب" لـم يحقـق النجاح المطلـوب لأن الفسـاد كـان قـدد تفشـى فـي المجتمـع وبلـغ مـن قبلـه مبلغـا لـم يعـد ممكنـا القضـاء التـام عليـه واستئصـال شـأفته، الا أن الفخـار كـل الفخـار للملـك "اورانـك زيـب" الـذي لـم يـأل جهـدا فـي سـبيل تخلـيص الهنـد برمتهـا مـن انتشـار تلـك الآفـة الشـريرة " (Sharma,124) ،كمـا أصـدر قـرارا فـي الثالـث عشــر مــن شــهر أيــار/مــايو ١٦٥٩م ، وعممــه علــى ســائر الولايــات الهنديــة يطلـب ولاة الدولـة والمحتسـبين فيهـا الـى منـع الاتجـار او تعـاطي المخـدرات ، مثــل الأفيــون والحشــيش وغيرهــا ، حيــث انتشــرت انتشــارا واســعا فــي الهنــد (Sharma,123,124) ، كمــا أصــدر اوامــره الملكيــة بمنــع الاحتفــال بشــهر محرم الحرام من كل عام هجري (Sarkar,iii,54)

لـم يتـوان الملـك "اورانـك زيـب" لحظـة واحـدة عـن ان يوقـع أشـد العقوبـات ، يصـل بعضـها حـد القتـل والتشـريد علـى اولئـك الـذين يتطـاولون علـى الخلفـاء الراشـــدين ، بالســـب والشـــتم والقـــدح والـــذم ،(Manucci,ii,160) ، ومـــن اصــلاحاته حضــر اقامــة الحفــلات الغنائيــة الراقصــة فــي عمــوم الهنــد ، بــل واصــدر اوامــره بطــرد المغنــين والمغنيــات (Sarkar,iii,55)، كمــا ابطــل عــادة مـن عـادات الـبلاط الملكـي ، وهـي تـوزين الملـك كـل سـنة فـي عيـد النيـروز ، يقابلـه فـي الميـزان الـذهب والفضـة ، بينمـا يتصـدق بمجمـوع تلـك الأمـوال علـى الفقـراء والمحتـاجين ، زعمـا مـن أبـاطرة المغـول القـدماء أن هـذه العـادة تقـيهم نوائـب الـدهر وشـروره ، وتـدفع عـنهم نحـس السـنين ، أبطلهـا فـي السـنة الثانيـة عشــر مــن جلوســه علــى العــرش المغــولي (Sarkar,iii,56) ، وحضــر علــى المنجمــين والســحرة والمشــعوذين مــن مزاولــة أعمــالهم فــي ســنة ١٦٧٥م ، بموجـب اوامـر ملكيـة رسـمية (Manucci,iii,57) ، وألغـى الاحتفـالات باعيـاد المـيلاد الملكيـة (Sakar,iii,57) ، ومنـع كـذلك مـا يعـرف بالطلـة الملكيـة مـن علـى شُـرفات القصـر لتتمتـع الرعيـة بـالنظر الـى وجـوههم الميمونـة ، شـأنهم فـي

ذلك شأن الملوك الوثنيون في الهند الذين كانت تعبدهم رعاياهم وتقدسهم ، انقطع عن ممارستها الملك "اورانك زيب" في السنة الحادية عشرة من توليه عرش الهند (مسعود الندوي،تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند ،١٣٣)

من الإجراءات التي اعتبرها الهندوس وغيرهم من السياسات المتشددة التي طبقها الملك "اورانك زيب" في امبراطورية المغول في الهند ، سياسته في اعادة العمل بضريبة الجزية ، التي الغاها ملوك المغول السابقين وفي مقدمتهم "جلال الدين محمد اكبر" ، و"جهانكير" و"شاهجهان" ، وكان يهدف من وراء تطبيق هذه الضريبة الى تهيأة الأجواء المناسبة امام المواطنين للدخول في الدين الإسلامي ، إضافة الى زيادة هيمنة الدولة ومرافقها التي تسيطر على كافة أراضي الهند (الندوي،١٣٣/٦)، وقد لاحظ الرحالة الاوروبي " مانوشي Manucci" الذي كان شاهدا على عصر الملك "اورانك زيب" ، لاحظ اعدادا كبيرة من الهندوس وغيرهم يدخلون في الدين الإسلامي ، على ان معظم هؤلاء الذين دخلوا من الذميين في الإسلام انما بسبب عدم قدرتهم على دفع الأموال المطلوبة للجزية (Manucci,ii,234) ، ومما لا شك فيه ان سياسة "اورانك زيب" في فرض ضريبة الجزية على الذميين أدت الى انتشار الاسلام بينهم بشكل منتظم وتدريجي ، الى درجة ان الملك المغولي راح يستعطف الهندوس ويستميلهم بالعطايا والنفقات الى اعتناق الاسلام ، وكان لتلك السياسة أثره العميق على احداث تغييرات كبيرة وواسعة وسط الهندوس وغيرهم .

كان لسياسات "اورانك زيب" الإصلاحية في الهند ردود فعل سلبية لدى المستشرقين والمؤرخين الهنود ، بل ومنهم من وقف موقف العداء من تلك السياسة وشن عليها حربا شعواء ، معتبرينها تعدي على حقوق المواطنين الهنود وبعيدا عن سياسة التسامح الديني التي عمل على تنفيذها اباطرة المغول السابقين لعصر "اورانك زيب" ، مؤكدين على ان انتشار الاسلام في الهند ايام "اورانك زيب" انما كان بفعل سياسة القمع والترهيب التي كان

يمارسـها تجـاههم ، ومـن أبـرز اولئـك المستشـرقين ، المـؤرخ الانجليـزي "لينبـول poole – Lane" ، و"سـميت Smith " ، و"كنينكهـام Cunningham"،ومـن المـؤرخين الهنـود "شـارما Sharma" ، و"ماجمـدار Majumdar" ، و" ساكسـينا Saksena" وغيـرهم الكثيـر ، ويبـدو ان موقـف الملك المغـولي تجـاه الأديـان الأخـرى كـان موقفـا تحـدده المصـالح العامـة للدولـة ، ولـم يتأكـد لنـا فـي المصـادر التاريخيـة المختلفـة ان "اورانـك زيـب" اشـهر سـيف العنـف والترهيـب فـي وجـه الهنـدوس وغيـرهم لكـي يعتنقـوا الإسـلام ، بـل كـان يعتـرف بهـم دينـا ثانيـا فـي الدولـة الـى جانـب بقيـة الأديـان الأخـرى ، وانمـا كـان يسـعى الـى فـرض هيمنـة الإسـلام علـى مرافـق الدولـة لكـي يخلـق للـدين هيبـة ومكانـة فـي النفـوس ، لا سـيما وان الهنـد كانـت مرتعـا للخرافـات والخـزعبلات الدينيـة المنحرفـة الكثيـرة ، وان مـن أسـلم مـن الهنـدوس لـم يكـن كمـا يـدعي المؤرخـون مـن انهـم آمنـوا بفعـل القـوة والهنـف ، وهنـا يؤكـد المـؤرخ الهنـدي "فـاروقي Faruki" فـي كتابـه"اورانـك زيـب وعصـره " نقـلا عـن المصـدر التـاريخي المعاصـر "مـآثر عـالمكيري" "أنـه وعنـدما كـان "كـوكلا جـات Kokla Jat" أحـد زعمـاء الهنـدوس يتجهـز بجيشـه لمحاربـة المغـول ، الا انـه فشـل فـي ذلـك ، و اعتنـق ولـده وابنتـه الإسـلام ، وان ابنتـه تزوجـت بـ "شـاه قـولي" احـد كبـار قـادة المغـول المسـلمين (Faruki,180) [٤]، لقـد نحـا "اورانـك زيـب" منحـا طيبـا تجـاه رجـالات الـدين الهنـدوس والمتـدينيين مـنهم ، اذ حيـوا لديـه بالتقـدير والاحتـرام ، خـلاف مـا كـان مـن عـداء بينـه وبـين رجـالات العصـيان والتمـرد الـذين واجههـم بكـل قـوة وعنـف ، الأمـر الـذي سـاعد كثيـرا علـى قبـول الإسـلام فـي وسـط الهنـدوس ، وزاد عـدد مـن اعتنقـه فـي صـفوفهم ، ولاحـظ الرحالـة الفرنسـي "مانوشـي" الـذي عاصـر الملـك المغـولي "اورانـك زيـب" ، ان النـاس فـي الهنـد راحـوا يـدخلون فـي ديـن الإسـلام افواجـا(Manucci,iv,434)، فالملـك المغـولي واجـه صـعوبات كبيـرة مـن قبـل رجـالات الهنـدوس الـذين تربصـوا بـه وبدولتـه للقضـاء عليهـا او اضـعافها ، ومـن تلـك الممارسـات التـي مارسـتها تلـك

[٤] Faruki,M. Aurangzib and his time ,1st.ed.Cacutta1935,repr.Lahore,1977

الزعامات الهندوسية هدم مساجد المسلمين ودور عبادتهم ، وتحويل البعض منها الى معابد هندوسية ، وهو ما جعل من "اورانك زيب" يتخذ موقفا متشددا ازاء تلك الممارسات العدوانية من قبل الهندوس وغيرهم ، فقام بتجديد تلك المساجد ، كما امر بهدم بالمعابد الهندوسية التي بنيت في عهد أسلافه او تلك التي بنيت على انقاض المساجد التي تهدمت ، وكان لهذه السياسة صدا واسعا لدى المؤرخين الذي حملوا بعنف على ممارستها من قبل ملك المغول"اورانك زيب" ، حيث عابوا عليه سياسته في نشر الإسلام بين الهندوس ، وكذلك هدمه للمعابد ، بينما يقف المؤرخ "فاروقي" من سياسة "اروانك زيب"الدينية موقفا ارتكز على مجموعة من العو امل ، منها : ان مصادر المرهتا الهندوس اعترفت صراحة عن هدم الهندوس للمساجد ودور العبادة الاسلامية ، لا سيما على يد القائد والزعيم الهندوسي "شيفاجي" الذي ثار بوجه الملك المغولي ، ومنها ان الملك "اورانك زيب" حينما فتح قلاع"ساترا"و"بارلي" وكانت قد خضعت سابقا لحكم المسلمين ، اكتشف ان المساجد فيها مهدمة ، فأسرع الى تجديد بنائها في المنطقة(فاروقي ، ١١٤) ، كما أصدر اوامره للهندوس بعدم بناء معابد جديدة الا إذا صدر أمرا رسميا من قبل دولة المغول بذلك ، وبرغم هذا الشان ، بقي العدي من الزعماء الهندوس يشيدون المعابد خارج إطار القانون الرسمي ، في "بينارس" و"بيهار" (خافي خان ، ٤٧٢/١)

يبدو ان من اسباب الحرب التي شنها "اورانك زيب" ضد شقيقه 'دارا شيكوه" ، موافقة الأخير للهندوس ببناء معابدهم في اي مكان ارادوا ، وقد برزت توجهات الملك المغولي "اورانك زيب" فلإطاحة بشقيقه حينما أرسل برسالة الى والده"شاهجيهان" وهو يحاصره في العاصمة "أكرا" ، يقول له فيها:" الله شهيد عليَّ أنني لا يخالجني اي حقد او بغضاء نحو ملك الإسلام والحلول مكانه ملكا جديدا على الهند ، ويقصد بذلك والده، لكنني أعتقد انه من واجبي طرد 'دارا شيكوه" من على سرير الملك بسبب عدم اهتمامه بأمر

الـدين الإسـلامي ، ولا بـأمر المسـلمين ، وهـو الـذي أعلـن علـى رؤوس الأشـهاد ردتـه الصـريحة علـى الإسـلام ، بـل وأعلـن إلحـاده بكـل جـرأة ووضـوح ، ولـم يتخـذ ذلـك لنفسـه فحسـب ، بـل حمـل رعيتـه علـى الإلحـاد والفجـور والعصـيان ، لهـذا فأنـا زاحـف نحـو العاصـمة "أكـرا" لمقاتلـة المرتـدين عـن الإسـلام ، لأنهـم حطمـوا المسـاجد الكثيـرة وأقـاموا علـى أنقاضـها معابـدهم (مقتبسـه مـن آداب عـالمكيري ، فـاروقي ، ١١٦) ، كمـا أصـدر الملـك المغـولي "اورانـك زيـب" مرسـوما آخـر بعـث بـه الـى والـي "بنـارس" "السـيد ابـو الحسـن" ، جـاء فيـه :" غايتنـا فـي حكـم هـذه الـبلاد المحافظـة علـى حقـوق المـواطنين وحمـايتهم ونشـر الـوعي فـي صـفوفهم ، وتنميـة مـواردهم الأقتصـادية والتجاريـة ، لكـي يعـم الخيـر والمنفعـة عمـوم النـاس ، وبنـاء علـى ذلـك قررنـا حفـظ وصـيانة المعابـد القديمـة وحمايتهـا مـن أن يطالهـا يـد التخريـب والتـدمير والعبـث ، بينمـا لا تسـمح الدولـة ببنـاء معابـد جديـدة للهنـدوس او غيـرهم ، وقـد طـرق مسـامعنا ان مجمـوع مـن المسـلمين يضـايقون الهنـدوس ويعتـدون علـيهم ، وعليـه فقـد قررنـا منـع المسلمين مـن الاعتـداء علـى اهـل الذمـة مـن الهنـدوس ، وعليـك يـا ابـا الحسـن أخـذ ذلـك بالأعتبـار والجديـة ، حـرر بتـاريخ ١٥ جمـادي الثـاني ١٠٦٩هـ/١٦٥٩م (Faruki,119/Sharma,136)

وخلاصـة القـول ، فـان السياسـة الدينيـة التـي اتبعهـا الملـك المغـولي "اورانـك زيـب" فـي جنـوب آسـيا (شـبه القـارة الهنديـة) تتماشـى بـدون أدنـى شـك مـع تعـاليم الإسـلام الـذي هـو الـدين الحـاكم للهنـد فـي ذلـك العصـر ، فكـان لسياسـته دورا بـارزا ومهمـا فـي الحفـاظ علـى روح الإسـلام وتعاليمـه حيـة وقويـة وسـط الهنـود ، فـأدى الواجـب الـذي عليـه مـن خدمـة للإسـلام والمسـلمين وحضـارتهما ، وهـو – كمـا يقـول المـؤرخ الانجليـزي لينبـول– كـان اولا وأخيـرا متمسـكا بصـلابة فـي اهـداب الـدين والشـريعة الإسـلامية ، فـلا شـيء عنـده فـي حياتـه كلهـا ولا فـي حكمـه وادارتـه للهنـد ، ولا حتـى فـي ايـام راحتـه واسـتجمامه ، لا شـيء مـن ذلـك كلـه قـد أثـر علـى التزامـه بمبـاديء الإسـلام التزامـا صـريحا

شـــجاعا ، ولأول مـــرة فـــي تـــاريخ المغـــول المســـلمين فـــي الهنـــد يعتلـــي عـــرش الإمبراطوريـــة زعيمـــا مســـلما مـــث "اورانـــك زيـــب" ، فهـــو الملـــك الـــذي اتخـــذ مـــن عرشـــه وســـلطانه وســـيلة يـــراهن عليـــه فـــي ســـبيل إكـــرام الإســـلام ونشـــر مبادئـــه فـــي بلاد الهند قاطبة (Lane-Poole,359-362).

إدارة الولايات الهندية (حكام الولايات)

تميزت الفترة التي اعتلى فيها الامبراطور المغولي محيي الدين محمد اورانجزيب على عرش الهند(١٠٦٨هـ/١٦٥٨م – ١١١٨هـ/١٧٠٧م) بتوسع مطرد لرقعة الدولة الإسلامية في جنوب اسيا، ونلاحظ، انه منذ تأسست الدولة سنة٩٣٣هـ/ ١٥٢٦م على يد ظهير الدين محمد بابر، ودولة المغول مستمرة بشكل تدريجي بإسقاط الحكومات الإسلامية والهندوسية، حتى سيطر المغول على مناطق الهند الشمالية وبعض المناطق الوسطى، كأقليم السند والملتان والبنجاب وكشمير وسهول الكنج، بينما انكمشت الدولة في عهد الامبراطور همايون، بل وتحت ضغط القوة الأفغانية بزعامة شيرشاه سور(٩٤٧هـ/١٥٤٠م-٩٦٣هـ/١٥٥٥م) سقطت دولة المغول وانهارت، على أن عودة المغول إلى الهند سنة ٩٦٣هـ/١٥٥٥م بدأ يأخذ طابعاً تنظيمياً قوياً، وكذلك أصبحت الإدارة موجهة نحو تأسيس دولة قائمة على المؤسسات وذلك أيام الامبراطور جلال الدين أكبر(٩٦٤هـ/١٥٥٦م-١٠١٤هـ/١٦٠٥م) صاحب اليد في ترسيخ مفهوم الدولة المستقرة والقائمة على سيادة القانون، حيث انقسمت مملكة المغول في أيامه إلى اثنى عشر و لاية إقليمية، والتي تمتد من قندهار إلى شرق البنغال، ومن كشمير إلى ناربادا (Narbada) ، وقد نجح اكبر بدفع حدود دولته بالتوسع نحو الجنوب(الدكن)، وذلك لغاية المناطق العليا لنهر كرشنا (Krishna)، وحينما نعالج عهد اورانجزيب نجد ان دولة المغول قد وصلت إلى أقصى درجات اتساعها، وذلك بفعل النشاط الحربي الذي قاده ملك المغول بنفسه، حيث لم يعد أقليماً أو منطقة من مناطق الهند خارج الهيمنة والسيادة المغولية، وبذلك

زادت مسؤولية الدولة بازدياد الاقاليم والولايات التابعة لها كما ازداد عدد مناطق النفوذ المباشرة للمغول، وبذلك بلغت الولايات (سيه، Subah) التابعة لسلطة المغول المركزية، إحدى وعشرون ولاية، وهي:- شاهجهان آباد (أكرا)، اكبر آباد (دلهي)، الله آباد، أوده، بيهار، اوريسا، البنغال، اورانك آباد، بيرار، ولاية السند، الملتان، البنجاب(الاهور)، كشمير، بيدار، حيدر آباد، مالوا، بيجابور، كابل، أجمير، الكجرات، خانديش، على أن هذه الولايات التي ظهرت في عصر الامبراطور اورانجزيب تشكل عموم بلاد جنوب آسيا (شبه القارة الهندية) باستثناء ولاية كابل التي تضم غالبية الأراضي الأفغانية شمال الهند.

حكم الولايات(السباهدار):-

ينبغي التوقف عند مصطلح ومفهوم حكم الولايات لدى الدولة الإسلامية المغولية في الهند، وهل كان هذا النظام الذي طبّق في عهدها مستحدثاً أم هو نظام مستمد من نظم إدارية طبقت في عصور سابقة لإمبراطورية المغول المسلمين في الهند؟

فمن البديهيات لدى المؤرخين المسلمين انهم اعتبروا العهود الأولى للدولة الإسلامية، هي الفترة التي ظهر بها اسم الوالي الذي أطلق على من يدير شؤون الولايات التابعة للسلطة المركزية في عاصمة الدولة الإسلامية، وكذلك الأمر في عهد سلطنة دلهي، سواء العهد المملوكي أو الأفغاني، نجدهم يطبقون نفس التنظيمات مع اختلاف بسيط بالمسمى ليس إلا، إذ أطلقوا على والي الإقليم "الحاكم و أحيانا "الناظم"[١]، كما أطلق على الحاكم الإقليمي "السيهسالار" في عصر الدولة السامانية والغزنوية والسلجوقية[٢]، أما المراحل الأولى من عهد الدولة المغولية، فقد استخدم مصطلح " السيهسالار" حتى مجيء اورانجزيب إلى العرش، حيث تغير المسمى الوظيفي لحاكم إلى "السياهدار" وكلاهما يعطيان نفس المعنى، فالسبهسالار هو حاكم الولاية ويأخذ الصبغة العسكرية، وكذلك السباهدار، هو قائد الجيش وحاكم الولاية معاً[٣]، والإمبراطورية المغولية في عهد اورانجزيب ومن سبقه

من ملوك المغول، أطلقت على الإقليم التابع للدولة اسم " سبه" " Subah" ، وكل مركز إلى جملة دسا كر (Parganahs)، وكل دسكر إلى مجموعة من القرى الصغيرة(٤)، وقد أدت هذه التقسيمات بالدولة المغولية إلى بلوغ التطور والازدهار والسيطرة بكفاءة على مقدرات الهند الاقتصادية، إلى جانب الهيمنة السياسية الواضحة، وعلاوة على ذلك، فان سياسة المغول الإدارية في كل عهودها تقريباً ، لم تتوقف عند حد التقسيمات الأولى لاراضي الهند، بل ذهبوا إلى ما هو ابعد من ذلك وأعمق تأثيراً ، حينما طفقوا يتخذون سلسلة من الإجراءات التنظيمية الدقيقة في تقسيم الولاية الواحدة إلى مجموعة من التنظيمات والمسميات الوظيفية، والتي تعمل جميعها وبشكل منتظم للحيلولة دون تعرض مصالح الدولة المغولية للضعف أو للأخطار الخارجية، فكان لكل ولاية، ديوان خاص، و"بخشي" المسؤول عن جمع وضبط الجيش وتنظيماته وعناصره وموارده، وأمير العدل، وصدر ، وهو الذي يمارس سلطات القضاء، والكوتوال (وهو القيّم على تنفيذ القوانين والأوامر والتعليمات الصادرة من السباهدار ، وذلك للمحافظة على الأمن والاستقرار) وأمير البحر ، ووقائع نويز ، المخبر ومتابع الأخبار وكاتب الوقائع والحوادث في البلاط(٥)، وبرغم الدقة الواضحة والانضباطية الشديدة في تنظيم الولايات التابعة لدولة المغول في الهند، فإننا على يقين ، إنها لاتكاد تختلف بمهامها ومضامينها عند المغول، عن تلك التي كانت من مسؤولية الوالي في الدولة الإسلامية في عصورها المختلفة، كتدبير الجيش وتقدير أرزاقهم وترتيبهم في النواحي والثغور ، والنظر في الأحكام وتعيين القضاة، وجباية الخراج ، وقبض الصدقات، وتقليد العمال، وحماية الدين والدفاع عنه، واقامة الحدود، وحفظ الأمن والإمامة في الجماعات وتسيير الحجيج ومجاهدة الأعداء(٦)، وهذه الاستحقاقات إنما تندرج تحت مسؤولية أمير الاستكفاء الذي ينوب عن الخليفة في حكمه للولاية وبذلك يكون منصب السباهدار أو حاكم الولاية في دولة المغول،

نفسه في سائر العصور الاسلامية، فهو نائب عن الملك في إدارة وتصريف شؤون الولاية.

أما موضوع الدراسة، الذي يعالج منصب " السباهدار" الحاكم الإقليمي في عهد اورانجزيب، فان " مآثر عالمكيري" تكاد لا تخلو صفحة من صفحاتها إلا وتأتي على ذكر عزل أو تعيين جديد لحكام الولايات، مع إعطاء الجهة التي ترغب الدولة في إرسالهم إليها، وكذلك التاريخ وحتى اليوم، اضف إلى ذلك المناصب والمنح والاعطيات التي يمنحها لهم الملك اورانجزيب، على إننا، واثراء للموضوع، اسعنا بالعديد من المصادر التاريخية المعاصرة، لتعزيزها وا ٍضافة ما نقص في المصدر " مآثر عالمكيري" واهم تلك المصادر ، "منتخب اللباب" للمؤرخ خافي خان، و "عالمكير نامة" لميرزا محمد كاظم القزويني، و "مرآة العالم" للمؤرخ بختا ورخان، وغير ها من الدراسات التي ستظهر في سياق البحث.

الولاية على الاقاليم " السباهدارية ":-

اختط المغول المسلمون سياسة واضحة ورصينة في سيادتهم على شبه القارة الهندية، ومن خلال دراستنا لـ " مآثر عالمكيري" نلاحظ تلك السياسة الإدارية التي عمل على تنفيذها الملك اورانجز يب تجاه الولايات التابعة للدولة، وتجاه تعيين واختيار الولاه "السباهدار"بعناية فائقة، وا ٍذا كان مجموع الولايات التابعة لسلطة المغول المسلمين إحدى وعشرون ولاية، والتي شملت معظم مناطق الهند الشمالية والجنوبية، فان ذلك دفع باورانجزيب إلى تطبيق المزيد من القوانين والأنظمة ذات الفاعلية العالية المفضية إلى ضبط محكم لشؤون الإمبراطورية، ولسوف نتحدث عن

طبيعة التعيينات والإجراءات التي تتخذها دولة المغول في منح المناصب والاعطيات.

أولاً :- اختيار الأمراء لمنصب الولاية:-

الأهمية الكبيرة التي كان يتمتع بها السباهدار (الحاكم الإقليمي) في دولة المغول في جنوب آسيا، والصلاحيات السياسية والعسكرية والاقتصادية الواسعة، جعلت معظم ملوك المغول قبل اعتلائهم العرش يمارسون هذه الوظيفة الهامة بأنفسهم، وحافظ الاباطرة على هذه السياسة بتعيين أبنائهم حكاماً للولايات، فالامبراطور شاه جهان ولى هذا المنصب لابنه محمد شجاع الذي تولى إمارة البنغال مدة إحدى وعشرون سنة متواصلة (١٠٤٩هـ/١٦٣٩م ولغاية ١٠٧١هـ/١٦٦٠م، وامارة بيهار سنة (١٠٦٩هـ/١٦٥٨م)[١٢]، أما الأمير اورانجزيب فقد تولى عدة ولايات أيام والده شاه جهان، فعُين على ولاية الكجرات مدة عامين وذلك من سنة (١٠٥٥هـ/١٦٤٥م وحتى ١٠٥٧هـ/١٦٤٧م)[١٣]، ثم تولى سباهداريه بلخ وبدخشان في العشرين من كانون ثاني سنة (١٠٥٧هـ/١٦٤٧م). وقد اختاره والده لمواجهة القلاقل والاضطرابات التي أطلقها الاوزبك في آسيا الوسطى وقد انتقل من هناك بعد فشله في تحقيق انتصارات على ملك بلخ وبخارى[١٤]،متوجهاً إلى مقاطعة الملتان والسند (شمال الهند) حيث باشر مهامه كحاكم إقليمي سنة (١٠٥٨هـ/١٦٤٨م) وحتى سنة(١٠٦٣هـ/١٦٥٢م)[١٥]، كما قام والده بتعيينه حاكماً على مقاطعة الدكن للمرة الأولى سنة(١٠٥٢هـ/١٦٤٢م) ثم للمرة الثانية سنة (١٠٥٣هـ/١٦٤٣م) واستمر حتى سنة (١٠٥٨هـ/١٦٤٨م)، أي حتى اعتلى عرش دلهي، وقد اخضع أثناء فترة ولايته إقليم كولكندة وفتح مدينة حيدر آباد[١٦].

وعلى نفس السياسة سار اورانجزيب في فترة حكمه للإمبراطورية المغولية، فكان حريصاً أشد الحرص على إرسال أبنائه إلى الاقاليم ليقوموا على ولاية شؤونها

حتى لنجده يمارس عليهم سياسة التوزيع على الاقاليم الهامة، لكي يتمرسوا على الإدارة وسياسة الدولة، ويكشف لنا "مآثر عالمكيري" الدور الكبير الذي مارسه أبناء اورانجزيب في منصب السباهدار، وتنوع ولاياتهم في حكم الاقاليم، في حين بلغ عدد أولاده خمسة، جميعهم تولوا هذا المنصب بالإضافة إلى أميرين من العائلة، ونشير هنا إلى هؤلاء:-

١)الأمير محمد أعظم، ولد في (١٢شعبان ١٠٦٣هـ/٢٨ حزيران١٦٥٣م) من الملكة ديلراس بانوبيكم ابنه شاه نواز خان الصفوي[١٧] ،تولى الأمير محمد أعظم ولاية عشرة أقاليم هندية ، جاءت على النحو التالي:-

أ- ولاية البنغال(١٠٨٨هـ/١٦٧٨م)[١٨] .

ب- ولاية بيهار(١٠٨٨هـ/١٦٧٨م-١٠٩٠هـ/١٦٨٠م)[١٩] ،(وقد جمع بينها وبين البنغال واوريسا.

جـ- ولاية اوريسا(١٠٨٨هـ/١٦٧٨م)[٢٠]

د- ولاية الملتان(١٠٨٦هـ/١٦٧٦م- ١٠٨٧هـ/١٦٧٧م)[٢١]

هـ- ولاية البنجاب(١٠٩١هـ/١٦٨١م- ١٠٩٢هـ/١٦٨٢م)[٢٢].

ثم عاد إليها سباهداراً سنة (١١٠٠هـ/١٦٩٠م)[٢٣].

و- ولاية مالوا(١٠٦٩هـ/١٦٨٦م-١٠٩٧هـ/١٦٨٧م)[٢٤]

ر- ولاية خانديش(١٠٩٦هـ/١٦٨٦م- ١١١٦هـ/١٧٠٦م)[٢٥]. وقد جمع بينها وبين مالوا(١١١٦هـ/١٧٠٦م-١١١٧هـ/١٧٠٧م)، وهي أطول مدة يخدم بها حاكماً للولاية.

ز- ولاية الدكن (١١١٦هـ/١٧٠٦م)[٢٦] وجمع بينها وبين ولاية خانديش.

س- ولاية الكجرات (١١١٣هـ/١٧٠٣م- ١١١٦هـ/١٧٠٦م)[٢٧] وقد جمع بينها وبين ولايته لامارة خانديش.

ش- ولاية أجمير(١١١٤هـ/١٧٠٤م-١١١٥هـ/١٧٠٥م) .

٢)الأمير محمد معظم، ولد في اليوم الأخير من رجب(١٠٥٣هـ/٤ أكتوبر، ١٦٤٣م) من الملكة نواب باي[٢٨]، وقد تولي شؤون ثلاثة أقاليم هي:-

أ. ولاية الدكن (١٠٥٨هـ/١٦٥٨م[٢٩]، ثم تولاها من (١٠٧٣هـ/١٦٦٤م- ١٠٧٤ هـ/١٦٦٥) للمرة الثانية[٣٠]، ثم وللمرة الثالثة (١٠٧٧هـ/١٦٦٧م- ١٠٨١ هـ/١٦٧١م)[٣١].

ب.ولاية أكرا(شاه جهان آباد) (١١٠٦هـ/١٦٩٦م)[٣٢]

ج. ولاية البنجاب (١١١٦هـ/١٧٠٦م-١١١٨هـ/١٧٠٧م)[٣٣]

٣)الأمير محمد كام بخش، ولد (١٠رمضان ١٠٧٧هـ/٢٤ شباط ١٦٦٧م) لوالدته الملكة باي أودي يوري (udipnri) وهو حافظ للقرآن الكريم[٣٤]، صدر الأمر الملكي بتعيينه ثلاث مرات.

أ. ولاية بيرار (١١٠٨هـ/١٦٩٨م- ١١١٠هـ/١٧٠٠م)[٣٥].

ب. ولاية كولكنده (حيدر آباد) (١١١٤هـ/١٧٠٤م)[٣٦].

ج. ولاية بيجابور (١١١٨هـ/١٧٠٧م)[٣٧]،في أواخر عهد اورانجزيب.

٤)الأمير عظيم الشأن محمد سلطان ، ولد من الملكة نواب باي، سنة (٤ رمضان ١٠٤٩هـ/١٩ ديسمبر ١٦٣٩م)، ويحفظ القرآن ويتقن العربية والفارسية والتركية[٣٨]، عينه والده على:-

أ-ولايـة البنغـال (١١٠٨هـ/١٦٩٨م-١١١٨هـ/١٧٠٧م)وحكـم فيهـا عشـر سنوات[٣٩].

ب-ولاية بيهار وولاية بيرار (١١١٤هـ/١٧٠٤م- ١١١٨هـ/١٧٠٧م) وبذلك يكون قد جمع بينها وبين ولاية البنغال[٤٠].

٥)الأمير محمد اكبر، ولد من الملكة ديلارس بيكم، سنة (١٢ ذي الحجة، ١٠٦٧هـ/١١ سبتمبر ١٦٥٧م)[٤١] ، ومن خلال دراستنا لمآثر عالمكيري فإننا لا نعثر على مناصب وولايات إدارية كثيرة، بل وجدناه يتقلد لمرة واحدة :

أ.ولاية الملتان (١٠٨٨هـ/١٦٧٨م- ١٠٨٩هـ /١٦٧٩م) ولمدة عام واحد فقط[٤٢].

ب.ولاية مالوا (١٠٨٧هـ/١٦٧٦م-١٠٨٨هـ/١٦٧٧م).

٦) الأمير بيدار بخت، وهو ليس من أبناء الملك، وانما من أبناء أشقائه، تولى إمارات عديدة، وقد جمع بينها في نفس الفترة:

أ. ولاية مالوا (١١١٤هـ/١٧٠٤م-١١١٦هـ/١٧٠٦م) وقد جمع معها ولاية خانديش (١١١٤هـ/١٧٠٤م) وولاية الدكن (١١١٣هـ/١٧٠٣م- ١١١٥هـ/١٧٠٥م)[٤٣].

٧)الأمير معز الدين، وهو ليس من أبناء الملك ايضاً، منحه اورانجزيب العديد من الولايات:

أ. ولاية الملتان (١١٠٨هـ/١٦٩٨م-١١١٠هـ/١٧٠٠م)[٤٤].
ب.ولاية السند (١١١٤هـ/١٧٠٤م- ١١١٨هـ/١٧٠٧م)[٤٥].

ثانياً : تعيين الولاة :

إن الإجراءات التي طبقها المغول في التعيينات الرسمية للولاة إنما كانت تتم من خلال سلطة الإمبراطور اورانجزيب والتي هي أعلى سلطة تنفيذية وتشريعية في الدولة، وكذلك الأمر في حال اختيار الوزراء واصحاب الدواوين والوظائف العليا في

الدولة، وفيما يتعلق باختيار الولاة، فإن الواقع يشير إلى أن الاختيار في الأغلب يقع على الكفاءات الإدارية العالية ذات المستوى العلمي الرفيع وكذلك القوة الإدارية والسياسية المميزة، وحتى أولئك الولاة المقربون من الأسرة المغولية صاحبة السيادة والسلطة، سواء من الأمراء أو النبلاء أو غيرهم، ممن لهم خدمة قديمة ومميزة في بلاط المغول، كانت تنطبق عليهم الشروط المعرفية كالخبرة والعلم والدراية وقوة الشخصية، وقد لاحظنا من سياق الأحداث التاريخية التي وردت في " مآثر عالمكيري" إن معظم تعيينات الحكام الإداريين (السباهدار) إنما كانت تتخذ في ثلاث مناسبات رسمية، وهي السنة الجلوسية على العرش، والسنة الميلادية القمرية للملك، والسنة الميلادية الشمسية للملك، ولطالما قد جلس اورانجزيب على العرش سنة ١٠٦٨هـ/١٦٥٨م وحتى ١١١٨هـ/١٧٠٧م، وهي إحدى وخمسون سنة، نجد بالمحصلة مائة وثلاث وخمسون مناسبة احتفالية، كانت تتم فيها التعيينات الجديدة والعزل والمنح والاعطيات وتوزيع المناصب العليا في الدولة، ومنها الحكومات الإقليمية، في الوقت الذي كانت توشح فيه سائر القرارات الرسمية بتوقيع الملك الشخصي، وعندما تصفحنا " مآثر عالمكيري" فقد عثرنا على (٢١٦)سباهداراً (حاكما إدارياً) تمت إجراءات تعيينهم وعزلهم ونقلهم من ولاية إلى أخرى بموجب أوامر ملكية رسمية.

ولفت أنظارنا دراسة قيمة لاحد الباحثين الباكستانيين، وهو محمد أطهر علي[٤٦]، حيث اعد دراسة بعنوان " الحكام الإقليميين في عهد اورانجزيب، وقرر الباحث أن عدد الولاة بلغ مائة وسبع وثلاثون، وبذلك يكون قد بالغ في الخطأ، ولا ندري ما هو المسوغ الذي دفع به إلى إعلان ذلك، علماً بان مجموع الولاة لدى ساقي مستعد خان، يزيد أو ينقص عن ٢١٦ واليا، تعاقبوا على إدارة وتصريف شؤون الولايات في عهد الملك اورانجزيب، كما أشار الباحث اطهر علي إلى الأصول العرقية التي ينتمي إليها أولئك الولاة، الأمر الذي يعني بوضوح وجود فئات عرقية تمتعت

بامتيازات كبيرة في الدولة، وليسوا من المغول على أية حال بل هم من الإيرانيين الفرس، ونعثر على خطأ آخر لدى الباحث كان نتيجة اعتماد الرقم ١٣٧، كعدد للولاة، وتحقيقاً للفائدة العلمية، نضع جدولاً بيانيا وفقاً للنصوص التي اعتمدناها في " مآثر عالمكيري " للتعرف على الفئات التي تولت المنصب، وعددهم والنسب المئوية:

الفئة	العدد	النسبة المئوية
الأمراء المغول	٧	%٣،٣٢
الإيرانيون الفرس	١٠٠	%٤٦،٤٤
الأتراك الطورانيون	٣٩	%١٨،١٢
الأفغان	١٦	%٧،٧٨
المسلمون الهنود	٢٧	%١٢،١٠٨
مسلمون آخرون	١٩	%٨،٧٢
هندوس وراجبوت	٨	%٣،١٥٢

ونلاحظ من خلال الجدول ، أن الإيرانيين حازوا على النصيب الأكبر في حكم الولايات، وهي توازي عدد الأتراك والأفغان والهنود المسلمين والهندوس وغيرهم، وهذا يعطينا بعض المؤشرات على ان وصول هؤلاء الإيرانيين إلى هذه الدرجة من السلطات الواسعة لدليل على الروابط الوثيقة التي كانت تربط بينهم وبين الأسرة المغولية الحاكمة في الهند، وربما يكون وصول الإيرانيين إلى هذه المرتبة ما يبرره لدى المغول، فإلى جانب الولاء المطلق الذي مارسه الإيرانيون تجاه المغول، فانهم علاوة على ذلك، من اكثر المسلمين ثقافة ومعرفة وعلماً بشؤون الإدارة والسياسة، علماً بان تأثير الفرس لم ينحصر في منصب ادارة الولاية التابعة للسلطة المركزية

في العاصمة دلهي، بل كان منهم الوزراء وقادة الجيش، نضيف إلى ذلك تأثيرهم الكبير الذي سبق فترة الحكم المغولي في مضمار نشر اللغة الفارسية في الهند، التي هيمنت على جوانب الحياة الثقافية والإدارية في عموم الهند وأفغانستان وحتى آسيا الوسطى.

ثالثاً : نماذج على قدرة الولاة وأهميتهم

برزت شخصيات مرموقة تقلدت منصب " السباهدار" في عهد اورانجزيب، معظمهم من الايرانيين، تميزوا في كفاءتهم ودرايتهم ونشاطاتهم الواسعة في الأعمار والبناء حتى على الأمراء المغول، من هؤلاء الولاة الشهير بـ " شايستا خان " الملقب بامير الامراء، ابو طالب بن أبى الحسن الدهلومي، المتوفي سنة ١١٠٥هـ/١٦٩٥م، الذي اعتبرته المصادر التاريخية لحقبة المغول المسلمين في الهند، من المهرة في كافة العلوم لاسيما الفنون الحربية والإدارية والسياسية، ولذلك تعاقب على حكم أهم الولايات التابعة للإمبراطورية المغولية، فقد تولى ولاية الدكن جنوب الهند في " ٢٩ رمضان ١٠٦٨هـ/٢ جولاي ١٦٥٩م "، وذلك خلفاً للأمير محمد أعظم ابن اورانجزيب(٤٧)، ثم تولى ولاية اوريسا في ٢٤ محرم سنة ١٠٨٦هـ/٢٩ مارس ١٦٧٦م(٤٨)، وتولى ولاية أكرا في "٦ جمادى الأولى سنة ١٠٨٨هـ/١٦ جون ١٦٧٨م(٤٩)، ثم تولى ولاية البنغال في "١٣ شعبان ١٠٨٩هـ/٩ سبتمبر ١٦٧٩م، خلفاً للأمير محمد أعظم(٥٠).

وقد تميزت إدارة شايستاخان في ولاية البنغال الذي تولى إدارته مرتين، الأولى، وهي الفترة الاطول، من سنة ١٠٧٣هـ/١٦٦٤م وحتى سنة ١٠٩٨هـ/١٦٨٨م(٥١)، وفي الفترة الأولى والتي امتدت إلى اكثر من أربع عشرة سنة متواصلة، غَير في إدارة الولاية، إذ بدأ مشروعه الطموح في صيانة الأنهار الكثيرة والتي ليس لها حصر والمنتشرة في اغلب أراضي البنغال، حيث كانت تشكل مصدر خطر واضرار بمحاصيل وزراعات الولاية علاوة على تهديدها السنوي لحياة السكان، كما عالج شأن

الواجهة البحرية للإقليم، وذلك عندما شرع بداية الأمر بتحطيم أوكار القراصنة (Pirates nest) في منطقة تشانتكون (Chatgaon)، وانتصر على الأوروبيين البرتغاليين والإنجليز، ووضعهم في مناطق قريبة من دكا، وطفق يوسع الولاية وحدود الإمبراطورية المغولية(٥٢). وقد أسهب الرحالة الفرنسي بيرنير(Bernier) في رحلته بالحديث عن مواجهة شايشتا خان للبرتغاليين الذين راحوا يحتكرون تجارة خليج البنغال ويهددون سيادة دولة المغول، ويشير" بيرنير" إلى موقف اورانجزيب الذي دعمه عماً عسكرياً كبيراً، ويروي أن اورانجزيب قد وجه رسالة إلى البرتغاليين، يحذرهم من مخاطر التعرض لمصالح دولة المغول، وطالبهم بالخروج وعدم تعريض أهاليهم للهلاك واملاكهم للدمار، كما طالبهم بدفع أضعاف المبالغ المالية التي يحصلون عليها في الإقليم(٥٣).

وكذلك، واجه شايستا خان محاولات الإنجليز في السيطرة على ميناء هوكلي(Hughli)، بالإضافة إلى إن الإنجليز بدأوا يثيروا القلاقل والاضطرابات في منطقة السواحل الشرقية للهند وخليج البنغال، ووفقاً لما اورده المؤرخ سركار Sarkar فان بداية المواجهات بين القائد المغولي شايستا خان والإنجليز كانت على اثر مناوشات بين عمال هنود مسلمين وغير مسلمين مع رئيس مصنع شركة الهند الشرقية جوب تشارنوك(Job charnock)، وقد اصدر القاضي الهندي في البنغال أمراً يقضي بموجبه أن تدفع شركة الإنجليز ٤٣ ألف روبية لأولئك العمال المطرودين.بينما رفض رئيس الشركة الإنجليزية الاستجابة لدفع المبلغ، وبسبب ذلك قامت مجموعة من القوات المغولية باحتلال المصنع وذلك سنة ١٦٨٥م، ومن حينها تدهورت العلاقات بين الجانبين، وعندما علم شايستا خان عن نية الإنجليز في السيطرة على ميناء هوكلي، وضع خطة للخلاص من مخاطرهم، فارسل لهم قوة حربية كبيرة وأمر باحتلال المصنع الإنجليزي في ياتنا (Patna) وقد بدأت الحرب الفعلية بين شايستاخان والإنجليز في شباط سنة ١٦٨٧م، تم على اثرها طرد الإنجليز من هوكلي(٥٤)، وقدوبّخ شايستا خان الإنجليز على أفعالهم في هوكلي، إلا انه أذن لهم ببناء ميناء جديد في الوبيريا (Ulubera) على (٢٠ميلاً) جنوب كالكتا (Calcutta). ومن ثم يعيد اتصالهم التجاري بميناء هوكلي(٥٥).

ونعطي نموذجاً آخراً للولاة الإيرانيين المتميزين في عهد اورانجزيب، وهو إبراهيم خان، إبراهيم بن علي الفارسي (ت ١١٢١هـ/١٧٠٩م)، من الشخصيات الإيرانية التي لعبت دوراً بارزاً في تنمية وتطوير ولايات عديدة في عهد الملك اورانجزيب، حيث تؤكد المصادر التاريخية، أن إبراهيم خان كان متمرساً في الحكم والإدارة إلى جانب العلوم الكثيرة التي كان يتقنها، ولذلك عين واليا في اكثر من ولاية هامة من ولايات الإمبراطورية المغولية، فقد ولاه عالمكير ولاية كشمير سنة ١٠٧٠هـ/١٦٦٠م(٥٦)،وولاه إمارة لاهور (البنجاب) سنة ١٠٧٢هـ/١٦٦٣م(٥٧)، ثم ولاه بيهار سنة ١٠٧٨هـ/١٦٦٩م(٥٨)وولاه البنغال سنة ١٠٩٩هـ/١٦٨٩م(٥٩)،ومنحه ولاية الله آباد سنة ١١٠٨هـ/١٦٩٨م(٦٠)،وللمرة الثالثة يعينه على كشمير سنة ١١١٣هـ/١٧٠٣م(٦١)، وعلى إقليم الكجرات سنة ١١١٧هـ/١٧٠٦م(٦٢)،وعين على ولاية لاهور للمرة الثانية سنة ١١١٠هـ/١٧٠٠م(٦٣)،وبعد وفاة اورانجزيب، تولى ولاية كابل في عهد شاه عالم بن عالمكير، ثم عزل عنها، وجاء إلى إبراهيم آباد القريبة(٣٠ميلاً) من لاهور، واعتزل بها عن الناس حتى مات(٦٤).

وقد بذل إبراهيم خان جهداً كبيراً في تطوير الولايات التابعة لإدارته، فنشر فيها العمارات وعمرها بالمنشآت الزراعية، فبنى السدود والقنوات وأصلح الأراضي وزاد من إنتاجية الولايات من المحاصيل الزراعية، كما ساهم كثيراً في بناء المساجد في كشمير ولاهور والبنغال والكجرات والله آباد وبيهار، وبنى فيها المدارس التعليمية والبيمارستانات والحدائق الجميلة والرباطات المختلفة(٦٥)،وكانت من ابرز سمات إدارته ، ولايته الثانية على إقليم كشمير (١٠٨٨هـ/١٦٧٨م- ١٠٩٥هـ/١٦٨٥م) والتي استمرت ثماني سنوات، إذ أن ساقي مستعد خان مؤلف كتاب " مآثر عالمكيري " أورد معلومات غاية في الأهمية والاعتبار، وذلك عندما نجح إبراهيم خان أثناء ولايته لكشمير من تجريد حملة عسكرية ضد مملكة التبت، بقيادة ابنه فدائي خان، حيث حقق انتصاراً ساحقاً على الدالاي زامندار (Zamindar Dalai) ملك التبت، حتى اعتبره المغول فتحاً عظيماً من فتوحاتهم في جنوب آسيا، ويروي لنا مستعد خان، انه وعقب الفتح: " في يوم الجمعة (٤ رمضان ١٠٩٤هـ/١٧ اوكست ١٦٨٣م) " .وصلت رسالة من والي كشمير إبراهيم خان إلى حضرة الملك

اورانجزيب، تفيد أن ولده فدائي خان قاد حملته الجهادية ضد التبت وحاكمها " الدالاي زامندار "ثم أمر الإمبراطور اورانجزيب بعد سماعه لهذا النبأ، رجالات البلاط الملكي بالانحناء إجلالاً وتعظيماً لهذا النصر الكبير، وأمر بالموسيقى ان تعزف إظهاراً للبهجة والفرح، وأمر بإضافة منصب خمسة الاف لإبراهيم خان، ومنحه انعاماً قدره عشرة ملايين دام (One kror of Damas Inam) كما صدر مرسوماً ملكياً، يطري فيه على جهد إبراهيم خان ويمجده، أمر بمنحه كسوة خاصة مزركشة بالمجوهرات.وأعطاه خنجراً مرصعاً وعلبه لؤلؤة كبيرة مميزة، ويقدر ثمن الخنجر، بسبعة الاف روبية، ومنحه جواداً عربياً ثميناً، وفيلاً من اصطبلات الملك الخاصة، يبلغ ثمنه خمسة عشر ألف روبية(٦٦).

وتجدر الإشارة هنا، أن إبراهيم خان إلى جانب نشاطاته الواسعة في مجال الإصلاحات الإدارية والزراعية والعمر انية، كان واسع الاطلاع ويؤلف ويصنف، وكان من ابرز مؤلفاته، كتابه " بياض إبراهيمي " في السيرة والتاريخ، في سبع مجلدات، المجلدات الأول والثاني والثالث، في سيرة الخلفاء الراشدين الثلاثة، والرابع في عائشة الصديقة، والخامس فيما يتعلق بالأمير معاوية، والسادس في امامة سيدنا علي وفضائل الحسين ، والسابع في الفروع(٦٧).

رابعا:- المناصب

طبق المغول نظاماً إدارياً بالغ الدقة والتنظيم، ألا وهو ما يعرف " بالمنصبدار"، وقد اتخذ المغول هذه السياسة لرفع سوية المسؤولين في الدولة، من الامراء والوزراء إلى وظائف متدنية نوعاً ما، وتبدأ هذه المناصب بالعشرة الآف (Deh Hazari) ولغاية العشرة (Dah Bashi)، والولاة " السباهدار" خصص لهم مميزات وظيفية في الدولة، وهي ما بين الثلاثة الاف (She Hazari) ولغاية السبعة الآف(Haft Hazari)(٦٨)وسنضع للقارئ لاحقاً جدولاً يبين مخصصات المناصب التي كان يتولاها كبار مسؤولي الدولة. وهي مخصصات ثابتة بثبوت الشخص في وظيفته، بينما كان الملك اورانجزيت ينعم عليهم بالاعطيات والهبات والمنح الاخرى،

والتي تكون خارج المخصصات الرسمية، فيمنحهم الكسوة والخيول والجمال والفيلة والأموال والخناجر المرصعة والعديد من الأصناف الأخرى.

جدول يوضح طبيعة المنصبدار ومخصصات الموظفين وفقاً لمناصبهم(٧٠)							
	الراتب الشهري	الخيول	الجمال	البغال	الفيلة	العربات المتحركة	المنصب
١	٦٠،٠٠٠روبية	٦٨٠	١٦٠	٤٠	٢٠٠	٣٢٠	العشرة الاف "Deh Hazari"
٢	٥٠،٠٠٠	٥٣٠	١٣٠	٣٤	١٧٠	٢٦٠	الثمانية الاف "Hasht Hazari"
٣	٤٥،٠٠٠	٤٩٠	١١٠	٢٧	١٤٠	٢٢٠	السبعة الاف "Haft Hazari"
٤	٣٠،٠٠٠	٣٤٠	٨٠	٢٠	١٠٠	١٦٠	الخمسة الاف "Panj Hazari"
٥	٢٢،٠٠٠	٢٧٠	٦٥	١٧	٨٠	١٣٠	الأربعة الاف "chahar Hazari"
٦	١٧،٠٠٠	٢٠٠	٥٠	١٤	٧٠	١٠٠	الثلاثة الاف "Seh Hazari"
٧	١٢،٠٠٠	١٥٠	٣٠	٧	٤٠	٦٠	الألفين "Do Hazari"
٨	٨،٢٠٠	١٠٤	٢١	٤	٣٠	٤٢	الألف "Hazari"
٩	٧،٧٠٠	١٠٠	٢٠	٤	٣٠	٤٠	التسعمائة " Neh sadi"
١٠	٥،٠٠٠	٨٢	٢٠	٥	٢٨	٣٤	الثمانمائة "Hasht sadi"
١١	٤،٠٠٠	٥٨	١٧	٣	١٩	٢٧	السبعمائة "Haft sadi"
١٢	٣،٥٠٠	٣٨	١٤	٢	١٥	٢١	الستمائة "Shash sadi"
١٣	٢،٠٠٠	٢٠	٥	–	١٠	١٢	الأربعمائة "Chahar sadi"
١٤	٧٠٠	١٠	٢	–	٣	٥	المائة "Yaz sadi"

١٥	٢٥٠	٨	١	–	٢	٢	الخمسون "Panj abi"
١٦	١٠٠	٤	–	–	–	–	العشرة "Dah Bashi"

خامساً : الولايات التابعة للعرش المغولي:-

وجدنا من المهم ان نرصد أسماء الولاة واعدادهم الذين ظهروا في مسيرة الملك محي الدين محمد اورانجزيب، كما ندرك معها أهمية التعريف بالإقليم (الولاية) من حيث موقعها الجغرافي، وما تحتويه الولاية من وحدات إدارية خاضعة لها، واشهر المدن والعوائد السنوية التي تقدمها الولاية إلى خزينة الدولة، وكذلك التعرف على عدد الولاة واسمائهم وتواريخ توليهم للمنصب كما هو موضح في جدول الاقاليم، اذ خصصنا لكل ولاية جدولاً بأسماء الولاة الذين أداروا شؤونها، وذلك تعميماً للفائدة، وكشفاً لسيادة دولة إسلامية على شبه القارة الهندية بممارساتها الدقيقة والمنظمة والهادفة إلى النهوض بالدولة.

ولاية الدكن (Deccan)

اشتهرت بولاية حيدرآباد وأحيانا كولكندة وهو في جنوب الهند، يحدها من الشمال والشرق اوريسا، ومن الغرب بيدار (Bedar)، ومن الجنوب بيجابور، وتحتوي على ٢٢دسكراً، أما أهم مدنها، حيدر آباد، كولكندة، ما يداك آركوت، ورنجال، رجا بندري، مرتضى نكر، وقد بلغت العوائد السنوية للإقليم حوالي ٣٥٠ مليون دام [٧١]وتعاقب على حكم هذا الإقليم أربعة عشر والياً (سباهدار)[٧١].

	الحاكم الإداري السباهدار	السنة	المصدر *مآثر عالمكيري*
١	الأمير محمد معظم شاه عالم	١٠٦٨هـ/١٦٥٨م-١٠٦٩هـ/١٦٥٩	=،٤،١٣
٢	شايستا خان	١٠٧٠هـ/١٦٦٠-١٠٧٢هـ/١٦٦٢م	=،١٨،٢٥-٢٧
٣	الأمير محمد معظم شاه عالم	١٠٧٣هـ/١٦٦٣م-١٠٧٤هـ/١٦٦٤م	=،٢٨،٢٨
٤	ميرزا راجاجاي سنك	١٠٧٥هـ/١٦٦٦م-١٠٧٦هـ/١٦٦٧م	=،٣٢،٣٦
٥	الامير محمد معظم شاه عالم	١٠٧٧هـ/١٦٦٨م-١٠٨١هـ/١٦٧١م	=،٤٠،٦٧
٦	بهادرخان كوكا	١٠٨٢هـ/١٦٧٢م-١٠٨٦هـ/١٦٧٦م	=،٧١،٩١
٧	ديلارخان	١٠٨٧هـ/١٦٧٧م	=،٩٦-٩٩
٨	الامير شاه عالم	١٠٨٨هـ/١٦٧٨م-١٠٨٩هـ/١٦٧٩م	=،١٠٠،١٠٦
٩	بهادر خان كوكا	١٠٩٠هـ/١٦٨٠م-١٠٩٣هـ/١٦٨٣م	=،١١٢،١٣٧
١٠	صافي خان	١٠٩٤هـ/١٦٨٤م	=،١٤٤-١٥٠
١١	أمانت خان	١٠٩٥هـ-١٦٨٥م	=،١٥١-١٦٠
١٢	حجي شفيع	١٠٩٦هـ/١٦٨٦م-١٠٩٨هـ/١٦٨٨م	=،١٦١،١٨٢

١٣	سبزاوري ديانت خان	١١٠٥هـ/١٦٩٥م	=،٢٢٣-٢٢٤
١٤	حسن علي خان	١١٠٩هـ/١٧٩٩م	=،٢٣٩-٢٤٤
١٥	نجابت خان	١١١٠هـ/١٧٠٠م-١١١٢هـ/١٧٠٢م	=،٢٤٥،٢٦٢
١٦	الامير بيدار بخت	١١١٣هـ/١٧٠٣م-١١١٥هـ/١٧٠٥م	=،٢٧٠،٢٨٦
١٧	الامير محمد أعظم	١١١٦هـ/١٧٠٦م	=،٢٩٣-٣٠٣

ولاية اورانك آباد (Aurangabad):-

يحد هذه الولاية من الشمال خانديش، ومن الغرب بحر العرب، ومن الشرق بيرار، ومن الجنوب بيجابور، ويبلغ طولها شمالاً وجنوباً ٢٤١كم وعرضها ١٦١كم، وتحتوي على ثمانية دساكر وثمانون قرية، أهم مدنها، اورنج آباد، مالك عنبر، دولت آباد، احمد نكر، جونار، ساتارا[٧٢]، وقد بلغت العوائد السنوية ما مجموعه تقريباً، (٢٥٠ مليون) ولم يظهر من الولاة الا خان زمان مير خليل[٧٣].

ولاية اورنج آباد (Aurangabad)		
الحاكم الإداري السباهدار	السنة	المصدر مآثر عالمكيري
١. خان زمان مير	**١٠٧٥هـ/١٦٦٦م**	=،٣٢-٣٥

خليل	١٠٧٦هـ/١٦٦٧م	٣٦-٣٩

ولاية الله آباد (Allahabad):

تقع هذه الولاية في سهول الكنج ويحدها من الشرق بيهار (Bihar) ومن الغرب أكرا (Agra)، واوده شمالاً وباندكاره (Bandhogarh) جنوباً، وطول هذا الإقليم من الشرق إلى الغرب ٢٥٧كم، أما عرضه شمالاً وجنوباً فيبلغ ١٩٣كم، يحتوي هذا على عشرة دساكر، و(٤٧)قرية ومحل، أما أهم مدن الإقليم فهي:- الله آباد، بينارس، جانيور، كالنجار، تشوناركاره، ميرزايور، غازي يور، ناصر آباد، فاتحيور وراي بارلي (Rae Bareli)[٧٤] وتعاقب على حكم هذه الولاية ثلاثة عشر والياً، وأكثرهم مدة في إدارة الولاية هو السباهدار بهادر خان، وقد بلغت عوائد هذه الولاية السنوية ٣٧٦ مليون دام، أي ما يعادل ٩،٤٠٠،٠٠٠ روبية هندية.[٧٥]

	الوالـــي	السنة	المصدر
١	خان دوراني	١٠٦٨هـ/١٦٥٨م-١٠٦٩هـ/١٦٥٩م	عالمكيرنامة ٤٨٦
٢	بهادر خان	١٠٧٠هـ/-١٦٦٠م-١٠٧٦هـ/١٦٦٧م	مآثرعـــالمكيري١٨-٢٠
٣	الله وردي خان	١٠٧٧هـ/١٦٦٨م-١٠٧٨هـ/١٦٦٩م	مآثر عالمكيري ٥٢
٤	ميرخان ميرميران	١٠٧٩هـ/١٦٧٠م-١٠٨٢هـ/١٦٧٢م	=،٥٢-٥٥
٥	حسن علي خان	١٠٨٣هـ/١٦٧٣م-١٠٨٥هـ/١٦٧٥م	=، ٧٦،٨٦

٦	همت خان ميرعيسى	١٠٨٦هـ/١٦٧٦م-١٠٩٠هـ/١٦٨٠م	=،٩١، ١١٣
٧	سيف خان	١٠٩٤هـ/١٦٨٤م-١٠٩٥هـ/١٦٨٥م	=،١٤٤،١٥١
٨	محتشم خان	١٠٩٦هـ/١٦٨٦م-١٠٩٩هـ/١٦٨٩م	=،١٦١،١٨٩
٩	بهادر خان كوكا	١١٠٠هـ/١٦٩٠م	=، ١٩٩
١٠	همت خان محمد حسن	١١٠١هـ/١٦٩١م-١١٠٣هـ/١٦٩٣م	=،٢٠٣،٢٠٩
١١	بزرك امير خان	١١٠٤هـ/١٦٩٤م-١١٠٧هـ/١٦٩٧م	=،٢١٤،٢٣٢
١٢	ابراهيم خان	١١٠٨هـ/١٦٩٨م-١١١٠هـ/١٧٠٠م	=،٢٣٥،٢٤٥
١٣	سيهدار خان	١١١١هـ/١٧٠١م-١١١٢هـ/١٧٠٢م	=،٢٥٦،٢٦٢
١٤	فدائي خان	١١١٣هـ/١٧٠٣م	=، ٢٧٠
١٥	سبهدار خان	١١١٤هـ/١٧٠٤م-١١١٨هـ/١٧٠٧م	=،٢٧٩،٣٠٨

ولاية البنغال (Bengal):-

وهي من الولايات الهامة التي اعتمد عليها المغول في زيادة مواردهم الاقتصادية، من خلال إقامة المشاريع الزراعية فيها، يحد هذه الولاية من الغرب مرتفعات " تشيتاكونك" (Chittagons)، وبيهار من الغرب وهمالايا من الشمال، ومن الشرق خليج البنغال، ويبلغ طولها من الشرق إلى الغرب حوالي ٤٤٠كم، وشمالاً وجنوباً ٣٢٢كم[٧٦].

تحتوي ولاية البنغال على اثنى عشرة دسكراً، و ١٢١٩قرية وقد بلغت عوائد الإقليم السنوية،١١٠،٧٣٩،٥٢٣داماً [٧٧] أما أهم مدن الولاية: لاكهنوتي، سوناركون، سوناركون، بارباك آباد، شريف آباد، بوردوان، رانكبور، دكا، مرشد آباد.

	الوالـي	السنة	المصدر
١	مير جملة	١٠٦٩هـ/١٦٥٩م-١٠٧٢هـ/١٦٦٣م	**مآثرعالمكيري ١٣،٢٥**
٢	امير الامراء شايستا خان	١٠٧٣هـ/١٦٦٤م-١٠٨٦هـ/١٦٧٦م	**=،٢٨،٩١**
٣	فدائي خان اعظم كوكا	١٠٨٧هـ/١٦٧٧م	**=، ٩٦-٩٩**
٤	الامير محمد أعظم	١٠٨٨هـ/١٦٧٨م-١٠٨٩هـ/١٦٧٩م	**=،١٠٦،١٠٠**
٥	شايستا خان	١٠٩٠هـ/١٦٨٠م-١٠٩٨هـ/١٦٨٨م	**=،١٨٢،١١٢**
٦	ابراهيم خان	١٠٩٩هـ/١٦٨٩م-١١٠٧هـ/١٦٩٧م	**=،٢٣٢،١٨٩**
٧	الامير عظيم الشأن	١١٠٨هـ/١٦٩٨م-١١١٨هـ/١٧٠٧م	**=،٣٠٨،٢٣٥**

ولاية خانديش (Khandeesh):

وهي من الولايات الصغيرة، يحدها من الشرق ولاية بيرار، ومن الشمال والغرب ولاية مالوا، ومن الجنوب جالنا (Jalna) ويبلغ طول هذه الولاية من الشرق إلى الغرب حوالي ٢١ اكم، وعرضها جنوباً وشمالاً ٨٠كم، وقد بلغت عوائد هذه الولاية سنوياً، حوالي ٣٦٩ مليون دام، وتحتوي على ستة دساكر، و١١٣قرية ومحلاً [٧٨]، اما اهم مدن ولاية خانديش فهي:-

برهانيور، آسير (Asir)، باكلانا (Baglana) وتعاقب على حكم وا إدارة هذه الولاية حوالي خمسة عشر والياً .

	الوالـي	السنة	المصدر
١	**وزير خان**	١٠٦٨هـ/١٦٥٨م-١٠٦٩هـ/١٦٥٩م	=،٤+١٣،١٢-١٧
٢	**وزير خان**	١٠٧٤هـ/١٦٦٥م-١٠٧٥هـ/١٦٦٦م	=،٣٢،٣١-٣٥
٣	خان زمان ميرخليل	١٠٧٦هـ/١٦٦٧م-١٠٧٧هـ/١٦٦٨م	=،٣٦-٤٠،٣٩-٤٣
٤	مختار خان	١٠٧٨هـ/١٦٦٩م-١٠٨٠هـ/١٦٧١م	=،٤٥، ٦٠
٥	هو شدار خان	١٠٨١هـ/١٦٧١م-١٠٨٧هـ/١٦٧٧م	=،٦٧-٩٦،٧٠-٩٩
٦	بهادر خان كوكا	١٠٩٠هـ/١٦٨٠م	=،١١٢-١٢٠
٧	اريج خان	١٠٩١هـ/١٦٨١م	=،١٢١-١٣٠
٨	مغل خان	١٠٩٢هـ/١٦٨٢م-١٠٩٣هـ/١٦٨٣م	=،١٣١-١٣٦ ١٣٧-١٤٣
٩	خان زمان مير خليل	١٠٩٥هـ/١٦٨٦م	=، ١٥١-١٦٠
١٠	الامير محمد أعظم	١٠٩٦هـ/١٦٨٦م	=، ١٦١-٦٩
١١	عنايت خان	١١٠٣هـ/١٦٩٣م	=، ٢٠٩-٢١٣
١٢	مرحمت خان	١١٠٤هـ/١٦٩٤م-١١٠٥هـ/١٦٩٥م	=،٢٢٣،٢١٤
١٣	عنايت خان الثاني	١١٠٦هـ/١٦٩٦م	=،٢٥٥-٢٣١
١٤	نجابت خان	١١٠٧هـ/١٦٩٧م-١١٠٩هـ/١٦٩٩م	=،٢٣٩،٢٣٢
١٥	منقدخان محمدقوي	١١١٠هـ/١٧٠٠م	=،٢٤٥-٢٥٥

١٦	صدرالدين محمد خان	١١١١هـ/١٧٠١م	=،٢٥٦- ٢٦١
١٧	نجابت خان بهراورخان	١١١٢هـ/١٧٠٢م-١١١٣هـ/١٧٠٣م	=،٢٦٢،٢٧٠
١٨	الامير بيدار بخت	١١١٤هـ/١٧٠٤م	=،٢٧٩-٢٨٥
١٩	الامير محمد أعظم	١١١٦هـ/١٧٠٦م	=،٢٩٣-٣٠٣
٢٠	نجابت خان بهادرخان	١١١٧هـ/١٧٠٧م	=،٣٠٤-٣٠٧
٢١	تشن مالتش خان	١١١٨هـ/١٧٠٧م	=،٣٠٨- ٣٢٣

ولاية اكرا (شاهجهان آباد Shahjahanabad):-

تقع هذه الولاية إلى الشرق من دلهي، يحدها من الشمال نهر الكنج (Ganges)، ومن الجنوب مالوا (Malwa)، ومن الشرق ولاية الله آباد، يبلغ طول هذا الإقليم ٢٨٢كم وعرضه حوالي ١٦١كم، ويحتوي على ١٣دسكراً، و٢٦٤قرية ومحلاً اهم مدن هذه الولاية :اكرا(Agra)، كواليور، ماراثا(Martha)، دهليور(Dholpur)، بهارتيور، ماثورا، فاتحبورسكري، كاليبسي كانوج، بايانا، جاليسار، الوار، فروخ آباد(٧٩)، وقد بلغت عوائد الولاية السنوية ما قيمته، ٢٨٣، ٧٠٩، ٠٥١، ١ مليار وإحدى وخمسون مليون ونصف، وتعاقب على حكم هذه الولاية ستة عشر والياً .

	الوالي	السنة	المصدر
١	شايستا خان	١٠٦٨هـ-١٦٥٨م	=٤-١٢
٢	مخلص خان	١٠٦٩هـ/١٦٥٦م	=، ١٣-١٧

٣	وزير خان	١٠٧٠هـ/١٦٦٠م-١٠٧٢هـ/١٦٦٣م	=،١٨، ٢٥
٤	اسلام خان هوشدار	١٠٧٣هـ/١٦٦٤م-١٠٨٠هـ/١٦٧١م	=،٦٠،٢٨-٦٦
٥	نامدار خان	١٠٨١هـ/١٦٧١م	=،٦٧،٧٠
٦	سابورلاند خان	١٠٨٢هـ ١٦٧٢م-١٠٨٣هـ/١٦٧٣م	=،٧١،٨٦
٧	معتمد خان	١٠٨٤هـ/١٦٧٤م-١٠٨٥هـ/١٦٧٥م	=،٨١،٨٦
٨	حسن علي خان	١٠٨٧هـ/١٦٧٧م	=،٩٦-٩٩
٩	شايستا خان	١٠٨٨هـ/١٦٧٨م-١٠٨٩هـ/١٦٧٩م	=،١٠٠،١٠٦
١٠	صافي خان	١٠٩٠هـ/١٦٨٠م	=،١١٢-١٢٠
١١	عبدالله خان	١٠٩١هـ/١٦٨١م	=،١٢١-١٣٠
١٢	يد منّور	١٠٩٢هـ/١٦٨٢م	=،١٣١-١٣٦
١٣	محتشم خان	١٠٩٤هـ/١٦٨٤م	=،١٤٤-١٥٠
١٤	صافي خان	١٠٩٥هـ/١٦٨٥م-١٠٩٦هـ/١٦٨٦م	=،١٥١،١٦١
١٥	سبهدار خان	١٠٩٧هـ/١٦٨٧م-١٠٩٨هـ/١٦٩٨م	=،١٧٠، ١٨٢
١٦	اعتقاد خان	١١٠٣هـ/١٦٩٣م-١١٠٤هـ/١٦٩٤م	=،٢٠٩، ٢١٤
١٧	فدائي خان	١١٠٥هـ/١٦٩٥م	=، ٢٢٣-٢٢٤
١٨	الامير محمد معظم	١١٠٦هـ/١٦٩٦م	=،٢٢٥-٢٣١
١٩	اعتقاد خان اعتقاد خان	١١٠٨هـ/١٦٩٨م-١١١٢هـ/١٧٠٢م	=،٢٦٢،٢٣٥
٢٠	مختار خان قمر الدين	١١١٣هـ/١٧٠٣م-١١١٨هـ/١٧٠٧م	=،٣٠٨،٢٧٠

ولاية السند(Sindh):-

يحدها من الشرق ولاية الكجرات، ومن الغرب المكران (بلوجستان) ومن الشمال بهكار، وبحر العرب من الجنوب، ويبلغ طول هذه الولاية ٤١٤كم وعرضها، ١٦١كم واهم مدنها:- تهتها، سيوستان، حيدر آباد، كراتشي، آمركوت،كاهان[٨١]،بينما بلغت عوائد هذه الولاية السنوية ما قيمته: ٩٠٠،٩٨٦،٥٧٤داماً [٨٢]بينما تعاقب على إدارة هذه الولاية خمسة ولاة (سباهدار) فقط .

	الوالـي	السنة	المصدر
١	قباد خان البدخشي	١٠٦٨هـ/١٦٥٨م-١٠٦٩هـ/١٦٥٩م	=،٤-١٣،١٢-١٧
٢	لاسكار خان	١٠٧٠هـ/١٦٦٠م-١٠٧٣هـ/١٦٦٤م	=،٢١،١٨-٢٤
٣	قباد خان البدخشي	١٠٧٤هـ/١٦٦٥م-١٠٧٦هـ/١٦٦٧م	=،٣٦،٣١-٣٩
٤	سيد عزت خان	١٠٧٧هـ/١٦٦٨م-١٠٨٨هـ/١٦٧٨م	=،١٧٠،١٤٤
٥	سردارخان	١٠٩٤هـ/١٦٨٤م-١٠٩٧هـ/١٦٧٨م	=،١٧٠،١٤٤
٦	الأمير معز الدين	١١١٤هـ/١٧٠٤م-١١١٨هـ/١٧٠٧م	=،٣٠٨،٢٧٩

ولاية كشمير (Kashmir):

يحد هذه الولاية من جهة الشرق مرتفعات التبت، ومن الغرب افغانستان، ومن الشمال تركستان الصينية، ومن الجنوب ولاية لاهور، ويبلغ طول هذه الولاية ١٩٣كم، وعرضها ٩٧كم، يذكر بختارو خان في مؤلفه مرآة عالم، ان فيها احدى وخمسون قرية ولم يذكر عدد الدساكر[٨٣] اهم مدن هذه الولاية، سرنيكار(Sringar)، اسلام آباد، شاه آباد، شوبيان،ياميور(Pampur) – بينما بلغت العوائد السنوية ايام اورانجزيب حوالي:٨٢٦، ٢١٣، ٠٧٤داماً[٨٤] وتعاقب على إدارتها اثنا عشر (سلهداراً)حاكماً ادارياً .

	الوالــي	السنة	المصدر
١	اعتماد خان	١٠٦٨هـ/١٦٥٨م-١٠٦٩هـ/١٦٥٩م	=،١٣،٤-١٧
٢	إبراهيم خان	١٠٧٠هـ/١٦٦٠م	=،١٨-٢٠
٣	إسلام خان	١٠٧١هـ/١٦٦٢م-١٠٧٢هـ/١٦٦٣م	=،٢٥،٢١
٤	سيف خان	١٠٧٣هـ/١٦٦٣م-١٠٧٥هـ/١٦٦٦م	=٣٢،٢٨
٥	مبارز خان	١٠٧٦هـ/١٦٦٧م-١٠٧٨هـ/١٦٦٩م	٤٥،٣٦
٦	سيف خان	١٠٧٩هـ/١٦٧٠م-١٠٨٠هـ/١٦٧١م	=،٦٠،٥١
٧	افتقار خان	١٠٨١هـ/١٦٧١م-١٠٨٥هـ/١٦٧٥م	=،٨٦،٦٧
٨	قوام الدين خان	١٠٨٦هـ/١٦٧٦م-١٠٨٧هـ/١٦٧٧م	=،٩٦،٩١
٩	إبراهيم خان	١٠٨٨هـ/١٦٧٨م-١٠٩٥هـ/١٦٨٥م	=،١٠٠، ١٥١
١٠	حفيظ الله خان	١٠٩٦هـ/١٦٨٦م-١٠٩٩هـ/١٦٨٩م	=،١٨٩،١٦١
١١	مظفر خان	١١٠٠هـ/١٦٩٠م-١١٠٢هـ/١٦٩٢م	=،٢٠٥،١٩٩
١٢	أبو نصر خان	١١٠٣هـ/١٦٩٣م-١١٠٧هـ/١٦٩٧م	=،٢٣٢،٢٠٩
١٣	فاضل خان برهان الدين	١١٠٨هـ/١٦٩٨م-١١١٢هـ/١٦٧٠م	=،٢٣٥، ٢٦٢
١٤	إبراهيم خان	١١١٣هـ/١٧٠٣م-١١١٦هـ/١٧٠٦م	=،٢٩٣،٢٧٠
١٥	نوازش خان	١١١٧هـ/١٧٠٦م-١١١٨هـ/١٧٠٧م	=،٣٠٨،٣٠٤

ولاية دلهي (اكبرآباد Akbarabad):-

وهـي الولايـة التـي تقـع فيهـا عاصـمة الدولـة المغوليـة ، مدينـة دلهـي، وقـد حظيـت هـذه الولايـة برعايـة المغـول والمسـلمين الـذين سـبقوهم فـي حكـم الهنـد، وتقـع فـي سـهول الكنـج الشهـيرة، ومـن الجنـوب ولايـة اجمير، ومـن الشـمال مرتفعـات جبـال همالايـا، حيـث يبلـغ طـول الإقلـيم ٢٧٤كـم وعرضـه٢٢٥ك م، ويحتـوي علـى ثمانيـة دسـاكر و ٢٨٥ قريـة، وقـد بلغـت العوائـد السـنوية حـوالي ١٦٩،٣٩٨ ويحـدها مـن الشـرق ولايـة الله آبـاد، ومـن الغـرب ولايـة لاهـور، ٢٦٩، ٣٩٨، ١٦٨، ١داماً (٨٥)، اهـم المـدن، دلهـي، بـدايون، شـاهجهان نـور، راميور، سرهند، هانسي، سامان، يانجايات، سوهنا، تهانسوار.

	الوالـي	السنة	المصدر
١	سيادت خان	١٠٦٨هـ/١٦٥٨م	=،٤-١٢
٢	دانشمند خان	١٠٦٩هـ/١٦٥٩م	=،١٣-١٧
٣	هودار خان	١٠٧٢هـ/١٦٦٣	=،٢٥-٢٧
٤	صافي خان	١٠٧٣هـ/١٦٦٤م-١٠٧٤هـ/١٦٦٥م	=،٣١،٢٨
٥	دانشمند خان	١٠٧٥هـ/١٦٦٦م-١٠٨٠هـ/١٦٧١م	=،٣٢،٦٠-٦٦
٦	نامدار خان	١٠٨١هـ/١٦٧١م-١٠٨٣هـ/١٦٧٣م	=،٧٦،٦٧
٧	صافي خان	١٠٨٤هـ/١٦٧٤م-١٠٨٨هـ/١٦٩٨م	=،١٠٠،٨١
٨	عاقل خان	١٠٩١هـ/١٦٨١م-١١٠٧هـ/١٦٩٧م	=،٢٣٢،١٢١

٩	محمد يار خان	١١٠٨هـ/١٦٩٨م-١١١٨هـ/١٧٠٧م	=،٣٠٨،٢٣٥

ولاية الكجرات(Gujarat):-

يحدها من الغرب بحر العرب والسند، ومن الشمال السند ومن الشرق مالوا ومن الجنوب بحر العرب، ويبلغ طول الإقليم ٤٨٥كم وعرضه ٤٣٥كم، ويحتوي على ٩ دساكر، و١٨٨قرية و١٣ ميناء بحري، اما اهم مدنها، كانيايه، سورات، راندار، ناوساري(Navsari)، بروتش(Broach)، سومنات(somnatw)، بارودا، احمد آباد، محمود آباد، نهر واله، وبلغت عوائد الاقليم حوالي، ٧٩،٥٨٣ مليون دام(٨٦)،وتعاقب ادارتها ايام اورانجزيب تسعة ولاة.

	الوالـي	السنة	المصدر
١	شاهنواز خان	١٠٦٨هـ/١٦٥٨م	=،١٢،٤
٢	جاسونت سنك	١٠٦٩هـ/١٦٥٩م-١٠٧١هـ/١٦٦٢م	=،٢١،١٣
٣	قطب الدين خان	١٠٧٢هـ/١٦٦٣م-١٠٧٦هـ/١٦٦٧م	=،٢٥، ٣٦
٤	بهادر خان كوكا	١٠٧٧هـ/١٦٦٨م-١٠٨٠هـ/١٦٧١م	=،٦٠،٤٠
٥	جاسونت سنك	١٠٨١هـ/١٦٧١م-١٠٨٢هـ/١٦٧٢م	=،٧١،٦٧
٦	محمد أمين خان	١٠٨٣هـ/١٦٧٣م-١٠٩١هـ/١٦٨١م	=،١٢١،٧٦
٧	مختار خان	١٠٩٢هـ/١٦٨٢م-١٠٩٥هـ/١٦٨٥م	=،١٥١،١٣١

٨	شجاعت خان	١٠٩٦هـ/١٦٨٦م-١١١٢هـ/١٧٠٢م	=،١٦١،٢٦٢
٩	الامير محمد أعظم	١١١٣هـ/١٧٠٣م-١١١٦هـ/١٧٠٦م	=،٢٧٠،٢٩٣
١٠	'براهيم خان	١١١٧هـ/١٧٠٦م-١١١٨هـ/١٧٠٧م	=، ٣٠٤،٣٠٨

ولاية الملتان(Multn):-

يحدها من الجنوب السند، ومن الشمال افغانستان، ومن الشرق بلوجستان، ومن الغرب البنجاب، ويحتوي الاقليم على ثلاثة دساكر، و٩٨ قرية ومحلاً، اما اهم مدن هذه الولاية، الملتان، اوتشه(Uch) تالمبا(Talimiba) بهاكار، سكّر، بهاوليور، سيوي، شيكربور، آلور دوربيلا، عبد الحي، ص٦٤-٦٥ وقد لغت العوائد السنوية لهذا الاقليم حوالي ٥٧٥، ٣١٨، ٢٤٥داما[٨٧]، و تعاقب عليها اثنى عشرة والياً (باهداراً).

	الوالــي	السنة	المصدر
١	لاشكار خان	١٠٦٨هـ/١٦٥٨م-١٠٦٩هـ/١٦٥٩م	=، ٤،١٣،١٤
٢	تربيت خان	١٠٧٠هـ/١٦٦٠م-١٠٧٥هـ/١٦٦٦م	=،١٨،٣٢-٣٥
٣	سيف خان	١٠٧٦هـ/١٦٦٧م-١٠٧٧هـ/١٦٦٨م	=،٣٦،٤٠
٤	لاسكار خان	١٠٧٨هـ/١٦٦٩م-١٠٨٠هـ/١٦٧١م	=،٤٥،٦٠-٦٦
٥	عبد خان	١٠٨١هـ/١٦٧١م-١٠٨٤هـ/١٦٧٤م	=،٦٧،٨١
٦	ديلير خان	١٠٨٥هـ/١٦٧٥م	=،٨٦-٩٠

٧	الأمير محمد اعظم	١٠٨٦هـ/١٦٧٦م-١٠٨٧هـ/١٦٧٧م	=،٩١،٩٦
٨	الأمير محمد اكبر	١٠٨٨هـ/١٦٧٨م-١٠٨٩هـ/١٦٧٩م	=،١٠٠،١٠٦
٩	مكرمت خان	١٠٩٨هـ/١٦٨٨م-١١٠٠هـ/١٦٩٠م	=،١٨٢،١٩٩
١٠	الله يارخان	١١٠٤هـ/١٦٩٤م	=،١٢٢-٢١٤
١١	مكرم خان	١١٠٥هـ/١٦٩٥م-١١٠٦هـ١٦٩٦م	=، ٢٢٣،٢٢٥
١٢	الأمير معز الدين	١١٠٨هـ/١٦٩٨م-١١١٠هـ/١٧٠٠م	=،٢٣٥،٢٤٥
١٣	محمد رفيع	١١١١هـ/١٧٠١م-١١١٨هـ/١٧٠٧م	=،٢٥٦،٣٠٨-٣٢٣

ولاية اوريسا (Orissa):-

يحدها من الشمال بيرار وكوندوان، ومن الجنوب والشرق خليج البنغال، ومن الغرب ولاية حيدر آباد، ويبلغ طولها ١٩٣كم وعرضها ١٦١كم، وتحتوي على إحدى عشر دسكراًو ٢٤٤ قرية ومحلاً،اما اهم مدنها،كتاك(Cuttsck)، يوري(Puri)[٨٨]، أما العوائد السنوية للولاية، ١٩٧ مليون دام[٩٨]،وتعاقب على ادارتها ايام اورانجزيب اثنى عشرة والياً (سباهدار).

	الوالـي	السنة	المصدر
1	خان دوراني	١٠٦٩هـ/١٦٥٩م-١٠٧٧هـ/١٦٦٧م	=، ١٣،٤٠
٢	تربيت خان	١٠٧٨هـ/١٦٦٨م	=،٤٥-٥٠
٣	صافي خان	١٠٧٩هـ/١٦٦٩م	=،٥١-٩٥
٤	سيف شيكان خان	١٠٨٠هـ/١٦٧١م-١٠٨١هـ/١٦٧١م	=،٦٠،٦٧

٥	رشيد خان	١٠٨٥هـ/١٦٧٥م-١٠٨٦هـ/١٦٧٦م	=،٨٦،٩١
٦	الامير محمد اعظم	١٠٨٨هـ/١٦٧٨م	=،١٠٠-١٠٥
٧	شايستان خان	١٠٨٩هـ/١٦٧٩م-١٠٩٧هـ/١٦٨٧م	=،١٠٦،١٧٠
٨	ابو نصر خان	١٠٩٨هـ/١٦٨٨م-١١٠٣هـ/١٦٩٣م	=،١٨٢،٢٠٩
٩	كامكار خان	١١٠٤هـ/١٦٩٤م-١١٠٥هـ/١٦٩٥م	=،٢١٤، ٢٢٣
١٠	اكرام خان	١١٠٦هـ/١٦٩٦م-١١٠٩هـ/١٦٩٩م	=،٢٢٥،٢٣٩
١١	زبردست خان	١١١٠هـ/١٧٠٠م	=،٢٤٥-٢٥٥
١٢	غضنفر خان	١١١١هـ/١٧٠٧م-١١١٣هـ/١٧٠٣م	=،٢٥٦،٢٧٠
١٣	كامكار خان	١١١٤هـ/١٧٠٤م-١١١٨هـ/١٧٠٧م	=،٢٧٩،٣٠٨

ولاية بيدار (ظفرآباد)(Bedar) :

يحد هذه الولاية من الشمال ولاية خانديش، ومن الشرق تيلانكانا(Tilangana) ومن الغرب اورانج آباد ومن الجنوب قل برق، ويبلغ طولها ٣١٤كم وعرضها ١٨٥كم، وتحتوي على ستة دساكر ومائة وسبعون قرية، واهم مدنها:- بيدار، نادر[٩٠]، وبلغت العوائد السنوية لهذه الولاية حوالي ٢٥٠مليون دام[٩١]، وتعاقب على حكمها تسعة ولاة (سباهدار).

	الوالي	السنة	المصدر
١	خان زمان مير خليل مير شمس الدين	١٠٧١هـ/١٦٦٢م-١٠٧٦هـ/١٦٦٧م	=، ٢١،٣٦
٢	مختار خان	١٠٨١هـ/١٦٧١م	=،٦٧-٧٠
٣	مختار خان	١٠٨٢هـ/١٦٧٢م	=،٧١-٧٥

٤	خان زمان ميرخليل	١٠٨٧هـ/١٦٧٧م	=،٩٦-٩٩
٥	قولتش خان	١٠٩٦هـ/١٦٨٦م	=،١٦١-١٦٩
٦	عبد الله خان	١١٠٣هـ/١٦٩٣م	=،٢٠٩-٢١٣
٧	لاشكار خان	١١٠٤هـ/١٦٩٤م	٢١٤-٢٢٢
٨	عبدالله خان	١١٠٥هـ/١٦٩٥م	=، ٢٢٣-٢٢٤
٩	خانزاد خان	١١٠٦هـ/١٦٩٦م-١١٠٧هـ/١٦٩٧م	=،٢٣٢،٢٢٥
١٠	علي مردان خان	١١٠٩هـ/١٦٩٩م-١١١٠هـ/١٧٠٠م	=،٢٣٩، ٢٤٥
١١	خدابنده خان	١١١١هـ/١٧٠١م-١١١٤هـ/١٧٠٤م	=،٢٥٦-٢٦١
			٢٧٩-٢٨٥

ولاية أوده (Oudh):

يحدّها من الشرق بيهار، ومن الغرب اكبر آباد ومن الجنوب الله آباد، ومن الشمال مرتفعات همالايا، تحتوي على خمسة دساكر ومائة وتسع واربعون قرية، واهم مدنها، فيض آباد، لكنهو، بهرايش، بيلكرام، هارودي، فاتحبور، خير آباد، هاركون، موهان، سانديلا(٩٢)، اما العوائد السنوية لهذه الولاية فيبلغ حوالي ١٩٣،٠٧٢،٣٢٠ دام(٩٣)، وتعاقب على ادارتها ايام اورانجزيت سبعة عشر والياً .

	الوالــي	السنة	المصدر
١	ارادة خان	١٠٦٨هـ/١٦٥٨م	=،٤-١٢

٢	فدائي خان كوكا	١٠٦٩هـ/١٦٥٩م	=،١٣-١٧
٣	مراد خان	١٠٧٠هـ/١٦٦٠م-١٠٧٥هـ/١٦٦٦م	=،١٨،٣٢
٤	صافشيكان خان	١٠٧٦هـ/١٦٦٧م-١٠٧٧هـ/١٦٦٨م	=،٣٦،٤٠
٥	فدائي خان كوكا	١٠٧٨هـ/١٦٦٩م-١٠٨١هـ/١٦٧١م	=،٤٥،٦٧
٦	ميراحمـد سـعادت خان	١٠٨٤هـ/١٦٧٤م	=،٨١،٨٥
٧	نامدار خان	١٠٨٥هـ/١٦٧٥م-١٠٨٧هـ/١٦٧٧م	=،٨٦،٩٦
٨	و ّ ر خان	١٠٨٨هـ/١٦٧٨م	=،١٠٠-١٠٥
٩	أبو محمد خان	١٠٨٩هـ/١٦٧٩م	=،١٠٦-١١١
١٠	كامكار خان	١٠٩٩هـ/١٦٨٩م	=،١٨٩-١٩٨
١١	محمد حسن	١١٠٠هـ/١٦٩٠م	=،١٩٩-٢٠٢
١٢	خدابنده خان	١١٠٤هـ/١٦٩٤م	=،٢١٤-٢٢٢
١٣	أصـغرخان حيـدر آبادي	١١٠٥هـ/١٦٩٥م-١١٠٧هـ/١٦٩٧م	=،٢٢٣،٢٣٢
١٤	ُسد الله اكرام خان	١١٠٨هـ/١٦٩٨م-١١٠٩هـ/١٦٩٩م	=،٢٣٥،٢٣٩
١٥	شمشير خان	١١١٠هـ/١٧٠٠م-١١١٥هـ/١٧٠٥م	=،٢٤٥،٢٨٦
١٦	ميرزا حان عالم	١١١٦هـ/١٧٠٦م	=،٢٩٣-٣٠٣
١٧	ابو نصر خان	١١١٧هـ/١٧٠٦م-١١١٨هـ/١٧٠٧م	=،٣٠٤،٣٠٨

ولاية مالوا(Malwa):-

يحدّ هذه الولايـة مـن الغـرب الكجـرات وأجميـر، ومـن الشـرق بانـدهو، ومـن الشـمال نـاروار ومن الجنوب باكلانـا(Baklana)، ويبلـغ طولهـا ٣٩٤كم وعرضـها ٣٧٠كم، وتحتوي علـى اثنتـي عشـرة دسكراً وثلاثمائـة وستون قريـة أهم مـدن الولايـة، أوجـان، (Ujjain)، تشـانديري، مانـدو، سـارونج، بهوبـال(Bhopal)[٩٤]، أمـا عوائـد الإقليـم فبلغـت فـي السنـــة، ٤٢٥،٥مليـون دام، [٩٥]وتعاقـب علـى ادارتهـا خمسـة عشـر والياً .(سباهدار).

	الوالــي	السنة	المصدر
١	جعفر خان	١٠٦٨هـ/١٦٥٨م-١٠٧٢هـ/١٦٦٣م	=،٢٨،٤
٢	نجابت خان ووزيرخان محمد طاهر	١٠٧٤هـ/١٦٦٥م-١٠٨١هـ/١٦٧١م	=،٦٧،٣١
٣	اسلام خان رومي	١٠٨٢هـ/١٦٧٢م-١٠٨٦هـ/١٦٧٦م	=،٩١،٧١
٤	الامير محمد اكبر	١٠٨٧هـ/١٦٧٧م-١٠٨٨هـ/١٦٧٨م	=،١٠٠،٩٦
٥	مختارخان ميرشمس الدين	١٠٨٩هـ/١٦٧٩م-١٠٩١هـ/١٦٨١م	=،١٠٦،١٢١
٦	مفتخرخان، خان زمان	١٠٩٢هـ/١٦٨٢م-١٠٩٤هـ/١٦٨٤م	=،١٤٤،١٣١
٧	ُغل خان	١٠٩٥هـ/١٦٨٥م	=،١٥١-١٦٠
٨	الأمير محمد أعظم	١٠٩٦هـ/١٦٨٦م-١٠٩٧هـ/١٦٨٧م	=،١٧٠،١٦١

٩	ميرخان بيهماني	١٠٩٨هـ/١٦٨٨م	=،١٨٢-١٨٨
١٠	بهادر خان كوكا	١١٠٤هـ/١٦٩٤م-١١٠٥هـ/١٦٩٥م	=،٢١٤،٢٢٣
١١	مختارخان قمرالدين	١١٠٦هـ/١٦٩٦م-١١١١هـ/١٧٠١م	=،٢٢٥،٢٥٦
١٢	أبو نصار خان	١١١٢هـ/١٧٠٢م-١١١٣هـ/١٧٠٣م	=،٢٦٢،٢٧٠
١٣	الأمير بيدار بخت	١١١٤هـ/١٧٠٤م-١١١٦هـ١٧٠٦م	=،٢٧٩،٢٩٣
١٤	خان عالم حيدرآبادي	١١١٧هـ/١٧٠٧م-١١١٨هـ/١٧٠٧م	=،٣٠٤،٣٠٨

ولاية بيرار(Berar):-

يحد هذه الولاية من الشرق نهر فاردا (Varda) ومن الغرب ولاية خانديش، ومن الجنوب نهر تابتي(Tapti)، ويبلغ طولها ٣٢٢كم وعرضها ٢٤١كم، وتحتوي على عشرة دساكر ومائتي قرية، اما أهم مدنها: التشبور(Elichpor)، كوال، مالكة يور، نظام آباد، نارواك، شاه يور، ماهور، اما العوائد السنوية فبلغت حوالي ٦٠٧،٢٧ مليون دام[٩٦]، وتعاقب على ادارتها احدى عشرة والياً (سباهدار).

	الوالــي	السنة	المصدر
١	سيد صلابت خان	١٠٦٨هـ/١٦٥٨م-١٠٦٩هـ/١٦٥٩م	عالمكيري،١٩١
٢	شاه بيك خان	١٠٧٠هـ/١٦٦٠م	=، ٤٧٦
٣	أريج خان	١٠٧٦هـ/١٦٦٧م	مآثر عالمكيري،٣٦-٣٩

٤	داود خان قريشي	١٠٧٧هـ/١٦٦٨م	عالمكير نامة ، ١٠٣٢
٥	خان زمان	١٠٨٥هـ/١٦٧٥م	مآثر عالمكيري،٨٦-٩٠
٦	اريج خان	١٠٩٥هـ/١٦٦٥م	=،١٥١-١٦٠
٧	اريج خان	١٠٩٦هـ/١٦٨٦م-١٠٩٧هـ/١٦٨٧م	=،١٧٠،١٦١
٧	الامير كام بخش	١٠٩٨هـ/١٦٨٨م	=،١٨٢-١٨٨
٩	نوازش خان رومي	١١٠٣هـ/١٦٩٣م	اخبارات، ٣٦،مآثر،٢٠٩
١٠	علي مردان خان	١١٠٤هـ/١٦٩٤م-١١٠٦هـ/١٦٩٦م	مآثر، ٢١٤، ٢٢٥
١١	الامير كام بخش	١١٠٨هـ/١٦٩٨م-١١١٠هـ/١٧٠٠م	=، ٢٣٥، ١٤٥
١٢	خدابنده خان	١١١١هـ/١٧٠١م-١١١٢هـ/١٧٠٢م	=، ٢٥٦، ٢٦٢
١٣	فيروز جنك	١١١٣هـ/١٧٠٣م-١١١٨هـ/١٧٠٧م	=، ٢٧٠، ٢٠٣

ولاية بيجابور(Bijapur):-

يحدها من الغرب بحر العرب، ومن الشمال، ومن الشرق بيدار، ومن الجنوب نيجايانكر، اورانك آباد، تحتوي هذه الولاية على ثمانية دساكر وخمس وثمانون قرية، اما عوائد الولاية السنوية فقد بلغت حوالي، (٤٩، ١٠٦ مليون دام) واهم مدنها، بيجابور، كل بار كا(Gulbarga)، نالدرغ(Naldurg)شاه درغ(shahdurg)فيجايانكر(Vijaynafar)[٩٧]، وتعاقب على حكمها وادارتها ايام اورانجزيب سبعة ولاة (سباهدار).

	الوالـي	السنة	المصدر

١	مير محمد حسن	١٠٩٧هـ/١٦٨٧م	=،١٧٠-١٨١
٢	عبدالله رهان بارها	١٠٩٨هـ/١٦٨٨م	=،١٨٢-١٨٨
٣	لاشكار خان	١٠٩٩هـ/١٦٨٩م	=، ١٨٩-١٩٨
٤	لاشكار خان	١١٠٥هـ/١٦٩٥م-١١٠٧هـ/١٦٩٧م	=،٢٣٢،٢٢٣
٥	مأمور خان	١١٠٩هـ/١٦٩٩م-١١١٠هـ/١٧٠٠م	=،٢٤٥،٢٣٩
٦	لطف الله خان	١١١١هـ/١٧٠١م	=،٢٥٦-٢٦١
٧	تشن قولتي خان	١١١٢هـ/١٧٠٢م-١١١٧هـ/١٧٠٦م	=،٢٦٢، ٣٠٤
٨	الامير كام بخش	١١١٨هـ/١٧٠٧م	=،٣٠٨-٣٢٣

ولاية كابل (Kabul):-

وهي الولاية الوحيدة الواقعة خارج الإطار الجغرافي للهند، وهي تشتمل على عموم أراضي افغانستان، وتحتوي على اربعين قرية، بلغت العوائد السنوية لولاية كابول حوالي ١٥٨ مليون دام[٩٨]، وتعاقب على ادارتها أيام الامبراطور اورانجزيب سبعة ولاة .

	الوالـــي	السنة	المصدر
١	محبت خان	١٠٦٨هـ/١٦٥٨م-١٠٧٠هـ/١٦٦٠م	=،١٨،٤

٢	امير خان	١٠٧١هـ/١٦٦٢م-١٠٧٧هـ/١٦٦٨م	=،٢١،٤٠
٣	محبت خان	١٠٧٨هـ١٦٦٩م-١٠٧٩هـ/١٦٧٠م	=،٤٥،٥١
٤	محمد امين خان	١٠٨٠هـ/١٦٧١م-١٠٨١هـ/١٦٧١م	=،٦٠،٦٧
٥	محبت خان	١٠٨٢هـ/١٦٧٢م-١٠٨٣هـ/١٦٧٣م	=،٧١،٧٦
٦	فدائي خان	١٠٨٤هـ/١٦٧٤م-١٠٨٦هـ/١٦٧٦م	=،٨١، ٩١
٧	اُمير خان ميرميران	١٠٨٧هـ/١٦٧٧م-١١٠٧هـ/١٦٩٧م	=،٩٦،٢٣٢
٨	ناصر خان	١١١٠هـ/١٧٠٠م-١١١٢هـ/١٧٠٢م	=،٢٤٥، ٢٦٢
٩	شيرزمان	١١١٣هـ/١٧٠٣م-١١١٨هـ/١٧٠٧م	=،٢٧٠،٣٠٨

ولاية بيهار(Bihar):-

يحد هذه الولاية من الشرق إقليم البنغال، ومن الغرب ولاية أوده وولاية الله آباد، ومن الشمال مرتفعات همالايا، ويبلغ طول الإقليم حوالي ١٩٣كم وعرضه ١٧٧كم، وقد بلغت الدساكر سبعة، وعدد القرى والممرات ٢٤٠، واهم مدنها، بيهار شريف، حجي بور، مونجير، تشامباران، (champaran)، ساران، تيرهوت، روهتاس(Ruhtas)، مظفر يور، شاه آباد، باتنا، بيهار(٩٩)، وقد بلغت عوائدها السنوية حوالي ٧٢٢ مليون دام(١٠٠)، وتعاقب على ادارتها احدى عشر والياً (سباهدار).

	الحاكم الاداري السباهدار	**السنة**	**المصدر مآثر عالمكيري**

١	داود خان قريشي	١٠٦٨هـ/١٦٥٨م–١٠٧٧هـ/١٦٦٨م	=،٤، ٣١
٢	لاشكار خان	١٠٧٥هـ/١٦٦٦م–١٠٧٧هـ/١٦٦٨م	=،٣٢،٤٠
٣	ابراهيم خان	١٠٧٨هـ/١٦٦٩م–١٠٨٣هـ/١٦٧٣م	=،٤٥،٧٦
٤	امير خان مير ميران	١٠٨٤هـ/١٦٧٤م–١٠٨٥هـ/١٦٧٥م	=،٨١،٨٦
٥	تربيت خان	١٠٨٦هـ/١٦٧٦م–١٠٨٧هـ/١٦٧٧	=،٩١،٩٦
٦	الامير محمد اعظم	١٠٨٨هـ/١٦٧٨م–١٠٩٠هـ/١٦٨٠م	=،١٠٠، ١١٢
٧	صافي خان	١٠٩١هـ/١٦٨١م–١٠٩٣هـ/١٦٨٣م	=،١٠١، ١٣٧
٨	صافي خان	١٠٩٤هـ/١٦٨٤م–١١٠هـ/١٦٩٣م	=،١٤٤، ٢٠٩
٩	مختار خان	١١٠٤هـ/١٦٩٤م	=،٢١٤، ٢٢٢
١٠	فدائي خان	١١٠٥هـ/١٦٩٥م–١١١٢هـ/١٧٠٢م	=،٢٢٣،٢٦٢
١١	شمشير خان	١١١٣هـ/١٧٠٣م	=، ٢٧٠،٢٧٨
١٢	الامير عظيم الشأن	١١١٤هـ/١٧٠٤م–١١١٨هـ/١٧٠٧م	=، ٢٧٩، ٣٠٨

ولاية اجمير(Ajmer):

يحدها من الجنوب الكجرات، ومن الشمال دلهي، ومن الغرب دباليور(Dipalpur) ومن الشرق اكبر آباد (اكرا) ويبلغ طولها ٢٤١كم وعرضها ٢٧١كم، وتحتوي على ٩ دساكر و٢٢٥ قرية ومحل، اهم مدنها، اجمير، ناكوار، اودهيور، جوده يور، جايبور، بندي[١٠١]، وتبلغ عوائدها السنوية حوالي ٤٣٧ مليون دام(١٠٢)، وتعاقب على حكم الولاية اثنا عشرة واليا.

	الحاكم الاداري السباهدار	السنة	المصدر مآثر عالمكيري
١	تربيت خان	١٠٦٨هـ/١٦٥٨م-١٠٧٠هـ/١٦٦٠م	=،١٨،٤
٢	مرحمت خان	١٠٧١هـ/١٦٦٢م	=،٢٤،٢١
٣	عابد خان	١٠٧٧هـ/١٦٦٨م-١٠٧٨هـ/١٦٦٩م	=،٤٥،٤٠
٤	عزت خان	١٠٧٩هـ/١٦٧٠م-١٠٨٢هـ/١٦٧٢م	=،٧١،٥١
٥	داراب خان	١٠٨٦هـ/١٦٧٦م-١٠٨٧هـ/١٦٧٧م	=،٩٦،٩١
٦	افتخار خان	١٠٨٨هـ/١٦٧٨م-١٠٨٩هـ/١٦٧٩م	=،١٠٦،١٠٠
٧	عنايت خان	١٠٩٠هـ/١٦٨٠م	=،١١٢، ١٢٠
٨	عنايت خان	١٠٩١هـ/١٦٨١م-١٠٩٣هـ/١٦٨٣م	=،١٢١، ١٣٧
٩	شجاعت خان	١٠٩٨هـ/١٦٨٨م-١١٠٤هـ/١٦٩٤م	=،١٨٢، ٢١٤
١٠	مجاهد خان	١١٠٥هـ/١٦٩٥م	=، ٢٢٣، ٢٢٤
١١	تربيت خان	١١٠٦هـ/١٦٩٦م	=،٢٢٥، ٢٣١
١٢	عبدالله خان	١١٠٧هـ/١٦٩٧م-١١١٣هـ/١٧٠٣م	=،٣٢٢، ٢٧٠
١٣	الأمير محمد اعظم	١١١٤هـ/١٧٠٤م-١١١٥هـ/١٧٠٥م	=،٢٧٩، ٢٨٦
١٤	زبردست خان	١١١٦هـ/١٧٠٦م-١١١٧هـ/١٧٠٧م	=، ٢٩٣، ٣٠٤

ولاية البنجاب(لاهور) (Punjab):

يحد هذه الولاية (السباهدارية) من الشرق ولاية دلهي، ومن الغرب الملتان، ومن الشمال كشمير ومن الجنوب راجستان، ويبلغ طول الولاية ٢٨٩كم وعرضها ١٣٨كم، وتحتوي على خمسة دساكر ، وثلاثمائة وثلاثون قرية ومحلاً، أما أهم مدنها:- لاهور، سيالكوت، جامو، باتالا، قاديان، كاسو، كالنور، هوشياريور، أمر تسار(١٠٣)، وقد بلغت عوائدها السنوية حوالي:-

٢٥،٠١٦،٩٠٧ داماً [١٠٤]، وتعاقــب علـــى ادارة، وتعاقــب علـــى حكــم الولايــة اربع عشــرة واليــا.

	الحاكم الإداري السباهدار	السنة	المصدر مآثر عالمكيري
١	خليل الله خان	١٠٦٨هـ/١٦٥٨م-١٠٧١هـ/١٦٦٢م	=، ٢١،٤
٢	إبراهيم خان	١٠٧٢هـ/١٦٦٣م-١٠٧٧هـ/١٦٦٨م	=،٢٥، ٤٠
٣	محمد أمين خان	١٠٧٨هـ/١٦٦٩م-١٠٨٠هـ/١٦٧١م	=،٦٠،٤٥
٤	فدائي خان	١٠٨١هـ/١٦٧١م-١٠٨٤هـ/١٦٧٤م	=،٨١،٧٠
٥	امانت خان	١٠٨٥هـ/١٦٧٥م-١٠٨٧هـ/١٦٧٧م	=،٩٦،٨٦
٦	قوام الدين خان	١٠٨٨هـ/١٦٧٨م-١٠٩٠هـ/١٦٨٠م	=،١١٢،١٠٠
٧	الامير محمد اعظم	١٠٩١هـ/١٦٨١م-١٠٩٢هـ/١٦٨٢م	=،١٣١،١٢١
٨	مكرم خان مير اعظم	١٠٩٣هـ/١٦٨م-١٠٩٧هـ/١٦٨٧م	=،١٧٠،١٣٧
٩	سبهدار خان	١٠٩٨هـ/١٦٨٨م	=،١٨٢-١٨٨
١٠	محبت خان الحيدرآبادي	١٠٩٩هـ/١٦٨٩م	=،١٨٩-١٩٨
١١	الامير محمد اعظم	١١١٠هـ/١٦٩٠م	=، ١٩٩-٢٠٢
١٢	بهادر خان	١١٠١هـ/١٦٩١م-١١٠٣هـ/١٦٩٣م	=،٢٠٣، ٢٠٩
١٣	مكرم خان	١١٠٤هـ/١٦٩٤م-١١٠٧هـ/١٦٩٧م	=،٢١٤، ٢٣٢
١٤	أبو نصر خان	١١٠٨هـ/١٦٩٨م	=،٢٣٥-٢٣٨
١٥	إبراهيم خان	١١١٠هـ/١٧٠٠م-١١١٣هـ/١٧٠٣م	=،٢٧٠،٢٤٥
١٦	زبردست خان	١١١٥هـ/١٧٠٥م	=،٢٨٦-٢٩٢
١٧	الأمير محمد معظم	١١١٦هـ/١٧٠٦م-١١١٨هـ/١٧٠٧م	=،٢٩٣، ٣٠٨

خاتمة الدراسة

لا شك بان جنوب آسيا ، والتي تعرف قديما بشبه القارة الهندية، والتي تضم الأقطار ، الهند ، باكستان،بنغلادش، وافغانستان ، من المناطق التي حضيت باهتمام الفاتحين المسلمين ، بدءا بالفتح العربي لمناطقها الشمالية سنة ٩٣هـ/ ٧١١م على يد محمد ابن القاسم، وانتهاء بحكم المغول المسلمين، وهي بلاد شاسعة، متعددة التضاريس والمناخات، ومتعددة الأجناس والأعراق ،ومختلفة الديانات والثقافات واللغات، الأمر الذي يتطلب جهدا سياسيا واداريا كبيرا لأحكام السيطرة عليها من خلال نظمها بوحدات ادارية مرتبطة بالسلطة المركزية ، بهدف ضمان امتلاك مواردها المادية والبشرية ،والوقائع التاريخية ذات الصلة بالمنطقة تشير الى انه لم تتوفر تلك الهيمنة والسيطرة الا لدولة المغول المسلمين ، وهو يؤكد بالطبع على مقدرة وكفاءة أباطرة المغول السياسية والادارية .

وعهد الامبراطور محي الدين محمد اورانجزيب من العهود التي ظهرت فيها تلك القدرات السياسية والادارية الكبيرة ، وتمثل ذلك الجهد حينما قسم شبه القارة الهندية إلى ولايات متعددة خضعت جميعها لسلطة ولاة الولايات بشكل مباشر ، ولا يسعنا هنا، الا ان نشير إلى ما خلصت اليه هذه الدراسة التاريخية :

اولا:يؤكد تطبيق نظام الو لايات في عهد امبراطورية المغول على انهم كانوا يسعون بذلك إلى التحكم المطلق بشؤون البلاد وخيراتها الاقتصادية .

ثانيا:-واذا كانت امبراطورية المغول قد حققت نجاحات كبيرة في ميدان السياسة والاقتصاد ، فان ذلك يرجع بدون ادنى شكوك إلى قوة نظامهم الاداري في مختلف الولايات ، بل ان نجاح امبراطورية المغول في هذا المضمار لدليل على تطور نهجهم الاداري في معظم ولايات الدولة .

ثالثا:– تمكن المغول المسلمين ايام اورانجزيب ، من بسط كامل سيطرتهم وهيمنتم على كافة اقاليم شبه القارة الهندية ، الشمالية والجنوبية ، وتبين ذلك من خلال الولايات العديدة والتي بلغت زهاء احدى وعشرون ولاية .

رابعا:–ان ظهور حوالي ٢١٦ واليا في المصدر التاريخي المعاصر " مآثر عالمكيري"في فترة لا تتجاوز الخمسين عاما ، هي فترة حكم الامبراطور اورانجزيب (١٠٦٩هـ/١٦٥٨م–١١١٩هـ/١٧٠٧م) لدليل اكيد على ادراك المغول لأهمية نظام حكم الولايات التابعة للدولة ،
بغرض حماية مكتسبات المغول السياسية من محاولات التمرد والخروج على طاعة الدولة، كما نلاحظ ، وبرغم كثرة اعداد الولاة ، الا ان الولاة كانوا يتمتعون بامتيازات سياسية واقتصادية كبيرة، فكان من هؤلاء الولاة من هم اكثر نفوذا واوسع هيمنة من بعض الدويلات الاسلامية وحتى الاوروبية المعاصرة ، فالى جانب الامتيازات السياسية ، فقد تمتع الولاة بامتيازات عسكرية ومالية كبيرة ، بحيث تم تصنيفهم في رتب عالية ومتقدمة ، وهي مابين ثلاثة الآف إلى سبعة الآف ، ونظرة سريعة إلى جدول الرتب والمناصب سنلاحظ ان الراتب الشهري للوالي يكون مابين ١٧ ألف روبية هندية ولغاية ٤٥الف روبية ، والخيول ما بين ٢٠٠– ٤٩٠ ، والجمال ما بين ٥٠– ١١٠ ، والبغال ما بين ١٤– ٢٧، والفيلة ما بين ٧٠–١٤٠، والعربات المتحركة ما بين ١٠٠– ٢٢٠ ، وذلك وفقا لتسلسل الرتب والمناصب ، وهو نظام قريب الشبه بالنظام المملوكي الذي طبق في مصر وبلاد الشام ،حيث يكون الامير أمير ألف او مائة وهكذا .

خامسا:– لم نلاحظ ، ونحن نراجع المصدر التاريخي " مآثر عالمكيري" ما يشير إلى اية محاولات من احد الولاة للتمرد على الدولة او الانفصال عنها ، وذلك على الرغم من كثرة الولاة وتعدد عروقهم وثقافاتهم،وهذا ما يؤكد على ان سلطة المغول كانت فاذة ودقيقة في تعاملها مع الولاة من جهة ، علاوة على العلاقات الطيبة التي ربطت بين اباطرة المغول وولاتهم في معظم الولايات .

الهوامش - Footnotes

١. Saran,p. The provincial government of the mughals, (1526-1658), (Lahore, 1978), pp.183-184

٢. البيهقي، (ت ٤٧٠هـ/١٠٧٧م) محمد بن الحسن، تاريخ البيهقي، نقلة عن الفارسية إلى العربية – يحيى الخشاب وصادق نشأت، (بيروت، ١٩٨٢) ص ٢١٤-٢١٦.

٣. محمد التنوخي، المعجم الذهبي، فارسي- عربي (بيروت، ١٩٦٩م) ص ٣٣١.

٤. Majumdar and others, An Advanced History of India, (Delhi, 1983), p. 555

٥. Abul fadl, Akbar nama, vol. (iii),p. 282, Qureshi,I.H The administration of the mughal Empire, (karachi, 1966) , p.229

٦. الماوردي، الاحكام السلطانية، ص ٣٠ – Saran, pp.183-184

٧. عبد الحي الحسني، الثقافة الاسلامية في الهند، معارف العوارف في انواع العلوم والمعارف، (دمشق، ١٩٨٣م) ص ٦٣ .

٨. Saqi mustad khan, maasir-1- Alamgiri, A History of the Emperor Aurangzib-Alamgir.(1658-1707 A..D) Translated into English and annotated by Sir Jadu-nath sarkar, Honorary member, Royal Asiatic Society of Great Britain and Ireland, reprinted in pakistan (Lahore, 1981) , p. 83.

٩. Sarkar,d, History of Aurangzib, V vols. Ist published, calcutta, 1912, new edition, Karachi, 1981.

١٠. Elliot and Dowson, History of India as told by its own Historians, (Lahore, 1976) Vol. Vii, pp.181-182

١١. Ahmed Basheer, Judicial system of the mughal Empire, (karachi, 1978), p.29

.١٢ Sarkar, vol. V. pp-277-278

.١٣ Sarkar, vol. I, p.43

.١٤ Sarkar, vol. I,pp.23-62

.١٥ Sarkar, vol. I,pp.63-69

.١٦ Sarkar, vol. I, pp.127-134

.١٧ Massir-I-Alamgiri, p.320

.١٨ Massir-I- Alamgiri, p.106-111

.١٩ Ibid, pp.116-120

.٢٠ Ibid, pp.91-99

.٢١ Ibid, pp.91-99

.٢٢ Ibid, pp.121-136

.٢٣ Ibid, pp.199-200

.٢٤ Ibid, pp.161-170

.٢٥ Ibid, pp.161,293

.٢٦ Ibid, pp.293

.٢٧ Ibid, pp.270,293

.٢٨ Ibid, pp.319

.٢٩ Ibid, pp.4-12

.٣٠ Ibid, pp.28-31

.٣١ Ibid, pp.40-31

.٣٢ Ibid, pp.225-231

.٣٣ Ibid, pp.293-303-308-323

.٣٤ Ibid, pp.322

.٣٥ Ibid, pp.235-245

.٣٦ Ibid, pp.279

٣٧ Ibid, pp.808

.٣٨ Ibid, pp.319

.٣٩ Ibid, pp.235,308

.٤٠ Ibid, pp.279,308

.٤١ Ibid, pp.320

.٤٢ Ibid, pp.100,106

.٤٣ Ibid, pp.270

.٤٤ Ibid, pp.235,245

.٤٥ Ibid, pp.279-308

٤٦. M.Athar Ali, Provincial Governors under Aurangzib, An Article mentioned in the muslims in india amiscellany, vol. I, (Lahore, 1983), p.99.

٤٧. massir –I– Alamgiri, p. 15

٤٨. Ibid, p92

٤٩. Ibid, p.104

٥٠. Ibid, p. 111

٥١. Ibid, pp.28-30-91-95-112-120

٥٢. عبد الحي الحسني الندوي ، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر. جـ٦، ص١٣.

٥٣. Sarkar, Aurangzib History, vol.V,pp.280-281 Bernier, pp.180-181

٥٤. Sarkar, Ashort History of Aurangzib, pp.340-341

٥٥. Sarkar, Ashort, p. 341

٥٦. Massir –I– Alamgiri,p.18-20

٥٧. Ibid, pp.25-27

٥٨. Ibid, pp.45-50

٥٩. Ibid, pp.100-105

٦٠. Ibid, pp.189-198

٦١. Ibid, pp.235-238

٦٢. Ibid, pp.270-278

٦٣. Ibid, pp.304-307

٦٤. Ibid, pp.245-255

٦٥. نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، جـ٦ ص٣.

٦٦. نزهة الخواطر، جـ٦، ص٣ / Sarkar,V, 323-324

Massir –I– Alamgir,p. 144

٦٧. نزهة الخواطر، جـ٦، ص٣.

٦٨. Abdul Hai, India during muslim Rule, tr. Into English from Urdu by M.Ahmed (Lueknow, India, 1977) p,82.

٦٩. Ibid, pp.97-98.

Ibid, p.98

٧٠. Bakhtawar khan, mirat-I- Alam, book ii mentioned in the, Elliot and Dowson, Vol Vii, pp. 164-165.

والدام قطعة نقدية نحاسية ضربت في العهود المغولية الاسلامية في الهند، وهي وحدة نقد تم التعامل بها في جمع العوائد المالية والضرائب من كافة أقاليم الدولة، بينما كل أربعون داماً تعادل روبية هندية واحدة.

٧١. Abdul Hai, pp.54-55

٧٢. Bakhtawar khan, p. 164

٧٣. Abdul Hai, pp. 40-43

٧٤. Bakhtawar Khan,p. 165

٧٥. Abdul Hai, p. 50

٧٦. Bakhatawar Khan,p.164

٧٧. Abdul Hai, P. 58

Abdul Hai, pp-36-39

٧٨. Bakhtawar Khan, (iii), Elliot, vol, p. 164

Abdul Hai, pp. 65-66

٧٩. Bakhtawar khan,TTT, Elliot, vol. VII. P. 164

٨٠. Elliot, VII,164

٨١. Ibid,VII,164

٨٢. Abdul Hai, pp.67-69

٨٣. Abdul Hai, pp.67-69

٨٤. Bakhtawar Khan, Elliot, VII,p.164

Abdul Hai, p53

٨٥. Bakhtawar Khan,E,VII,164

٨٦. Abdul Hai,pp.73-74

٨٧. Bakhtawar Khan,E,VII,164

٨٨. Abdul Hai,pp.317-49

٨٩. Bakhtawar Khan,E,VII,164

٩٠. Abdul Hai,pp,70-71

Bakhtawar Khan,E,VII,164

٩١. Bakhtawar Khan ,164Abdul Hai, P. 65

٩٢. Abdul Hai,pp,72-73

٩٣. Bakhtawar khan,E,VII,164

٩٤. Abdul Hai, pp.47-48

٩٥. Bakhtawar Khan,E,VII,p. 164

٩٦. Abdul Hai, P&p.59-60

٩٧. Bakhtawar Khan, E, VII,164

٩٨. Abdul Hai, pp-60-62

٩٩. Bakhtawar Khan, 164

.١٠٠ Ibid, pp.163-164

المؤرخون والتدوين التاريخي في الهند

تعتبر إمبراطورية المغول المسلمين في الهند من الدول الإسلامية الرائدة في مضمار تطور حركة التدوين التاريخي الرسمي من خلال مؤسسة كتاب الوقائع الرسمية والتي اهتمت بمجريات الدولة وأحداثها تفصيلا دقيقا ،مما جعل الدولة ثرية بسجلاتها الضخمة من الوثائق التاريخية ذات الصلة المباشرة بتاريخ جنوب آسيا (شبه القارة الهندية) السياسي والاقتصادي والعسكري والإداري والاجتماعي .

على أن من الأهداف التي تتطلع إلى بحثها ودراستها هذه الورقة البحثية ، تطور حركة التدوين التاريخي وكتاب الوقائع الرسمين في دولة المغول المسلمين في النهد في القرن السابع عشر الميلادي، إضافة إلى أن البحث يسعى إلى ابر از الجوانب التالية :

١- التعرف على أهمية التدوين التاريخي الرسمية عند المغول في الهند.
٢- التوقف عند مشاهير المؤرخين الرسميين الذين دونوا حركة التاريخ المغولي في القرن السابع عشر.

٣- ابرز جوانب تطور مؤسسة كتاب الوقائع والأخبار السرية.

تمهيد:

دولة المغول المسلمين في الهند من الدول التي حرصت على تدوين تاريخها وما يتصل بحياتها السياسية والاجتماعية والعسكرية والإدارية والاقتصادية ، وقد ترجم هذا الاهتمام منذ البدايات الأولى لتأسيس الإمبراطورية في الهند سنة 933 هـ /1526م ، على يد الملك ظهير الدين محمد بابر، إذ دون بنفسه سيرة حياته والتي سماها "بابر نامه " (Baber nama) [(1)] والتي جاءت في مجلد ضخم ، رصد فيه كل تحركاته من مولده حتى حربه ومعاركه على ارض آسيا الوسطى وأفغانستان والهند، وتأسيسه لملك جديد في شبه القارة الهندية ، وعلى هديه سار الملك همايون الذي حرص هو الأخر على وضع سجل يحمل سيرة حياته، فجاءت بعنوان"همايون نامه" (Humyan Nama) [(2)] ، وكذلك الملك جلال الدين اكبر ، الذي أمر وزيره أبا الفضل الناكوري بوضع سفر ضخم في سيرة حياته وشؤون دولته ، وحمل اسم "اكبر نامه " (Akbar nama) [(3)] وهكذا ، استمر ملوك المغول من عهد ملك إلى عهد ملك آخر حريصون على توثيق تاريخهم وسيرة حياتهم وضبط شؤون دولتهم في مؤلفات كثيرة وكبيرة .

وقد شهد القرن السابع عشر الميلادي من حياة دولة المغول الحافلة بالنشاط والتطور حالة من الازدهار الكبير والواضح في حركة التدوين التاريخي، هذه الحركة أفرزت عشرات المؤلفات التاريخية ، والتي قامت على رصد دقيق لمسيرة دولة المغول المسلمين في عصر الملك جهانكير وشاهجهان واورانجزيب ، إلا أن هذا

الاهتمام قد انبثق عنه منهج تاريخي منحازا بالكامل ، إلا ما ندر ، إلى سلطة المغول الرسمية ، الأمر الذي أسبغ على أغلب المؤرخين الصبغة الرسمية ، فأطلق عليهم المؤرخين الرسميون في بلاد الدولة المغولية، فأباطرة كانوا في مستوى عال من الفهم والثقافة والمعرفة، مما جعلهم أكثر تشدداً ودقة في اختيار الأنسب والأجدر على تسطير سيرة حياتهم وشؤون دولتهم ، والأمر المهم أن أباطرة المغول اندفعوا تجاه تأسيس دوائر خاصة تسعى بجد ونشاط إلى توثيق سيرة أعمال الدولة اليومية بنشاطاتها المختلفة ،ولذلك، أسسوا ما يعرف "بوقائع نويس" و "سوانح نكر" أي كتبة وتحرير الوقائع والأخبار العامة والسرية التي تحدث في يوميات الدولة وفي كافة الأقاليم .

والذي نلاحظه ، أن معظم أولئك المؤرخين الرسميين ، ما رسوا وظيفة "وقائع نويس" و "سوانح نكر" وذلك في مختلف المناطق التي كانت خاضعة لسلطة وهيمنة دولة المغول المسلمين في الهند ، وهي التي منحتهم القدرة والكفاية والخبرة على كتابة التاريخ وتحرير الأحداث بشكل دقيق وموثق من مصادرة الحية ، أضف إلى ذلك ، أنهم كانوا يتقلبون في مناصب الدولة ، سواء في ولايات الأقاليم المنتشرة في أرجاء الهند ، أو في عاصمة الدولة دلهي واكرا ، وحتى داخل البلاط الملكي نفسه ، وكانوا ، إذا ما ثبتت كفايتهم ومقدرتهم العالية في توثيق الأخبار وضبط التقارير المفصلة ، يؤهلون للدخول في خدمة البلاط الملكي ، ويعينون في وظائف عالية ومتقدمة . كالولاية على الأقاليم ، والمشرف على المكتبة الملكية ، والمشرف على النفقات ، والمشرف على الغسل خانة ، ومشرف على ديوان الخراج ، وفي الأغلب ، وبعدما يمروا بسلسلة من الوظائف ، يتجه قرار الملك إلى تعيينهم مؤرخين رسميين للبلاط الملكي .

طور الغول نظاماً متقناً ومحكماً للوصول إلى معرفة أحوال الدولة وأخبار الرعية وتحركات المناوئين والأعداء ، وقد كانت معظم الوقائع والأخبار تصل إلى بلاط الإمبراطورية عبر القنوات التالية:

١. وقائع نويس ، (Waqai Nawis) كتاب الوقائع .

٢- سوانح نكر ، (Swanih – Nigar) محرروا الأخبار السرية .

٣- هاركاه ، (Harkaras) أصحاب البريد .

٤- خفية نويس ، (Khufia Nawis) الجواسيس والعيون السرية للدولة [4] .

عين كتاب الوقائع ومحرروا الأخبار السرية وأصحاب البريد والعيون (الجواسيس) في الولايات التابعة للحكم المركزي لدولة المغول في دلهي اواكرا ، ويكونوا بالعادة خارج سلطة الحاكم الإداري ، بل كثيراً ما يضعون الإمبراطورية في صورة حركات الولاة ونشاطاتهم السياسية والإدارية والعسكرية والمالية ، ويتوزعون في الولاية على الدساكر والقرى ، لتدوين معظم الأحداث ، صغيرة كانت أم كبيرة ، وجرت العادة عند هؤلاء أن يزودوا العاصمة بالأخبار والتقارير كل يوم مرتين ، ففي المساء يرسلون وقائع وأحداث اليوم ، وفي الصباح يرسلون أحداث الليل ، وذلك بواسطة الـ " هاركاره " أصحاب البريد [5] .

يبدو أن اهتمام المغول بمثل هذه المؤسسات تزامن مع تأسيس دولتهم في شبة القارة الهندية (الهند ، باكستان ، بنغلادش ، وكشمير) في مطلع القرن السادس عشر الميلادي ، لكنها أخذت شكلاً أكثر دقة وانضباطاً وتطوراً في عهد الملك جلال الدين اكبر ، وبناء على أوامره ، اصدر مرسوماً في العام الرابع والعشرين من جلوسه

على العرش والذي يصادف سنة 988 هـ / 1590م ، بتعيين أصحاب دواوين رسميين في كل الولايات التابعة للدولة ، كان منهم ، دائرة " وقائع نويس " كتبة الوقائع الرسميون (6) ، ثم أعاد الملك جلال الدين اكبر تنظيم قسم الاستخبارات وتدوين الوقائع للعمل بنشاط وفاعلية كبيرتين ، فطور مؤسسة " وقائع نويس "ووفقاً لرواية المؤرخ أبو الفضل الناكوري في كتابه " آين اكبري " فقد عين الملك أكبر أربعة عشر موظفاً في قسم " وقائع نويس " اثنان منهم يعملون يومياً على التعاقب ، يقومون بتدوين كل ما يصدر عن الإمبراطور من تحركات . وكل ما يتلقاه الملك من أخبار من رؤساء الأقسام المختلفة في الإمبراطورية ، بحيث يقومون بتثبيت ذلك في سجلات خاصة أعدت لهذا الغرض ، كما يقومون بتدوين نشاطات الإمبراطور الاعتيادية ، كالتعيينات في المناصب العليا في الدولة ، التفتيش الرسمي على الجيش ، منح الأراضي الزراعية والاقطاعات ، وعقد الاجتماعات الخاصة والعامة ، خفض أو زيادة الرسوم والضرائب ، توثيق العقود التجارية والبيع ، ونقل الأموال وكذلك وصول ومغادرة رجالات الحاشية الملكية (Courtiers) ، تفصيلات إحداثيات المعارك، الانتصارات والمهادنات ومعاهدات السلام ، ومحاصيل الزراعية السنوية (7) .

كما نلاحظ ، أن الملك نور الدين محمد جهانكير ، سعى إلى تطوير مؤسسة تحرير الوقائع الأخبار ، فقام بتعيين " وقائع نويس " في كل ولاية من ولايات الدولة المغولية (8) ، وكذلك ، فعل الملك شهاب الدين محمد شاهجهان الذي طور هو الأخر تلك المؤسسة ، واستحدث قسماً جديداً يسمى " سوانح نويس " أي كتبة الوقائع السرية ، وهم عبارة عن كُتاب سريين يقومون بنقل الأخبار وتفصيل الأحداث داخل الولايات التابعة للدولة ، أما الملك محي الدين محمد اورانجزيب ، فقد كانت في عهده مؤسسة " وقائع نويس " و " سوانج نكر نويس " متطورة أكثر من عهود

أسلافه ، إذ كانت تقوم بمهام كثيرة وعظيمة ، غطت سائر أنحاء ولايات الهند البالغة إحدى وعشرون ولاية في عصره [9] . حيث انتشر كتاب الوقائع في مختلف مناطق ووظائفها ، فانتشروا في الأقاليم والدساكر والقرى والمحال والموانئ والجيش والقلاع وبلاط الأمراء وقصور النبلاء وقصر الحريم وفي بقية الدواوين المختلفة [10] ، أما تعيين كتاب الوقائع " وقائع نويس " فكان يتم عادة بأمر من الإمبراطور مباشرة ، وذلك من خلال استصدار سند ملكي والذي يحمل توقيع الوزير ، بعدها يمنح الكاتب منصباً رسمياً في الدولة ويدخل ضمن ما يعرف عند دولة المغول بـ " منصبدار " [11]وقد اهتمت دولة المغول اهتماماً بالغاً في التقارير التي كانت ترسل من قبل كتاب الوقائع من مختلف الولايات والأقاليم ، حتى أن الملك شاهجهان كان يذهب إلى الاجتماع بهم في الديوان الخاص ، أما اورانجزيب فكان في كثير من الأحيان يستمع إلى التقارير والأخبار وهو داخل " الغسل خانه " الحمام الملكي الخاص ، وكثيرا ما كانت تقرأ التقارير على الملك كل ليلة بواسطة إحدى النساء [12] .

وعندما نستعرض أسماء المؤرخين الرسميين والذين في معظمهم مارسوا مهنة أو وظيفة " وقائع نويس " في دولة المغول ، نلاحظ ، أنهم كانوا يتمتعون بقدرات علمية عالية ، بالإضافة إلى مهاراتهم وكفاءاتهم السياسية والإدارية التي اكتسبوها من خلال تقلدهم لمناصب عليا في الدولة ،فنجد منهم الشعراء والأدباء وكتبة الإنشاء والفقهاء في بعض الأحيان ، ولذلك ،نجد من أسماء مؤرخي البلاط الرسميين ما يشير إلى تلك المكانة العلمية المرموقة كالألقاب التي حملوها ، مثل نواب ، ميرزا ، خواجة ، مير ، الشيخ والحكيم ، وكلها تشير بشكل واضح إلى أن هؤلاء إنما كانوا بمستوى علمي رفيع ، وهو ما دفع بملوك المغول إلى رعايتهم والاهتمام بهم وتقليدهم وظائف متقدمة في الدولة .

على أن التطور الذي شهدته مؤسسة كتاب الوقائع والتي تمخض عنها ظهور مؤرخين رسميين للدولة وذلك في عصر الملك شاهجهان والملك اورانجزيب (1627م – 1707م) ، كان وراء تجمع هائل وكبير جداً لعدد الوثائق والتقارير ، سواء أكانت تهتم بأمور الهامة أو التي تقل عنها أهمية وذلك بشكل اعتيادي لتصبح من أوراق البلاط الرسمية والتي أحتفظ بها في أرشيف البلاط المغولي [13] .

تتجه هذه الدراسة إلى الكشف عن المؤرخين الرسميين الذين ظهروا في القرن السابع عشر الميلادي في عصر دولة المغول المسلمين في الهند وهي الفترة التي تبدأ من (1014هـ – 1605م وحتى 1118هـ – 1707م) والتي تشمل عهد ثلاثة من أباطرة المغول ، نور الدين محمد جهانكير ، وشهاب الدين محمد شاهجهان ، ومحي الدين محمد اورانجزيب .

معتمد خان :

الأمير محمد شريف بن دوست محمد الإيراني ، الشهير بمعتمد خان ، من الرجال المعروفين بالتاريخ والسير والأنساب ، قدم الهند وتقرب إلى الملك المغولي جهانكير بن اكبر صار من ندمائه ، ولثقته الكبيرة به اعتاد ملك المغول على ادخاله منزله الخاص[14] ،وظل يترقى في المناصب حتى عينه جهانكير ، مشرفاً على نفقات الدولة (Bakhshi paymaster) وقد عاصر هذا المؤرخ الأحداث السيئة التي عصفت داخل الدولة المغولية ، والتي قادها الملك جهانكير ضد ولده شاهجهان ، وهي الثورة التي تزعمها الأخير ضد والده من اجل الوصول على السلطة . وذلك على خلفية الصراعات الحادة التي نشبت حول خلافته على العرش ، حيث تزعمت زوجة الملك " نورجهان " المعارضة في تقليد الأمير سليم (شاهجهان) ولاية العرش

، ويروي المؤرخ معتمد خان انه كان شاهد عيان حينما تم القبض على الملك جهانكير في المعسكر الملكي ، الذي فاوض من اجل إطلاق سراحه ، إلا أن لم يوفق في هذا المسعى . ولذلك جاء مؤلفه " إقبال نامه " (Iqbal Nama) حافلا بالأحداث الحية التي شاهدها ، بينما قد أكمل تأليفه للكتاب بعد وفاة جهانكير [15] ، وربما يكون ذلك بعد عام 1037 هـ / 1632 م [16] .

تم نشر وترجمة الكتاب باللغة الانجليزية من الأصل الفارسي على يد عبد الحي واحمد علي تحت اشراف الميجور و . ن . ليز (W . N . Lees) وذلك في المجمع البنغالي الأسيوي في كلكتا ، والذي صدر ضمن سلسلة قائمة الكتب الهندية (Bibliotheca Indica) سنة 1865 م [17] ، أما الجزء المتعلق بالملكة نورجهان والإحداث التي قادتها من اجل إقصاء شاهجهان عن العرش والتي ظهرت في الأربع سنوات الأخيرة من عصر جهانكير ، فقد تم ترجمته إلى الانجليزية على يد المستشرق الانجليزي اليوت (Elliot) [18] ، وقد توفي المؤرخ معتمد خان الإيراني سنة ١٠٤٩هـ/١٦٣٩م[19].

نعمة اللّه خان :

مهة الله خان بن خواجه حبيب الله الهروي ، ممن تمر ّس في الإدارة والسياسة في بلاط المغول [20] ، فقد عمل هذا المؤرخ ولمدة ثلاثين سنة في قسم الخالصة في بلاط الملك جلال الدين اكبر ، ثم احتل منصب " وقائع نويس " مدة إحدى عشرة سنة في بلاط الملك جهانكير ، وقد اشتغل قبل ذلك سنة 1004 هـ / 1595 م ، مشرفاً على المكتبة الشاهانية (الملكية) والتي كانت تدار من قبل الامير خان خانان الجهانكيري [21] .

بدأ نعمة الله خان بتأليف تاريخه المعروف بـ " المخازن الأفغانية " في(13 شباط 1612 م) وذلك في محلة مالك بور من ولاية بيرار (Berar) ، وهو من المؤلفات التاريخية التي اعتنت بتاريخ الأفغان الذين حكموا الهند وسيطروا عليها لفترات طويلة ، وساهموا في نشر الثقافة الإسلامية مساهمة كبيرة ، وقد جاءت فصول الكتاب الأربعة الأولى معنية بتاريخ تلك الأسر الأفغانية ، كالأسرة اللودية (885 هـ - 1451 م /390 هـ - 1526 م) والأسرة السورية (آل سور ، Sur) (946 هـ - 1539 م / 962 هـ - 1554 م)، أما الفصل الخامس والفصل السادس فخصصها للحديث عن الأمير خان جهان احد ابرز أمراء الدولة المغولية الكبار [22] ، ترجم الكتاب إلى اللغة الانجليزية بعنوان " تاريخ الافغان History of Afghans " على يد المستشرق الانجليزي بيرن هارد (Bern Hard) ، وجاء في جزأين ، ونشر في لندن بواسطة مركز الترجمات الشرقية ، (Oriental Translation Funds) سنة ١٨٢٩ م وسنة 1836م ، وترجم أيضاً في مجموعات اليوت (Elliot) [23] ، وقد فرغ نعمة الله من تصنيف الكتاب سنة 1020 هـ / 1611 م [24] .

مفضل خان :

سيد مفضل خان من المؤرخين الرسميين الذين ظهروا في بلاط الدولة المغولية في عصر الملك اورانجزيب ، فإلى جانب اهتماماته بتدوين الوقائع وتسجيلها ، فقد حرص على تأليف كتاب في التاريخ ، اسماه " تاريخ مفصلي " ، ابتدأ به منذ الخليقة حتى سنة (1077 هـ / 1666 م) إلا أنه غطى العشر سنوات الأولى من عهد الملك اورانجزيب في الهند [25] ، وقد انقسم عمله إلى سبع مقالات ، خصصت المقالات السادسة والسابعة للحديث عن تاريخ الإسلام في الهند ، بما في

ذلك المغول المسلمين [26]، ويُعد هذا العمل من المؤلفات القيمة بمادته التاريخية إذ زاد على الالف صفحة [27] .

ميرزا كامقار خان :

عاصر المؤرخ كامقار خان الملك جهانكير ، وتقرب منه ، حتى اختاره من كتبة الوقائع " وقائع نويس " في البلاط الملكي ، سنة 1040 هـ / 1630 م بتأليف كتابه المشهور بـ " مآثر جهانكيري " ، الذي جاء على سيرة الملك جهانكير وحياته السياسية ، وقد أتم عمله ما كتبه المؤرخ معتمد خان ، وقد حمل كالسابق ، عنوان " إقبال نامه " وذلك حوالي سنة (1042 هـ / 1632 م) [28] .

عبد الحميد اللاهوري :

ولد المؤرخ عبد الحميد اللاهوري ونشأ في الهند ، وفي مدينة لاهور ، وفيها تعلم أنواع العلوم على يد علمائها ، ثم أصبح تلميذاً لوزير الدولة المغولية أبو الفضل بن المبارك الناكوري ، وزير الملك جلال الدين اكبر ، ومؤلف الموسوعات التاريخية الشهيرة، وهي : – " اكبر نامه " و " آين اكبري " أي قوانين الملك اكبر [29] ، واللاهوري من المؤرخين الرسميين لبلاط المغول في عهد الملك شاهجهان ، واختاره الملك ليؤرخ لعصره ، وعندما عين مؤرخاً رسمياً للبلاط كان في عمره ، وان العمل الذي قام بتدوينه لا يزيد على عشرين سنه من عهد شاهجهان ، وقد أكمل اللاهوري عمله في هذا الكتاب المشهور بـ " بادشاه نامه ، Badshah Nama " في 1058هـ / 1648 م [30] ، ويؤكد المستشرق الانجليزي اليوت (Elliot) أن اللاهوري أحد تلاميذه مدرسة الناكوري ، قد درس منهجه التاريخي دراسة مستفيضة حتى خرج الكتاب بنفس العرض والأسلوب ، مليئاً بالأحداث والوقائع والمعلومات ، والتي غطت مختلف جوانب الحياة للسنوات العشرين الأولى من عهد الملك

شاهجهان ، وكان السبب اختيار الملك اللاهوري ليكون مؤرخاً رسمياً للدولة ، للشهرة والمقدرة العلمية العالية التي تمتع بها في ضبط الأحداث وعرضها عرضاً وافياً ، إذ احضره من مدينة باتنا (Patna) حيث يعيش فترة تقاعد من الخدمة ، وقد رعاه وزير الدولة سعد الله خان (31) .

عالج اللاهوري في كتابه " بادشاه نامه " الذي اشتهر بشاهجهان نامه ، السنوات العشرين من حكم شاهجهان (1037 هـ / 1627 م – 1056 هـ / 1646 م) إلا أنه دوّن السنوات العشرة كما جاءت عند المؤرخ القزويني ، مع بعض الاختلافات الطفيفة ، ونلاحظ أن اللاهوري قد سجل الوقائع التاريخية بشكل مفصل ، رغم مأخذ المؤرخين على أسلوبه ومنهجه في الكتابة ، وذلك لكبر سنه ، إلا أنه ، يبقى في وجهة نظر المؤرخين المهتمين بدراسة تاريخ المغول المسلمين في الهند ، من أفضل المؤلفات التي اثرت بمعلوماتها فترة حكم شاهجهان ، وقد امتدحه معاصروه من المؤرخين أمثال محمد صالح مؤلف كتاب " العمل الصالح " والمؤرخ خافي خان ، مؤلف كتاب مُنتخب اللُبّاب " ، ولم يقف الأمر عند هؤلاء حد الإطراء والمديح فحسب ، بل نجد المؤرخ خافي خان يتأثر بمنهجه وأسلوبه التاريخي في عرضه للأحداث ، فالعشرين سنة الأولى من عهد شاهجهان والتي دونها خافي خان ، هي بنفس الأسلوب والعرض الذي جاء به عبد الحميد اللاهوري .

تعتبر كتابات اللاهوري موسوعة في مجال الكتابة التاريخية ، وذلك لكثرة وغزارة المادة وتفصيلاتها الدقيقة للوقائع والأحداث ، وقد جاء الكتاب في مجلدين كبيرين ، وتم نشره في قائمة المكتبة الهندية الشهيرة " Bibliotheca Indica " وقد أحتوى على

" 1662 " صفحة ، إذ لم يترك المؤرخ شاردة ولا واردة من سيرة حياة شاهجهان إلا وأثبتها في تاريخه ، كالتعيينات والترقيات والعزل ونقل المناصب للأمراء والنبلاء

وغيرهم ، ويسجل للاهوري قدرته الكبيرة في إعطائنا وصفاً لعمارات ومنشآت دلهي الشهيرة " بشاهجهان آباد "وصفاً أستوعب كل فنون وابتكارات المسلمين المعمارية في تصميم لمدينة دلهي ، التي غدت من كبريات المدن الإسلامية في القرن السابع عشر الميلادي [32] . ترجمت ملحقات عن هذا الكتاب في مجموعة المستشرق " Elliot " عن تاريخ الإسلام في الهند ، في المجلد رقم 7 من صفحة 5 وحتى صفحة 72 ، وتوفي اللاهوري سنة 1065 هـ / 1654 م [33] .

محمد أمين القزويني :

وهو الشيخ محمد أمين بن أبي الحسن القزويني ، كان أبوه حسن بن أبي الحسن القزويني ، شاعراً مجيداً ، سافر إلى بلخ ، ثم إلى الهند سنة 1054 هـ / ١٦٤٤ م ، وتقرب إلى الملك شاهجهان ، حتى نال عنده الصلات الكثيرة ، ثم ولاه أورانجزيب على ديوان الخراج في ولاية كشمير [34] .

تقلد القزويني في مناصب رسمية عديدة في دولة المغول ، فقد عينه الملك شاهجهان كاتباً للوقائع " وقائع نويس ثم تحول إلى قسم كُتّاب التقارير الإخبارية السبرية " سوانح نكر " [35] ، ثم عينه أول مؤرخ رسمي للبلاط المغولي في عهده ، وذلك بعدما أثبت كفاءة كبيرة في تحرير وتدوين وتوثيق الوقائع والأحداث ، لاسيما تلك التقارير التي تتعلق بالأمير أورانجزيب كحاكم لإقليم الدكن ، وممارسته لمصارعة الفيلة التي كان يتقنها أيما إتقان ، فقدر شاهجهان التفصيلات ودقة نقل الخبر عند القزويني ، ثم دوّن تقارير عن حملة بانديلا (Bandela) والتي أستحسنها الملك كثيراً ، ومكث القزويني مسؤولاً عن كُتّاب الوقائع الرسمية حتى فرغ من تسجيل كافة المعلومات التي تقع في العشر سنوات الأولى من عهد شاهجهان [36] .

ألف القزويني كتابه الشهير بـ " بادشاه نامه Badshah Nama " في سيرة ملك المغول شاهجهان ، وهو شبيه بالعديد من كتب الحوليات التي دونت في عصر هذا الملك ، ونلاحظ ، أن القزويني قسّم عمله إلى مقدمة ، وتحتوي على سيرة حياة الملك شاهجهان من يوم ولادته وحتى اعتلائه العرش ، وهناك مجموعة من المقالات التي تتحدث عن العشر سنوات الأولى لعهد الملك شاهجهان ، وثمة ملحق يشتمل على قائمة بأسماء العلماء والفقهاء والأطباء والشعراء وغيرهم ، كما أن القزويني أشار في كتابه إلى أنه قد عزم العزم على إتمام مؤلفه ليكون جزءاً ثانياً يشتمل على العشر سنوات الثانية ، إلا أنه لم يوف بما قطعة على نفسه من عهد ، وسبب ذلك كما يخبرنا ، انشغاله بمنصبه الجديد ، حيث عين مسؤولاً عن قسم المخابرات في الدولة [37] .

أما منهج القزويني في كتابته للوقائع والأخبار فيغلب عليه الاختصار والبساطة ، لكنه ذات فائدة كبيرة ، تكشف وبدقة عن تاريخ أحد ملوك المغول الكبار إلا وهو شاهجهان، والحقيقة أن العديد من المؤرخين تأثروا بمنهجه ، وراحوا يؤلفون ويكتبون بنفس الأسلوب ، فعبد الحميد اللاهوري ، أكثر تأثراً بكتاباته التاريخية ، أما كتاب " بادشاه نامه " فيوجد منه نسخة مخطوطة في مكتبة الجمعية الآسيوية الملكية(Library of the Royal Asiatic Society) وثلاث نسخ في المتحف البريطاني (British museum) .

محمد طاهر (عناية خان) :

ولد عناية خان في العام اعتلى فيه شاهجهان عرش المملكة في الهند ، وذلك سنة (1037 هـ / 1627 م) ، وهو أبن ظفرخان بن خواجة أبو الحسين ، ووالده ، كان وزيراً في بلاط الملك جهانكير ، وقد ولد ونشأ في بلاد فارس ، ورحل إلى الهند سنة (984 هـ / 1576 م) أيام الملك اكبر ، وقد تزوج الملك جهانكير من أخته نورجهان ، ولقبه جهانكير بـ " آصف خان " ، ثم تزوج الملك شاهجهان من ابنته " ارجمند بانوبيكم " الشهيرة بـ " ممتاز محل " وذلك سنة (1020 هـ / 1611 م) ، وكان اصف خان عالماً في المنطق والحكمة والتاريخ والإنشاء والشعر ، عين حاكماً على كابل وعلى كشمير وفتح بعض مناطق التبت ثم عين والياً على السند ، وتوفي سنة (1051هـ / 1641 م) بمدينة لاهور ودفن فيها [38] ، ولد المؤرخ محمد طاهر في نعمة والده ، وتأديب على أساتذة عصره ، واخذ الشعر عن محمد علي الصائب التبريزي ، ثم ولي النظارة في الحضرة السلطانية ، وحصل على منصب ألف وخمسمائة ، ثم في آخر أيام الملك شاهجهان ولي نظارة الكتب الشاهانية (المكتبة الملكية) ،و " دارونما داغ " وهو منصب رئيس دائرة الخيول الملكية ، حيث بها مدة ، ثم اعتزل الناس ، ولزم البيت في كشمير ، فرتب له عالمكير أربعة وعشرين ألف روبية هندية في كل سنة [39] .

ألف كتابه " شاهجهان نامة ، Shahjahan Nama " في يوميات وسيرة الملك شاهجهان ، في حين كانت مصادر الجزء الأول من الكتاب منبثقة من خبرة ومعرفة المؤلف ، إلا أننا نلاحظ أن ثمة تشابه كبير بتدوين المؤرخ عناية خان للسنوات العشرين الأولى لعهد شاهجهان ، و ما كتبه عبد الحميد اللاهوري والمؤرخ القزويني ، حتى أعتبره بعضهم عبارة عن ملخصات لما كتبه هؤلاء المؤرخين [40] ، جاءت الأحداث التاريخية التي دونها عناية خان حتى سنة (1068هـ / 1658م) وهو العام الذي أعتلى فيه اورانجزيب عرش الإمبراطورية المغولية في الهند ، ورغم

معاصرته للأحداث التي وقعت بين شاهجهان وولده اورانجزيب ، إلا أنه لم يدّون أية معلومات عنها . ونستطيع أن نتعرف على منهج هذا المؤرخ من خلال حديثه عن كتابه " شاهجهان نامة " :

" إن كاتب ومحرر هذه السطور التاريخية الغنية ، محمد طاهر ، ... ، الذي أعيد إلى رجالات مدوني الإخبار و الوقائع السرية والعامة ، إنه في شهر ربيع الأول من السنة الحادية والثلاثين من عصر الملك شاهجهان الموافق السنة (1068هـ / 1657م) عُينت مشرفاً على المكتبة الشاهانية (الملكية) ، وهناك عثر على ثلاثة نسخ من كتاب " بادشاه نامه " والتي كتبت بيد المؤرخ الشيخ عبد الحميد اللاهوري وآخرين ، وقد احتوى كل (فصل) من هذه المؤلفات على تاريخ عشر سنوات من عهد شاهجهان ، ورأى المؤلف أن في هذه المؤلفات أساليب متباينة مختلفة ، وفيها شيئاُ من التعقيد والأطناب الذي لا يلزم [41]. على أن النسخ المتوفرة في المتحف البريطاني هي ثلاث نسخ ، وهناك نسخة من مقتنيات مكتبة المجمع الآسيوي ، في حين وردت بعض نصوص الكتاب مترجمة من الأصل الفارسي إلى اللغة الانجليزية عند المستشرق الانجليزي (Elliot) [42] .

محمد وارث الأكبر آبادي :

وهو الشيخ محمد وارث الأكبر آبادي ، من الرجالات المعروفين في الهند في علومهم ومعارفهم لاسيما في الإنشاء والتاريخ والسير ، كان جيد القريحة ، سلم الفكر ، حسن الخلق والمحاظرة ، وحول سيرة الملك شاهجهان ، ألف كتابع الشهير بـ " بادشاه نامه أو شاهجهان نامه " ، وهو تكملة لكتاب عبد الحميد اللاهوري ، يبدأ من سنة عشرين الجلوسية للملك شاهجهان (1057 هـ / 1648 م – 1069 هـ / 1659م) [43] .

جاء كتابه بلغة سهلة وبأسلوب بسيط ومختصر ، ونجده يخصص ملحقاً بالكتاب اشتمل على أسماء العلماء والفقهاء والأطباء الشعراء الأدباء والشيوخ في زمانه ، ويعلمنا المؤرخ ساقي مستعد خان ، أنه قُتل على يد أحد تلامذته ، الذي كان مجنوناً ، وذلك يوم الأربعاء العاشر من ربيع الأول سنة 1091 هـ (31 آذار 1860 م) [44] . ويوجد من هذا الكتاب نسخة في المتحف البريطاني ونسخة ثانية في مكتبة المجمع الملكي الآسيوي [45] .

محمد صالح كامبو :

الشيخ محمد صالح كامبو ، أحد الكتاب والنُسّاخ البارعين في بلاط المغول المسلمين في الهند ، يسمى بمير محمد صالح وأحياناً مير محمد مؤمن ، اشتهر بالشعر الفارسي والهندي ، ولقب عند شعراء الفارسية بـ " الكشفي " ، وعند شعراء الهندية بـ " سبحان " ، تقلد مناصب عليا في الدولة ، وحصل على منصب قائد خمسمائة [46]، وقد عُين محمد صالح في قسم الوقائع الملكية أيام الملك شاهجهان ، (Imperil Records Departrment) ، الأمر الذي جعله يطلع على تقارير الدولة ووثائقها الرسمية الخاصة وذلك بشكل اعتيادي ، فكانت تلك التقارير ومحررات الوقائع مصدره الأساسي في كتابة تاريخه الذي اشتهر باسم " العمل الصالح " حيث فرغ من كتابته سنة (1070 هـ / 1659 م) [47] ، وهو على غرار الكتب التي الفت في سيرة الملك شاهجهان ، حتى أن المؤرخين أطلقوا عليه اسم " شاهجهان نامه " ، وهو يشتمل على حياة شاهجهان من مولده حتى وفاته سنة (1076 هـ / 1665 م) .

وكتاب " العمل الصالح " من الأعمال التاريخية ذائعة السمعة والصيت في الشرق، وهو لم يكن منفصلاً كما هو حال بقية المؤلفات المعاصرة ، ولم يهتم في تدوين نفس الأحداث ، بل نجده يسلط الأضواء على أحداث تركها الآخرون ولم يتحدثوا عنها في مؤلفاتهم ، فجاء بجديد حول ، خلع الملك شاهجهان عن العرش المغولي ، وصراع الأبناء على خلافته ، أما منهجه ، فيغلب عليه الأسلوب البلاغي والبياني (Rhetorical) ، يقع في نهاية الكتاب ملحقاً يشتمل على أسماء العلماء والفقهاء والمحدثين والشعراء والأطباء والفنانين والشيوخ الذين عاصروا عهد الملك شاهجهان ، وثمة ترجمات (Biographies) لسيرة وحياة الأمراء والنبلاء والقادة وأصحاب المناصب العليا في الدولة وفقا لتسلسلهم الوظيفي [48] .

ترجم المستشرق اليوت (Elliot) بعض نصوص الكتاب في تاريخه ، تاريخ الإسلام في الهند ، كما نشر الكتاب في المجمع البنغالي الآسيوي ضمن سلسلة الكتب الهندية ، (Asiatic Society in the Bibliotheca Indica Series Bengel) [49].

محمد صادق خان التبريزي :-

المؤرخ محمد صادق خان تقرب إلى الملك جهانكير [50] ثم إلى ولده شاهجهان الذي عينه كاتباً للوقائع الرسمية " وقائع نويس " ، وذلك في حملة الأمير شاهجهان ضد الراجا الهندوسي ، وقد حصل المؤرخ على لقب "صادق خان " وذلك بأمر الملك شاهجهان [51] . إما كتابه " شاهجهان نامه ، Shahjahan Nama " فهو من الأعمال التاريخية الهامة ، وذلك على الرغم من تكرار اسم الكتاب وحتى مادته في كثير من الأحيان ، إلا انه حمل تنوعاً للمصادر الوثائقية والرسمية ، فجاءت مادته غزيرة ، وهي من المصادر التي يعول عليها في دراسة عصر

شاهجهان ، حتى اعتبره المؤرخ الهندي سكسينا (Saksena) من المصادر التي لا يرقى إليها الشك أو الاتهام (Unimpeachable) [52] .

يتحدث الكتاب عن عصر شاهجهان منذ اعتلائه للعرش المغولي في الهند سنة (1037هـ / 1628م)وحتى تعيينه للأمير دارا شيكوه ولياً للعهد ، ويوجد من الكتاب مخطوطة في المتحف البريطاني ، كما ويوجد لهذا المؤرخ كتاب تراجم بعنوان (طبقات شاهجهان ، Tabqat – I – ShahJahani) والذي يتحدث فيه المؤرخ محمد صادق عن سيرة الشخصيات المشهورة من أمراء وقادة ونبلاء وعلماء وولاة وغيرهم [53] .

محمد شريف حنفي :

الشيخ محمد شريف بن محمد فريد الصديقي الحنفي الكجراتي ، أحد كبار العلماء في الهند، درّس في بلاد الكجرات معظم العلوم [54] ، وولد في الدكن وعاش بها خمس سنوات ، وقد زار والده معظم مناطق الدكن ، الذي يحتوي على خمس ولايات ، احمد نكر، بيجابور ، كولكنده ، خانديش ، وبيرار ، ثم رحل إلى إقليم الكجرات ومالوا ، واجمير ودلهي واكرا ، ولاهور والسند والملتان ، وفي سنة (1031هـ / 1621م) زار مقاطعة كشمير ، وذلك برفقة الملك شاهجهان [55] .

ألف المؤرخ محمد شريف حنفي كتابه الشهير بـ " مجالس السلاطين " ، ويعد من المؤلفات الهامة التي تناولت عهد الملك شاهجهان ، لاسيما ولايته لعرش الإمبراطورية المغولية ، وتحديداً سنة (1038هـ / 1628م) ، وقد غلب الأسلوب الإنشائي على منهجه في تدوين الوقائع والأحداث التاريخية ، إذ لم نعثر على أبواب وفصول واضحة ، إلا أن قراءة الكتاب تحدد تلك العناوين والفصول ، فقد احتوى الكتاب على مقدمة ، ثم تحدث عن الدولة الغزنوية ، والدولة الغورية ، وسلطنة دلهي

، ثم انتقل للحديث عن دولة المغول المسلمين وأباطرتها العظام ، كالملك بابر ، همايون ، شيرشاه ، الأفغاني ، اكبر ، جهانكير، كما تناول الحديث عن ممالك الدكن وكشمير وغيرهما ، والذي تميز به هذا الكتاب انه جاء بقوائم إحصائية فريدة ، تكشف عن عوائد الدولة المغولية السنوية من الولايات في عهد الملك اكبر وجهانكير ، والتي جاءت على النحو التالي :-

1- ولاية دلهي	656.100.000 دام
2- ولاية اكرا	822.500.000 دام
3- ولاية البنجاب	825.000.000 دام
4- ولاية كابل وكشمير	250.000.000 دام
5- ولاية الدكن	283.500.000 دام
6- ولاية خانديش وبيرار	873.200.000 دام
7- ولاية مالوا	280.000.000 دام
8- ولاية الكجرات	506.400.000 دام
9- ولاية اوده	312.700.000 دام
10- ولاية اوده	232.200.000 دام
11- ولاية اجمير	420.500.000 دام
12- ولاية الله آباد	307.000,000 دام
13- ولاية السند والملتان	400.000,000 دام
14- ولاية البنغال	500.000,000 دام [56]

بختاور خان العالمكيري :

الشيخ بخت ياور خان العالمكيري ، كان من خاصة الملك محي الدين محمد اورانجزيب ومحل ثقته ومتلزمي ركابه ، مده ثلاثين سنة متواصلة ، حتى منحه الملك منصباً رفيعاً في الدولة ، ألفاً لنفسه (أي ألف مقاتل) وخمسين ومائتين روبية للخيل ، وذلك سنة (1085هـ / 1675م) ، كان ماهراً في الإنشاء والسير والتاريخ (57) ، ثم عينه الملك اورانجزيب مشرفاً للخاصة الإمبراطورية في البلاط المغولي ، ثم صاحب ديوان الإنشاء ، ثم أصبح وزيرا للدولة المغولية (58) .

يحتل المؤرخ بختاور خان موقعاً هاماً بين المؤرخين الرسميين في البلاط المغولي، لاسيما وانه قضى معظم حياته في خدمة الإمبراطور اورانجزيب ، وما تولاه من مناصب هامة في الدولة ، وهو الذي كان يطلع الملك على التقارير الواردة من كافة الأقاليم والولايات إلى العاصمة دلهي ، وقد ألف كتاباً هاماً في التاريخ وجعله للملك اورانجزيب ، وسماه " مرآة العالم " ، وهو الكتاب الذي جعل من بختاور خان مؤرخاً رسمياً للدولة المغولية (59) ، وللمؤرخ مؤلفات أخرى ، مثل " مرآة جهان نامة " و " منتخب حديقة سنائي " و " منتخب كليات العطار " و " منتخب للمثنوي المعنوي " وله " رياض الأولياء في أخبار المشايخ " (60) ، وقد صنف له العلماء كتباً كثيرة ، منهم القاضي أبو بكر الأكبر آبادي ، صنف له كتابا في الفقه بالعربية ، وجمع فيه المسائل المعمول بها ، وسماه باسمه " الفقه البختاوري "؛ كما صنف له المـُلأ محمد نافع " خلاصة الخانية " ، بالفارسية ، وصنف له الحكيم عبد الله رسالة في الطب اسماها "همدم بخت" (61) .

اتخذ بختاور خان منهجا موسوعيا في تدوينه للتاريخ ، فبالإضافة إلى انه حرص اشد الحرص على رصد تاريخ الملك المغولي اورانجزيب ، إلا انه أبدى اهتماماً بتاريخ العالم جميعه ،القديم والإسلامي وحتى عصر دولة المغول ، وهو بذلك يكون كاتبا ثريا وغنيا بمادته العلمية والتاريخية ، وللكشف عن أهمية هذا المصدر التاريخي ، ينبغي التوقف عند محتوياته كما وردت في نص المخطوطة الموجودة في المتحف البريطاني والتي تحمل الرقم "7657" ، حيث جاء الكتاب في مقدمة وخاتمة وسبعة أبواب ، تحدث في المقدمة عن خلق الكون وطبيعة الإنسان والجن وا بليس ... الخ ، أما الباب الأول :- ففي تاريخ البطاركة واليهود والمسيحيين وملوكهم القدماء ، وتحدث عن الفلاسفة اليونان والإغريق القدماء ، كسقراط وابوقراط وفيثاغورس وارسطوا وهوميروس وبطليموس وغيرهم ، ثم تبع ذلك تاريخ أباطرة الفرس وملوك اليمن القدماء ، أما الباب الثاني :- ففي سيرة الرسول الأكرم(صلى الله عليه وسلم) ، والخلفاء الراشدين الأربعة ، والأئمة والمبشرين بالجنة ، صحابة الرسول (ص) ... الخ ، وقد اشتمل هذا الباب على اثني عشر فصلاً ، أما الباب الثالث :- ففي تاريخ الدولة الأموية والعباسية ، والملوك المعاصرون للدولة العباسية ، كقياصرة الروم ، وأشراف مكة والمدينة ، وخانات الأتراك ، وملوك الطوائف ، جاء هذا الباب في ثمانية فصول ، أما الباب الرابع :- فيتحدث عن تاريخ تيمورلنك وخلفائه القائمون على أمر إيران وطوران (بلاد الترك) ثم يتحدث عن الدولة الصفوية ، والباب الخامس :- فهو في تاريخ الهند ، ديانات الهند ، وعاداتها الاجتماعية ، حلول فجر الإسلام في الهند ، سلاطين دلهي من شهاب الدين الغوري إلى السلطان إبراهيم لودي ، وأمراء البنغال ، وأمراء الكجرات ، وأمراء كشمير ... الخ ، والباب السادس :- ففي تاريخ المغول التيموريين في الهند ، بابر ، همايون ، اكبر ، جهانكير ، شاهجهان . والباب السابع :- خصه لسيرة وتاريخ الملك محي الدين محمد اورانجزيب (عالمكير) إمبراطوريته ، وخلفائه ، وسعة الدولة وأقاليمها ، وحكام

الولايات ، والوزراء والعلماء والمعاصرين لعهد الملك اورانجزيب . ثم نجده يهتم بوضع إحصائيات عن مداخل الدولة وعوائدها المالية السنوية من الأقاليم والولايات ، والتي فصلها تفصيلاً دقيقاً ، حيث بلغ إجمالي عوائد الدخل السنوي حوالي " 9.241.716.082 دام" وقد ترجمت بعض فصول الكتاب في مجموعة المستشرق الانجليزي اليوت (Elliot) [62] . توفي المؤرخ بختاور خان العالمكيري في 15 ربيع الأول سنة 1096هـ (9 شباط 1685م) ، وقد تأسف الملك اورانجزيب على وفاته ، وأمّ بصلاة الجنازة وحمل مع المسلمين نعشه ، وأمر بدفنه في مدينة دلهي فدفن فيها [63] .

جلال الدين طبطبائي :

كان جلال الدين طبطبائي من المؤرخين الرسميين للبلاط المغولي ، ومن المقربين إلى الملك شاهجهان ، ألف كتابه الشهير بـ "بادشاه نامه" وهو على نهج كتاب القزويني واللاهوري ، حيث يغطي هذا الكتاب الفترة الواقعة ما بين سنة (1042هـ / 1633م وحتى سنة 1045هـ /1636م) وهي أربع سنوات من حكم شاهجهان .

منهجه في تدوين التاريخ غلب عليه الاختصار الشديد مع استخدامه أساليب لغوية بلاغية جميلة ، ومن وجهة نظر العديد من المؤرخين لم تكن مصادرة ذات أهمية تاريخية كبيرة ، بل انه اقتبس عن المؤرخ القزويني كل ما كتبه عن إقليم وولاية كشمير ، وقد فرغ طبطبائي من تدوين تاريخه "بادشاه نامه" سنة (1050هـ /1640م) [64] .

محمد كاظم :

المؤرخ ميرزا محمد كاظم بن محمد أمين القزويني ، ابن المؤرخ الشهير أمين بن أبي الحسن القزويني ، مؤلف "بادشاه نامه" في سيرة الملك شاهجهان [65] ، تقرب محمد كاظم إلى الملك اورانجزيب ، وحضي عنده بالمراتب العالية ، وعينه مشرفاً عاماً على قسم النفقات في بلاط الدولة المغولية (Bakhshi Paymaster) ، وعينه أيضاً مؤرخاً رسميا للبلاط ، وأمره بتأليف كتاب جامع وشامل لسيرته وتاريخ إمبراطوريته ، ونزولاً عند رغبة الملك ، شرع محمد كاظم في تدوين كتابه الشهير بـ "عالمكير نامه ، Almaqir Nama " ، وقد أتم تدوين وقائع وحوادث العقد الأول من عهد اورانجزيب (1069هـ/1659م – 1079هـ/1669م) ثم أمر الملك بمنعه من إكمال كتابه ، بدعوى انه يكذب في كثير من رواياته التي اعتمدها في "عالمكير نامه" ، أكد على ذلك المؤرخ المعاصر ساقي مستعد خان [66] ، بينما يؤكد المؤرخ الهندي سركار (Sarkar) في مقدمته على كتاب "مآثر عالمكيري" ، أن القزويني وعد انتهائه من تدوين العقد الأول من سيرة الملك اورانجزيب ، أمر الملك بتقليص نفقات الدولة ، وأغلق دائرة النفقات الرسمية ، والتي كان القزويني مسؤولاً عنها بسبب النقص الكبير في الموارد المالية [67] .

كان الملك اورانجزيب قد أمر المؤرخ القزويني بتسليم صفحات الكتاب التي يفرغ منها إليه ، وذلك لمراقبة دقة المعلومات عنده ، فإما أن يوافق عليها الملك أو أن يرفضها ،وعلى الرغم من الموقف المتشدد الذي اتخذه ملك المغول تجاه القزويني ، ومنعه من إكمال مؤلفه التاريخي ، إلا أن "عالمكير نامه" يبقى من المصادر التاريخية المعاصرة الهامة التي غطت حُقبة تاريخية مميزة من عهد الملك المغولي ، بكل تفاصيلها ووقائعها وأحداثها ، وقد برزت أهمية المصدر عند المؤرخين الذين ابدوا عناية كبيرة به وبموضوعاته كالمؤرخ ساقي مستعد خان والمؤرخ خافي خان ، والمؤرخ بختاور خان العالمكيري وغيرهم .

وقد كشف لنا المستشرق الانجليزي اليوت (Elliot) عن أن الجزء المتعلق بفتح إقليم آسام (Assam) قد ترجم إلى اللغة الانجليزية بكامله ، وذلك على يد المؤرخ فانسيتريت (Mr. Vansittrate) ، ونشر في المجلة الآسيوية المتنوعة (Asiatic Miscellany) ، ونشر أيضاً في مجلة البحوث الآسيوية (Asiati Researches) ، بينما نشر كامل العمل بلغته الفارسية الأصلية في سلسلة الكتب الهندية، (Bibliothec India) فجاء في أكثر من ألف ومائة صفحة، وقد فرغ القزويني من كتابه "عالمكير نامه" سنة (1100هـ/1688م) [68] .

محمد ساقي مستعد خان :

المؤرخ محمد ساقي مستعد خان، كان من المقربين إلى البلاط المغولي في عهد الملك اورانجزيب، وولده الملك محمد شاه، الذي عينه مؤرخاً رسمياً للدولة المغولية، كما كان يمارس مهام أعماله في منصبه كمسؤول في دائرة كتّاب الوقائع الرسمية "وقائع نويس" [69] ، ألف كتابه المعروف بـ "مآثر عالمكيري" الذي فرغ من تصنيفه سنة (1132هـ/1719م)، جاء ذلك حسب رغبة الملك وبأمر من الوزير عناية الله الكشميري، وزير الدولة المغولية في بلاط الملك محمد شاه [70] ، فألف هذا التاريخ المختصر والشامل لعصر الملك اورانجزيب .

جاء "مآثر عالمكيري" في جزأين ، الأول مختصرات لكتاب محمد أمين القزويني "عالمكير نامه" والذي وثق فيه أحداث العشر سنوات الأولى من عهد اورانجزيب (1069هـ/1695م-1079هـ/ 1669م)، أما الجزء الثاني فيشتمل على الأحداث التي ظهرت في سيرة اورانجزيب في الأربعين سنة المتبقية (1079هـ/1669م -1118هـ/1707م)، ويعتبر "مآثر عالمكيري" من المصادر

التاريخية الهامة التي قدمت دراسة مختصرة ومفيدة في نفس الوقت لعصر الملك اورانجزيب، وظهرت ترجمات عديدة وقديمة لهذا المصدر المعاصر، كالترجمة التي قام بها المستشرق الانجليزي هنري فانسيترات (Henry Vansittate)، سنة 1785م، وقد نشرت هذه الترجمة في سلسلة الكتب الهندية (Bibliotheca Indica) ، ويطلعنا المؤرخ الانجليزي اليوت (Elliot) ناشر السفر الضخم لتاريخ الإسلام في الهند، القائمة أساساً على المصادر المعاصرة، على أن السنوات الأربعين الأخيرة من عهد اورانجزيب قام بترجمتها ليوت بيركنز(Lieut Perkins) وهي الترجمة التي اعتمدها اليوت في كتابه سالف الذكر [71] .

كما وردت ترجمة لأجزاء كبيرة من عمل مستعد خان للمؤرخ جيمس بيرد(Jams Bird) حيث وردت الترجمة في كتابه الشهير بـ "التاريخ السياسي والإحصائي للكجرات (Political Statistical History of Gujarat)" [72] ، وثمة نسخة مترجمة قام بها المؤرخ الهندي الشهير "سركار Sarkar" حيث صدرت أول نسخة مترجمة إلى الانجليزية عن الأصل الفارسي في مدينة كلكتا (Calcutta) سنة 1947م ، ثم أعيد نشره سنة 1981م، في مدينة لاهور (باكستان) [73] .

اما منهج ساقي مستعد خان التاريخي فيغلب عليه الاختصار الشديد للأحداث، ويستخدم السنوات الهجرية وفقاً للسنوات الجلوسية على العرش المغولي، بمعنى انه أشار إلى السنة الجلوسية الأولى والثانية وحتى الخمسين والتي تقع ضمن التاريخ الهجري، ورغم الاختصار البين، إلا أنه يسلط الأضواء بكثافة على كافة الجوانب ذات الأهمية السياسة والإدارية والعسكرية وحتى الشخصية للملك، فيتحدث عن المعارك والفتوحات، والعادات والتقاليد الرسمية للدولة، لاسيما الاحتفالات بمناسبة السنة الجلوسية والسنة الميلادية الشمسية للملك، والسنة الميلادية القمرية،

والعادات المتبعة عند المغول في مثل هذه المناسبات، كما تعرض بشكل وافٍ للمناصب السياسية والإدارية والدينية والعسكرية في الدولة وأهمية ذلك، أن المؤرخ كان يوثق تلك المناسبات بالتواريخ الدقيقة، موضحاً ذلك باليوم والشهر والسنة بدقة كبيرة .

محمد معصوم :

دخل المؤرخ محمد معصوم في خدمة البلاط المغولي وتحديداً مع الأمير سلطان شجاع شقيق اورانجزيب، وهو من العلماء المعروفين في الهند، لم تكشف المصادر عن الوظائف الرسمية التي شغلها محمد معصوم، ومع ذلك،يبقى من المؤرخين الرسميين لبلاط الغول، لاسيما لعصر الملك اورانجزيب، ودوره الجهادي والعسكري في أنحاء متعددة من الهند.الف كتابه الشهير بـ"فتوحات عالمكيري" والذي يُعد بحق من مصادر الدولة الرسمية الهامة ، جاءت مصادر الكتاب من وثائق وتقارير ومشاهدات حية للمؤرخ محمد معصوم، كما ابلغ بنفسه عن ذلك ، وانه قد خدم شيخ الإسلام في الهند ، الشيخ أكرم الدين بن عبد الوهاب الحنفي الأحمد آبادي الكجراتي ، حيث لقبه شاه عالم بن اورانجزيب بشيخ الإسلام، وهو من علماء الهند والمهتمين ببناء المدارس والمكتبات ، كمدرسة " هدايت بخش " في دلهي سنة (1109 هـ / 1697م) وأتمها سنة (1111 هـ / 1699 م) [74] .

يحتوي الكتاب على خمسة وخمسين فصلاً ، يتعلق الأول بحملات وفتوحات شاهجهان في مدينة بلخ وبدخشان ، أما الفصل الثاني والخمسين فيتعلق بمصرع الأمير دارا شيكوه على يد اورانجزيب وتتحدث الفصول التالية عن فتوحات اورانجزيب في بلاد ما وراء النهر، وذلك حينما كان والياً على كابل وقندهار ، وبعثه والده إلى خانات الترك ، إضافة إلى قيامه بفتوحات واسعة في الدكن جنوب الهند ،

بينما يتحدث الفصل الخامس والخمسين ، عن الملك شاه عالم والملك معظم خان [75] .

ميرزا محمد نعمة خان :

الأمير محمد بن فتح الدين الحكيم الشيرازي ، نواب نعمة خان ، من الأمراء المشهورين في الشعر والهجاء ، ولد ونشأ بأرض الهند ، وسافر مع والده إلى شيراز ، وقرأ العلم على من بها من العلماء ، ثم عاد إلى أرض الهند ، وتقرب إلى اورانجزيب ، وولاّه على " نعمة خانه " دائرة النعم والهبات ، ولذلك لقبه الملك بـ " نعمة خان " سنة (1104هـ / 1692م) ، ثم ولاّه على جواهر خانه (خزينة الجواهر) ولما قام بالملك شاه عالم بن اورانجزيب ، لقبه " دانشمند خان " وقد عرف عنه مهارته الفائقة في الإنشاء والشعر والهيئة والهندسة [76] ، كما عينه اورانجزيب مشرفاً على تحرير الوقائع والأخبار في بلاطه الملكي [77] ، ويعتب نعمة خان بالإضافة إلى الوظائف الرسمية التي شغلها في دولة المغول ، من المؤرخين الرسميين ومن كتبة الوقائع والأحداث الرسمية للدولة ، كان حريصاً على تسمية كتابة بعنوان " الوقائع " .

حاز مؤلفة " الوقائع " على شهرة علمية كبيرة في أوساط الباحثين المهتمين في تاريخ المغول المسلمين في الهند ، وذلك لقيمة المعلومات الواردة في هذا المصدر ، وجودة مادته التاريخية ، وقد تركزت " الوقائع " عند نعمة خان ، في الحديث عن فتوحات اورانجزيب " عالمكير " في المناطق الجنوبية من الهند ، كإقليم الدكن ، وقد صدر كتاب " الوقائع " في بومباي في مجلد واحد ، بثلاثمائة وتسع عشرة صفحة ، كما صدر لكنهو (Lucknow) سنة 1843 م [78] ، له مؤلفات

أخرى مثل " الشاهنامة (Shah Nama) ، و " جنك نامة " سير المعارك ، وهو عن معارك اورانجزيب ضد ملك اديبور (Udipur)، نشر هذا الكتاب في لكنهو سنة (1261هـ / 1845م) [79] .

نواب عاقل خان :

من الأمراء المشهورين ، ولد ونشأ بأرض الهند ، وتقرب من الملك اورانجزيب حتى حضي لديه بإنعامات كثيرة ، فولاه منصب " بخشيكري " في معسكره ، حين كان حاكماً على إقليم الدكن ، ثم لقبه عالمكير بـ " عاقل خان " وولاه ولاية إقطاع ما بين نهري جمنا والكنج ، وجعله ناظراً على " الغسل خانة " الحمام الملكي الخاص ، ثم ولاه على دار الملك في دلهي وبقي فيها مدة حياته [80] .

وتمتع المؤرخ ببراعة فائقة في الشعر والإنشاء والتاريخ وكان من المتصوفة ، الذين ألفوا في العديد من الموضوعات الصوفية ، من ذلك ، كتابه الشهير بـ "ثمرة الحياة"، جمع فيه ملفوظات الشيخ برهان الدين الشطاري ، زعيم الطريقة الصوفية في بلاد الهند ، أما كتابه في التاريخ " اورنك نامة " ، فيعد من جملة المصادر التاريخية المعاصرة الهامة التي عالجت حياة الملك المغولي محي الدين محمد اورانجزيب ، رصد فيه أخبار الملك والحوادث والوقائع التي حصلت في عهده ، جاء في زهاء ثماني كراريس ، ومات المرخ نواب عاقل خان سنة 1107هـ / 1695م [81] .

خافي خان :

المؤرخ محمد هاشم علي خان الشهير بخافي خان ، من المؤرخين الهنود الذين اهتموا بدراسة وتدوين تاريخ الدولة المغولية في الهند ، وخافي خان ، وا إن لم تكشف المصادر التاريخية عن انه مؤرخ رسمي للدولة المغولية ، إلا أنه يبقى من المؤرخين الذين نالوا حظاً وافراً من الرعاية الاهتمام من قبل ملوك المغول المسلمين

، فقد حظي خافي خان بخدمة الملك اورانجزيب ، وعينه في مناصب سياسية وعسكرية عليا ، فقد عمل بدية الأمر موظفاً لتدوين الوقائع والأخبار عند عبد الرزاق خان رئيس ميناء سورات [82]، وكذلك عُين سفيراً من قبل حاكم إقليم الكجرات وبأمر من الملك ، للتوجه إلى ميناء بومباي للتفاوض مع الإنجليز هناك ، حيث ترأس المفاوضات التي جرت بين دولة المغول والإنجليز ، على خلفية الصراع الذي نشأ بينهما وما تسببه إنجلترا من مضايقات للمغول ومصالحهم التجارية والاقتصادية في ذلك الميناء [83] .

ألّف كتابه في تاريخ الدولة المغولية ، والذي أشتهر بـ "منتخب اللّباب " وهو مصدر تاريخي معاصر ، تتلخص فوائده في معرفة تاريخ الإسلام في الهند في فترة الحكم المغولي ، جاء في جزأين ، عالج الجزء الأول تاريخ تيمورلنك وذريته ، وصولاً إلى بابر وهمايون واكبر وجهانكير وشاهجهان ، أما الجزء الثاني فخصص لعصر الملك اورانجزيب ، مع بعض الانتقادات التي وجهها خافي خان والمتصلة ببعض مواقف اورانجزيب السياسية والإصلاحية [84] . الأمر الذي يجعلنا نميل إلى اعتبار هذا المؤرخ من غير المؤرخين الرسميين للدولة المغولية ، وربما يكون موقفة النقدي من ملك المغول، هو الذي دفع العديد من المؤرخين إلى دراسة مؤلفة وترجمته والاعتماد عليه في البحوث والدراسات ذات الصلة بعصر الملك اورانجزيب . وقد حرر الكتاب بجزأيه ، مولانا كبير الدين احمد ، وقام على نشره المجمع البنغالي الآسيوي في سلسلة المؤلفات الهندية وذلك سنة 1868م ، وقام المستشرق الإنجليزي اليوت (Elliot) بترجمة الجزء المتعلق بعصر الملك اورانجزيب ، وخلفائه [85] بينما قال المؤرخ الفنستون (Ellphinstone) وجرانت دف (Grant Duff) أن ترجمة الجزء الأول هو من أعمال ماجور جوردون(Major Gordon) ، الضابط في الجيش البريطاني الذي خدم في مدينة مدراس (Madras) [86] ، كما اهتم

المستشرق الإنجليزي ارسكن (Erskine) بترجمة القسم المتعلق بحروب الملك شاهجهان في إقليم الدكن (Deccan) [87] ، في نفس الوقت يؤكد المؤرخ الباكستاني محمد بشير على أن أفضل نسخة محررة باللغة الإنجليزية هي من أعمال المؤرخ معين الحق والتي نشرت في مجلة المجمع التاريخي الباكستاني [88] . كما أكد المؤرخ كندي (Kenndy) الذيأولى اهتماماً كبيراً في دراسة تاريخ الإسلام في الهند أن المؤرخ خافي خان قدم في مؤلفه "منتخب اللّباب "عملاً علمياً مميزاً ، ويعتب من أهم الإعمال في عصره ، لتميزه بدقة التحليل والنقد للروايات والوثائق [89] .

مبارك بن اسحق الدهلوي :

الأمير مبارك بن اسحق الحسيني الدهلوي ، يلقب بنواب مبارك الله خان ، ولد ونشأ في مدينة لاهور، وظل يتقرب إلى الملك اورانجزيب حتى ولاّه على " اورانك آباد " وعلى " مندسور " ولما توفي اورانجزيب سنة (1118هـ /1707 م) ، أصبح من ندماء وزير الدولة والبلاط المغولي منعم خان ، وكان والده أرادة خان ، وجده المعظم خان من كبار الأمراء في عهد الملك شاهجهان ووالده جهانكير ، وقد توفي المؤرخ مبارك سنة (1128هـ / 1715 م) في عصر الملك المغولي فر ّ رخ سيار [90] ، وكان قد ع ُ ين في السنة ثلاثة وثلاثين لجلوس الملك اورانجزيب على العرش بمنصب فاوجدار (Faujdar) على منطقة جاقنا (Jagna) ثم في وقت لاحق على مدينة " اورانك آباد " و " ماندو "كما عينه الملك شاه عالم حاكماً على دؤاب (Doab) [91] .

قام بتأليف كتاب اسماه " تاريخ أرادة خان " والذي يعتبر من المصادر الهامة لدراسة المراحل الأخيرة لعصر اورانجزيب وحتى عصر الملك فر ّ رخ سيار ، بحيث ينقسم هذا المؤلف إلى مجموعة من الفصول المختصرة ، إلا أنه وضع ملحقاً هاماً ، احتوى على رسالتين كتبت بخط الملك اورانجزيب [92] ، عاصر المؤرخ مرحلة

الانحطاط والضعف والتفكك التي أصابت البيت المغولي في الهند ، عندما ثارت الحروب والفتن والخلافت الحادة بين أفراد الأسرة المغولية ، وقد عبّر هو بنفسه عن هذه الحالة الصعبة والمثيرة التي عاشها المسلمون في شبه القارة الهندية ، حيث يقول في مقدمة الكتاب :

" خلال سنين حياتي الفقيرة ، حيث بلغت من العمر الرابعة والستون ، والتي تصادف سنة (1126 هـ / 1714 م) ، وبمثل هذه التقلبات في شؤون الدنيا ، انحطاط الإمبراطورية ، وفاة العديد من الأمراء ، تحطم وزوال البيوت العريقة القديمة ، وسقوط الأثرياء والأغنياء ، وبروز الفقراء محلهم ، كل ذلك شاهدته بنفسي ، والذي لم يدونه أحد غيري من المؤرخين المعاصرين ، وكمسؤول في دائرتي ، وحينها كنت معايشاً لتلك الأحداث عن كتب فقد تحصل لي تقارير ووثائق هامة جداً ، حيث شكلت المصدر الرئيس الذي وجهني في تدوين التاريخ ، وكوني كنت أحد المشاركين فيها ، لذلك قمت بتدوينها بدقة ووضوح " [93] .

جاءت بعض نصوص الكتاب مترجمة إلى اللغة الإنجليزية عند المستشرق اليوت (Elliot) في كتابة تاريخ الهند [94] .

ميرزا محمد طاهر الكشميري :

وهو المؤرخ محمد طاهر بن أحسن الله بن أبي الحسن التربتي الكشميري ، ولي النظارة في عهد الملك شاهجهان ، ثم ولي نظارة " الكتب الشاهانية " المكتبة الملكية ، ثم اعتزل عن الناس ولزم العزلة في كشمير ، ورتب له الملك اورانجزيب أربعة وعشرين ألفاً من الروبيات في العام ، وقد أهتم بكتابة الوقائع والحوادث ، وله كتاب بسيط في أخبار الملك شاهجهان، كتب فيه أخبار سنة من أيامه، ويلاحظ أنه ملخص عن الـ " بادشاه نامه " لعبد الحميد اللاهوري ، و " شاجهان نامه " لمحمد

أمين القزويني ، وقد توفي ميرزا محمد طاهر الكشميري سنة 1081هـ / 1670 [95]
.

ونود أن نشير هنا ، إلى أن الذين اهتموا بتدوين الوقائع والأحداث الرسمية ، لم يكونوا في معظمهم مؤرخين رسميين ، وهم كثر ، بيد أننا نود ذكر بعض هؤلاء الذين كانوا موظفين في " وقائع نويس " دائرة تحرير الوقائع و " سوانح نكر " تحرير الأخبار السرية ، كالأمير بهاء الدين الأكبر آبادي ، الذي ولاّه عالمكير (اورانجزيب) على تحرير السوانح بإقليم الكجرات [96] ، والشيخ احمد بن الحسين الخوافي ، ولاّه اورانجزيب تحرير السوانح بمدينة احمد آباد وذلك سنة (1050 هـ / 1640 م) ، ثم ولاّه نفس المهام بناحية الملتان ، وقد توفي سنة (1095 هـ / 1683 م) [97] ، والسيد عبد الجليل الحسيني البلكرامي ، الذي ولاّه عالمكير تحرير الوقائع في لاهور سنة (1112هـ / 1700م) ، ثم نقله إلى سيوستان في بلاد السند سنة (1116هـ / 1704م) ، وبقي بها إلى سنة (1130هـ/ 1717م) ، أي بعد وفاة اورانجزيب ، وقد توفي سنة (1138هـ/ 1725م)[98].

وبعد الإطلاع على المؤرخين الرسميين وكتاب الوقائع في دولة المغول المسلمين في الهند ، والتي أظهرت كثيراً من مظاهر القوة والسيطرة على عموم ولايات وأقاليم شبه القارة الهندية والتي استمرت زهاء قرنين ونصف ، نود أن نسجل بعض الاستنتاجات على هذه الدراسة :

أولاً : تطور مؤسسة " وقائع نويس " كتاب الوقائع الرسميون في دولة المغول المسلمين، إنما جاء نتيجة لتلك الرعاية الكبيرة التي أولاها إياها معظم أباطرة المغول منذ تأسيس دولتهم وحتى نهايتها الأخيرة ، إذ لم يتوقف نشاط تلك المؤسسة، بل بقي يزدهر بصورة مطردة من عصر إمبراطور إلى عصر آخر .

ثانياً : رغبة ملوك المغول في تسجيل سجلات لسيرة حياتهم ووقائع وأحداث دولتهم ، وكانوا قد تأثروا بذلك بزعيمهم تيمورلنك الذي يعتبر أول زعيم مغولي يدون سيرة حياته وهي المشهورة بـ " ملفوظات تيموري " ، ساهم في دفع التدوين ، سواء الوقائع والتقارير والأخبار ، لتحفل إمبراطوريتهم بأرشيف وسجلات ضخمة استوعبت تاريخ المنطقة بتفصيلاتها الدقيقة في القرن التاسع والعاشر والحادي عشر الهجرية ، الموافق للقرن السادس والسابع والثامن عشر الميلادية .

ثالثاً : إن وجود مثل تلك الدوائر والمؤسسات في حاضرة الدولة المغولية ، أفرز نهجاً جديداً في توثيق الوقائع والأحداث ، وذلك بظهور مؤرخين رسميين لدولة المغول، نجحوا نجاحاً ملحوظاً في إبراز حضارة المغول وتاريخهم المليء بالأحداث والإضافات الحضارية الجديدة .

رابعاً : وعلى الرغم من احتفال القرن السابع عشر الميلادي من عمر إمبراطورية المغول بعشرات الرحالة الأجانب الذين شدّدهم تطور الدولة السياسي والاقتصادي إلى زيارتها والإطلاع على أحوالها وتدوين كل ما شاهدوه ، على

أرض الهند ، إلا أن ملوك المغول تلك يركنوا إلى مثل تلك الرحلات وأصحابها ، بل عمدوا إلى إيجاد المؤرخون الثقات للتعاطي مع وقائع الدولة ومجريات أحداثها .

الرقم	الإمبراطور	فترة الحكم	أسم المؤرخ
١	جهانكير	١٠١٤ هـ / ١٠٣٧هـ – ١٦٠٥ م / ١٦٢٨ م	معتمد خان ، نعمة الله خان ، ميرزا كامقار خان
٢	شاهجهان	١٠٣٧ هـ / ١٠٦٩ هـ – ١٦٢٨ م / ١٦٥٩ م	عبد الحميد اللاهوري ، محمد أمين القزويني ، محمد طاهر (عنايت خان) ، محمد وارث الأكبر آبادي ، محمد صالح كامبو ، محمد صادق خان التبريزي ، محمد شريف حنفي، جلال الدين طبطبائي ، محمد كاظم (اورانجزيب) وميرزا محمد طاهر الكشميري (اورانجزيب)
٣	اورانجزيب	١٠٦٩ هـ / ١١١٩ هـ – ١٦٥٩ م / ١٧٠٧ م	مختار خان العالمكيري ، محمد كاظم ، محمد ساقي مستعد خان ، محمد معصوم ميرزا ، محمد نعمة خان ، نواب عاقل خان ، خافي خان، مبارك بن اسحق الدهلوي (شاهجهان + اورانجزيب) وميرزا محمد طاهر الكشميري (شاهجهان + اورانجزيب)

الهوامش

1- Baber , *Baber Nama , memoirs of Baber* , Translated from the original Turki Text , by , Annette Susannah Beveridge , 1st pr . 1922 , re – pr . (London , 1969) .

2- Gullbadan Begam , *Humayn Nama* , Tra. By. A.S. Beveridge , (London , 1902) .

3- Abul fadle , *Akbar nama* , tra. By. H.Beveride. (Valcutta, 1902).

4- Siddiqi, M.2, *The Intelligence Service under the Nughals*, P. 53, an article mentioned in the Muslims in India, vol.II, edited by Irfan Habib and Nizami, (Lahore) .

5- Abul hai , *India During muslim Rule*, (Lucknow, India, 1977) , PP. 87 -88 .

6- Abul fadle , *Akbar nama* , vol. III, PP. 413, 559 .

7- Abul fadle , *Ain-i-Akbar* , tra. Vol. I, by H. Blockman, vols. II and III, by H.S. Jarett, (Calcutta, 1873, 1942 and 1948) vol. I, PP. 237 – 238 .

8- Siddiqi, op – cit, P. 53 .

9- Siddiqi, op – cit, P. 54 .

10- Saqi Mustad Khan, *Massir – i – alamgiri*, tr. By J. Sarkar, (Lahore, 1981) , PP. 64 -65 .

11- Siddiqi, op – cit, P. 55 .

12- Manucci, N. *Storio De mogar* (1653 – 1708) , tr. By W. Irvin, (London, 1907) , vol. II, P. 332 .

13- Sarkar, J.S. The translation preface of massir – i – Alamgiri,

PP. III – IV .

14 – عبد الحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر (حيدر آباد، الدكن، الهند، (1375 هـ / 1955 م) ، ج5 ، ص374 .

15- Beni – Prasad , *History of Jahangir* , (Allahahad , 1973) , P. 420.

16- Saksena , *History of Shah Jahan of Delhi* , (Allahahad , 1975) , P.111 .

17- Beni – Prasad , op – cit , P. 419 .

18- Elliot and Dowson , History of India as told by its own historians, (Lahore, 1976) vol. VI, PP. 393 – 438 .

19- نزهة الخواطر ، ج5 ، ص 374 .

20- نزهة الخواطر ، ج5 ، ص 423 .

21- Saksena , Introduction , P. 11 .

22 – Saksena, P.11 الأمير الكبير خان جهان لودي ، تقرب إلى الملك جهانكير وتدرج إلى الإمارة ، ولما توفي جهانكير قتله شاهجهان ، وكان من الأمراء الكبار ومن أهل العلم قتل سنة 1040 هـ / 1630 م ، نزهة، ج5، ص 139- 140 .

24 – نزهة الخواطر ، ج5 ، ص374 .

25- Elliot , vol . VII, P. 420 .

26- Supra, vol. I, P. 131 .

27- Elliot , vol . VII, P.142 .

28- Saksena , op –cit, P. 111 .

29 - نزهة الخواطر ، ج5 ، ص374 .

30- Saksena , P. V .

31- . Elliot, VII, P. 3 الوزير الكبير سعد الله التميمي اللاهوري، نشأ بلاهور وحفظ القرآن واشتغل بالعلم ، كان له ذكاء مفرط ودرس زماناً في مدرسة وزير خان بلاهور ، وذلك سنة 1050 هـ / 1540 م ، خلع عليه الملك شاهجهان وولاه على العرض المكرر ، ثم جعله ناظراً لحريمه ، ولقبه سعد الله خان ، ثم جعله قهرمانه سنة 1053 هـ / 1543 م ، ثم جعله على ديوان الخالصة الشريف (وزير الخراج) سنة 1055 هـ / 1645 م ، ومنحه أدوات الكتاب المرصعة بالجواهر ، وأمره بتسويد لمناشير وتبليغها إلى الكتاب ، ثم ولاه الوزارة العظمى ، سنة 1055 هـ / 1645 م ، وأنعم عليه بعشرة ملايين دام (كل أربعون دام تساوي روبية واحدة) توفي سنة 1066 هـ / 1655 م ، نزهة الخواطر ، ج 5 ص 154- 156 .

32- Saksena , op –cit, P. V .

33- نزهة الخواطر ، ج5 ، ص 212 .

34- نزهة الخواطر ، ج5 ، ص 130 .

35- Elliot , vol . VII, P. 2 .

36- Saksena , op –cit, P. IV .

37- Elliot , vol . VII, PP. 1-2 .

38- نزهة الخواطر ، ج5 ، ص 15- 16 .

39- نزهة الخواطر ، ج5 ، ص 380 - 381 .

40- Elliot , vol . VII, P. 73 .

41- Elliot , vol . VII, P. 74 .

42- Elliot , vol . VII, PP. 73 – 120 .

43- نزهة الخواطر ، ج5 ، ص 393 – 394 .

44- Massir – i – Alamigri, P. 87 .

45- Elliot , vol . VII, PP. 121 – 123 .

46- Elliot , vol . VII, P. 123 .

47- Saksena, op – cit, P. VII .

48- Yasin , *Asocial History of Islamic India* , (New Delhi, 1974)

P. 161.

49- Elliot , vol . VII, P. 123 .

50- Beni – Prasad, op – cit, P. 422 .

51- Elliot , vol . VII, P. 133 .

52- History of Shah Jahan – Introduction, PP. V- VI .

53- Elliot , vol . VII, P. 123 .

54- نزهة الخواطر ، ج5 ، ص 375 .

55- Elliot , vol . VII, PP. 139 – 140 .

56- Elliot , vol . VII, P. 138 .

(كل أربعون داماً تعادل روبية هندية واحدة)

57- نزهة الخواطر ، ج5 ، ص 89 .

58- Massir – i – Alamigri, P. 155 .

59- Massir – i – Alamigri, P. 155 .

60- نزهة الخواطر ، ج5 ، ص 89 .

61- Massir – i – Alamigri, P. 155 .

62- Bakhtawar Khan , *Mirat – i – Alam*, Elliot, vol. VII, PP. 154- 165 .

63- *Massir- i – Alamigri*, P. 155 .

64- Saksena, PP. IV –V .

65- نزهة الخواطر ، ج5 ، ص 85 .

66- *Massir- i – Alamigri*, PP. 83 , 101 .

67- Sarkar, Translation Preface of massir – i –Alamigri, P. V .

68- Elliot , vol . VII, PP. 175 -177 .

69- Ahmed Basheer , Judicial System of the Mughal Empire,

(Karachi, 1978) , P. 29 .

70- الأمير عناية الله بن شكر الله الحسيني النيسابوري الكشميري ، نواب عناية الله خان العالمكيري، تقرب إلى عالمكير وصاء مشرفاً على " جواهر خانة " ، ثم صار قهرمانة ، وتدرج إلى الإمارة ، ثم تولى ولاية كشمير في أيام شاه عالم ، وربما يكون ذلك سنة 1123هـ / 1711م ، وولي ديوان الخراج في مدينة دلهي ، ثم تولى الوزارة ، كان بارعاً في الإنشاء والترسل ، جمع توقيعات الملك اورانجزيب في مجموعة واحدة وأسماها ، "أحكام عالمكيري" ، وكذلك جمع مراسلاته في مجموعة واحدة وسماها "كلمات طيبات"، وكانت أمه من حفظة القرآن الكريم وتسمى مريم ، وهي التي علمت وحفظت زيب النساء بيكم "ابنة الإمبراطور اورانجزيب ، القرآن الكريم ، وتأدبت على يديها ، توفي عناية الله سنة 1139 هـ / 1726م . نزهة ، ج6 ص 192- 193 .

71- Elliot , vol . VII, PP.181 – 182 .

72- Ahmed Basheer , op – cit, P. 29 .

73- Massir- i – Alamigri, A History of the Emperor Aurangzeb – Alamgir, (1658 – 1707 A. D) .

74- نزهة الخواطر ، ج6 ، ص 36 .

75- Elliot , vol . VII, P. 198 .

76- نزهة الخواطر ، ج6 ، ص 264 .

77- Elliot , vol . VII, P. 200 .

78- Elliot , vol . VII, P. 200 .

79- Elliot , vol . VII, PP. 201- 202 .

80- نزهة الخواطر ، ج6 ، ص 331 .

81- نزهة الخواطر ، ج6 ، ص 332 .

82- Elliot , vol . VII, PP. 350- 352 .

83- Sharma, *Mughal in India* , PP. 329 – 331 .

84- Saksena, P. x .

85- Beni Prasad, op – cit . P. 423 .

86- Elliot , vol . VII, P. 210 .

87- Elliot, PP. 211 – 533 .

88- Judicial System of the Mughol Empire , P. 28 .

89- Kennedy , P. Histroy of the Greet Mugols, vol. II, PP. 84- 85 .

90- نزهة الخواطر ، ج6 ، ص247 .

91- Elliot , vol . VII, P. 534 .

92- Elliot , vol . VII, P. 536 .

93- History of Iradat Khan , Elliot, Vol. VII, P. 535 .

94- Elliot , vol . VII, PP. 536 – 564 .

95- نزهة الخواطر ، ج5 ، ص 380 - 381 .

96- نزهة الخواطر ، ج5 ، ص 94 – 95 .

97 - نزهة الخواطر ، ج5 ، ص 38 .

98 - نزهة الخواطر ، ج6 ، ص 139 - 140 .

البعثات السياسية والدبلوماسية

في عهد اورانجزيب

تقديم:-

الفترة التاريخية الممتدة من عام ١٥٦٨م وحتى عام ١٧٠٧م، هي من الفترات الفاصلة في تاريخ المغول المسلمين في جنوب آسيا (شبه القارة الهندي)، إذ برزت

شخصية الإمبراطور محي الدين محمد أورانجزيب كأحد أعلام القادة السياسيين ومن أصحاب الآثار الخالدة في تاريخ الحضارة الإسلامية، ولسنا هنا بصدد الحديث عن جوانب الإبداع والزهو الحضاري الذي انطلق في عصر هذا الملك المغولي، فتلك الجوانب و المظاهر الحضارية كثيرة ومتنوعة فالإبداع شمل كل جوانب الحياة، سواء السياسية أم الاقتصادية أم العسكرية والإدارية أو الثقافية والعلمية، حتى أصبحت شخصية اورانجزيب مثار جدل ودراسة وتحليل لدى عشرات المؤرخين من كافة الأقطار، وهم بين مؤيد لمجمل سياساته وا إصلاحاته و بين معارض لتلك التوجهات والإصلاحات، وما يعنينا هنا، ليس التعرض لمآثره الباقية، بل ينصب اهتمامنا باتجاه البعثات السياسية التي تقاطرت إلى بلاط المغول في عهد ذلك الملك، الذي طفق يستقطب عشرات البعثات السياسية من كافة الأقطار الإسلامية وغير الإسلامية المعاصرة له.

والحقيقة، أن الهيمنة والنفوذ التي نجح في تحقيقها اورانجزيب في عموم أقاليم شبه القارة الهندية وأفغانستان، هو السبب الذي دفع بدول كثيرة إلى توثيق العلاقات السياسية والاقتصادية معها، ناهيك عن أن دولة المغول أضحت من أرقى الدول وأعظمها سلطاناً وثراء وأبهة في ذلك العصر، ويشهد على ذلك المعالم الحضارية الراقية والبديعة التي خلفها عهده وعهد من سبقه من ملوك المغول المسلمين، كالملك أكبر، وجهانكير، وشاه جهان، على أن اورانجزيب يعتبر أول زعيم مسلم ينجح بقدرته وكفاءته في السيطرة الكاملة على أراضي الهند، ولذلك تضاعفت أعداد الأقاليم التابعة للدولة، وزادت أعداد الولايات الإقليمية التابعة للسلطة المركزية في مدينة دلهي، حيث أصبح عدد تلك الولايات إحدى وعشرون ولاية تشكل بمجملها

أراضـي الهنـد الشـمالية والجنوبيـة، والشـرقية والغربيـة، وللفائـدة نشـير هنـا إلـى بعـض أسـماء تلـك الولايـات؛ البنغـال، وأرويسـا، وبيهـار، والله آبـاد، واوده، واكـرا، ودلهـي، ولاهـور، وكشـمير، وملتـان، والسـند، وأجميـر، والكجـرات، ومـالوا، والـدكن، وبيـرار، وخانديش، وكابل، وقندهار، وعندما نحصـي عدد الولاة الذين تعاقبوا علـى حكم تلك الولايـات فـي عهـد اورانجزيـب، نجـدهم يزيـدون علـى الــ ١٣٧واليـاً[1] (حاكمـاً إداريـاً للأقاليم).

وكـان لهـذا الامتـداد والتوسـع الكبيـر لدولـة المغـول أيـام اورانجزيـب، سـبب وراء إثـراء الدولـة وتطورهـا وازدهارهـا الاقتصـادي، ونقـف هنـا عنـد حجـم العوائـد الماليـة السنوية التـي كانـت تفد إلـى خزينـة الدولـة من تلك الولايات التابعة للعاصمة دلهي، حيـث ورد عنـد المـؤرخ الهنـدي بختاورخـان فـي مؤلفـه الشـهير "ميـرات عـالم" مـا خلاصته:-

صافي العوائد السنوية للأقاليم	٩,٢٤١,٧١٦,٠٨٢ دام
مخصصات خزينة البلاط الملكي	١,٧٢٦,٩٨١,٢٥١ دام
مخصصات العمال والولاة	٧,٥١٧,٧٣٤,٧٣١ دام
مجموع العوائد	١٨,٤٨٦,٤٦٣,٠٦٤ دام[2]

فـإلى جانـب القـوة الاقتصـادية، فقـد تمتعـت إمبراطوريـة المغـول فـي عهـد اورانجزيـب بنفوذ سياسـي كبيـر، الأمـر الـذي دفـع بالعديـد مـن الـدول المعاصـرة إلـى تحسين العلاقات وتوطيدها معها من خـلال إرسـال البعثات السياسية والسفراء إلـى الـبلاط المغـولي، وعنـد معالجـة المصـادر التاريخيـة المعاصـرة، كمـآثر عـالمكيري،

ورحلة بيرنير الفرنسي، نلاحظ أن دولة المغول بلغت الذروة السياسية والعسكرية وحققت هيبة جعلت معظم الدول المحيطة بها تحسب ألف حساب معها، ولذلك ربما يكون أحد دوافع إرسال البعثات السياسية إلى بلاط المغول رهبة منها ورغبة في إظهار الو لاء والطاعة لها،وللحصول على مساعداتها المالية، أو لتوثيق عرى التعاون الاقتصادي والتبادل التجاري بين المغول وبين تلك البلدان.

وغاية هذه الدراسة، الكشف عن حقائق تاريخية هامة، تحكي واقعاً سياسياً واقتصادياً لإحدى عهود الدول الإسلامية في جنوب آسيا، تمخض عنه فترة زمنية مليئة بالقوة والسيادة والنفوذ، على بلاد ربما تزيد مساحتها على أربعة ملايين كم[٢]، وكذلك ارتباط هذه الدولة بعالمها العربي والإسلامي، من خلال تبادل السفارات وتقديم المساعدات المالية والعينية لدول عربية، كأشراف مكة ومملكة حضرموت اليمن، ودول إسلامية كالدولة العثمانية، والدولة الصفوية، والخانات في بخارى وبلخ وكاشغر، ودول غير إسلامية، كمملكة الحبشة والبعثة الهولندية.

أولاً : البعثات السياسية لأشراف مكة.

كما هو معلوم، فإن علاقة المسلمين في العالم ومنهم دولة المغول المسلمين في الهند، مع الديار المقدسة في مكة والمدينة، هي علاقات روحية ورباطات دينية، وقد كشفت لنا المصادر عن بداية وصول بعثات سياسية من أشراف مكة إلى بلاط المغول في عهد مؤسس الإمبراطورية المغولية، ظهير الدين محمد بابر (١٥٢٦م-١٦٠٥م) (حيث قام بإرسال أموال على شكل نذور لمكة المكرمة سنة ٩٣٢هـ/١٥٢٦م)[٣] ولم تتوقف هذه البعثات، فظهرت في عهد جلال الدين محمد

أكبر (١٥٥٦-١٦٠٥م) وعهد جهانكير (١٦٠٥م-١٦٢٧م) وشاهجهان (١٦٢٨م-١٦٥٨م)، إلا أنها في عهد اورانجزيب أخذت بازدياد مطرد، ونلاحظ ذلك من خلال تردد السفراء من قبل أشراف مكة على بلاط دولة المغول، الأمر الذي يؤكد على رغبة اورانجزيب في دعم أشراف مكة وتزويد الحرمين الشريفين بالمؤن والمساعدات المالية، ففي السنة الأولى التي يجلس فيها على العرش (١٠٦٩هـ-١٦٥٩م) سارع الملك اورانجزيب إلى إرسال بعثة سياسية برئاسة الشيخ مير إبراهيم ابن ميرنعمان، حاملاً الهدايا والأعطيات، وقد بلغ حجمها، ستمائة وثلاثون ألف روبية، وقد استقبله شريف مكة[٤] "الأمير زيد بن محسن (١٠٤٢هـ/ ١٦٣٢م/١٠٧٧هـ/١٦٦٦م)[٥] وقد مكث هذا المبعوث في مكة قرابة خمسة عشرة سنة متواصلة، ليعود في سنة ١٠٨٤هـ/١٦٧٣م، إلى البلاط المغولي بعد تلك الجولة الطويلة.[٦]

ومن جانبه قام الشريف زيد بن محسن بإرسال أول بعثة سياسية إلى بلاط المغول في عهد الملك اورانجزيب، ففي سنة (١٠٧٥هـ/١٦٦٥م) تزعم الشيخ حجي أحمد سعيد تلك البعثة، وقد حضر إلى العاصمة دلهي في السنة الرابعة لجلوس الملك على العرش، واستقبل استقبالاً حاراً، وقد حمّل من ملك المغول بالهدايا والأموال إلى أشراف مكة وللأماكن المقدسة، وبلغت قيمة الأعطيات حوالي ستمائة وستون ألف روبية، وقد أجرى الملك لهذا المبعوث مقابلة رسمية حضرها أمراء البلاط وكبار قادة الدولة، وخلال هذه المقابلة منحه هدية أخرى وهي عبارة عن أربعة عشر حصاناً عربياً[٧]، ويبدو أن هذه السفارة كانت تتضمن مبعوثين، إذ يظهر اسم الشيخ سيد يحيى كمبعوث آخر، حيث اجتمع به الإمبراطور المغولي، وأخذ منه رسالة جاء بها من أشراف مكة، وثلاثة خيول عربية، وبعض الآثار المقدسة التي

أحضرها (Sacred relics) من مكة والمدينة، بينما وهبه الملك الكسوة وستة آلاف روبية،[٨] ويوم الأحد ١٧ شوال ١٠٧٥هـ/٢٣ أبريل ١٦٦٥م، ظهر مبعوث مكة في حفل سنوي، وهي المناسبة التاسعة والأربعين لميلاد الملك اورانجزيب القمرية، حيث جرت العادة بهذه المناسبة أن يزن الملك نفسه بالميزان مقابل الذهب والفضة، ويقوم بتوزيع تلك الأموال، وقد حصل مبعوث مكة في هذا الحفل على عطايا الملك النقدية والعينية، ثم قام بوداعه وداعاً رسمياً[٩]، وقد شاهد الرحالة الفرنسي بيرنير في هذه المناسبة سفير أشراف مكة، حيث أشار إلى أن سفارة شريف مكة كانت أول السفارات، كسفارة اليمن والحبشة، أما الهدايا التي حملتها هذه السفارة من شريف مكة إلى إمبراطور المغول فكانت تحتوي على العديد من الخيول العربية ومكنسة (besom) كانت تستخدم في تنظيف باحة المسجد الحرام في مكة المكرمة[١٠]، وبعد مرور ستة أعوام على سفارة شريف مكة الأمير زيد بن محسن، وردت إلى البلاط الملكي المغولي سفارة جديدة من قبل الشريف سعد بن زيد (١٠٧٧هـ/١٠٨٣هـ-١٠٨٢هـ/ ١٦٧٢م)[١١]، وذلك يوم الأربعاء الأول من شوال سنة ١٠٨١هـ/الأول من فبراير سنة ١٦٧١م، ومبعوث الشريف فيها هو الشيخ عثمان، الذي استقبل رسمياً في العاصمة دلهي، وجلس في حضرة الملك اورانجزيب، حيث قدم له هدايا شريف مكة الأمير سعد بن زيد، وكانت تتكون من جوادين عربيين، وحزام سيف مصنوع من الفضة، بينما كانت هدية الملك للشيخ عثمان، خنجراً مرصعاً بالجواهر، وعشرة آلاف روبية، وقطعة ذهبية زنة مائة مهر (mohars)[١٢]، وقطعة روبية واحدة زنة مائة روبية، كما عين للشريف عشرون ألف روبية[١٣].

وفي ولاية الشريف بركات بن محمد بن إبراهيم (١٠٨٣هـ/١٠٩٩هـ-١٦٧٢م/١٦٨٧م)[١٤]، وجه الإمبراطور اورانجزيب شيخ الإسلام كمبعوث إلى مكة وذلك سنة ١٠٩٥هـ/١٦٨٤م، وأنعم عليه بالأعطيات، وأعطاه كتاب أدب زيارة الأماكن المقدسة، وهي رسالة وجهها اورانجزيب للضراعة والشفاعة لدى الرسول الأكرم (ص) حيث أمره أن يضع الرسالة على ضريح الرسول عليه السلام بعدما يقوم بقراءتها عنده.[١٥]

وفي سنة ١٠٩٦هـ/١٦٨٦م، عقد الإمبراطور محي الدين اورانجزيب لقاءً رسمياً لسفير شريف مكة الأمير بركات وهو الشيخ أحمد آنما، ومنحه الكسوة وألفين روبية هندية[١٦]، وفي نفس العام أنعم الملك اورانجزيب على مبعوث مكة بالكسوة، وأعطاه خنجراً مزركشاً وحصان وثلاثة آلاف روبية ثم أذن له بالعودة إلى الديار الحجازية المقدسة.[١٧]

ثانياً : البعثات السياسية لحكام بخارى وبلخ (الاستراخان)

يعتبر المغول المسلمين في الهند أن بلاد ما وراء النهر وتركستان هي مواطن آبائهم وأجدادهم وأنها الأرض التي أرسى عليها تيمور لنك بذور إمبراطوريته الواسعة، ولذلك ظلوا يتطلعون إليها وا ِلى سيادتها من جديد، إلا أن الظروف لم تكن تجري في صالحهم، فبعد الإطاحة بالسلطان إمام قولي خان سلطان الدولة الاستراخانية عام ١٦٤٢م، وهو أحد أبرز قادة وزعماء هذه الدولة، وبث الفوضى والاضطرابات بالدولة، واتجهت الأنظار لتولية عبد العزيز خان خلفاً له، فعلم نادر محمد خان بهذه التوجهات، وهرب إلى بلخ واستنجد بالملك المغولي شاهجهان

(١٦٢٨-١٦٥٧م) ملك الهند،[١٨]، حيث بعث له سفارة خاصة برئاسة ناظربيه، حيث قوبل رسمياً في بلاط شاهجهان في ١١ كانون ثان عام ١٦٤٦م، وقدم رسالة الزعيم نادر محمد، ومعها الهدايا للإمبراطور المغولي[١٩]، وقد سير الملك شاهجهان جيشاً كبيراً إلى بلخ، ولما علم نادر محمد خان بنوايا الملك المغولي، ولى هارباً إلى أصفهان عاصمة الدولة الصفوية، حيث الشاه الصفوي عباس شاه الثاني (١٦٤٢-١٦٦٦م)، وساد مغول الهند بلخ أكثر من عامين (١٦٤٦-١٦٤٨م) بيد أنهم لم يتمكنوا من ترسيخ أقدامهم فيها، وهنا ظهر عبد العزيز خان على رأس جيش يزيد على المائتي ألف مقاتل، مما اضطر شاه جهان إلى الانسحاب والعودة إلى الهند، وعادت السلطة إلى نادر شاه[٢٠]، ثم حصلت مواجهة مع السلطان عبد العزيز خان سلطان بخارى وبلخ والملك اورانجزيب الذي شن حملة تجاه بلخ وبخارى إلا أنها باءت بالفشل.[٢١]

وبرغم المواجهات العسكرية واستمرار الحروب بين دولة المغول ودولة الاستراخان في بلاد آسيا الوسطى، إلا أن ذلك لم يقف عائقاً أمام تحسن العلاقات وتبادل البعثات السياسية، إذ حرصت دولة الخانات في آسيا الوسطى على إظهار المودة لدولة المغول في الهند، لا سيما في عهد الملك اورانجزيب، فلقد بادر السلطان عبد العزيز خان سلطان بلخ (١٠٥٧هـ/١٦٤٧م-١٠٩١هـ/١٦٨٠م)[٢٢]، إلى إرسال سفارة إلى بلاط المغول في دلهي، وكانت برئاسة الشيخ أحمد بن خواجة خوند محمود، الذي وصل إلى ضواحي مدينة دلهي يوم الأحد (٤ ربيع الثاني ١٠٧١هـ/ ١٧ نوفمبر ١٦٦٢م) وأجريت له مراسم استقبال خارج مدينة دلهي، حتى احضر إلى البلاط واجتمع بالملك اورانجزيب، فقدم له رسالة من ملك بخارى مع الهدايا، جياد

تركية، وزوجين من الجمال، وهدايا يبلغ ثمنها أكثر من ٢٤ ألف روبية، وتلطف عليه الإمبراطور (goacionsly)ومنحه الكسوة وخنجراً مرصعاً بالجواهر، وحزام مزركش باللؤلؤ، وعشرون ألف روبية، كما خصص له مقراً للإقامة فيه طالما وهو في الهند[٢٣]، وبعد خمس سنوات، أرسل حاكم بخارى السلطان عبد العزيز خان مبعوثاً جديداً، كما أرسل السلطان سبحان قولي خان حاكم بلخ[٢٤]سفيراً إلى البلاط المغولي وذلك يوم الثلاثاء، ٢٥ ذو القعدة ١٠٧٧هـ/٩ مايو ١٦٦٧م، وهي مناسبة احتفال الملك اورانجزيب بعيد ميلاده القمري، الحادي والخمسين، حيث وزّن الملك نفسه بالميزان جرياً للتقاليد والعادات المتبعة لدى البلاط الملكي، وخلال هذه المناسبة الاحتفالية، تم توزيع المناصب العليا والمنح والأعطيات، ومن الذين رعاهم الملك بإنعاماته، السيد رستم بيه مبعوث السلطان عبد العزيز خان حاكم بخارى، والسيد خوشي بيه مبعوث السلطان سبحان قولي خان حاكم بلخ، ومن تلك الإنعامات، الكسوة، وأموال نقدية، ثم قال الملك بوداعهم، بعدما أعطى سفير بخارى مائتي ألف روبية، وسفير بلخ خمسون ألف روبية.[٢٥]

وبعد ثلاث سنوات، وتحديداً يوم الأحد (٢٧ ذو الحجة، ١٠٨هـ/٨ مايو ١٦٧٠م) أرسل الإمبراطور محي الدين محمد اورانجزيب بعثة سياسية إلى بلاط ملك بخارى عبد العزيز خان، برئاسة السيد اكتازخان، وذلك رداً على السفارة السابقة، وحملت سفارة اورانجزيب رسالة، وهدايا، منها جواداً بقيمة مائة مهر (mohars)، وفيلاًقيمة أربعة آلاف روبية، وخنجراً مزركشاً مرصعاً بالجواهر، وسيفاً مرصعاً بالمجوهرات، ومنحه من الملك المغولي لملك بخارى السلطان عبد العزيز، (½ ١

هزاري)[٢٦]، كمنحة ثابتة تؤدى له كل عام، كما حمله ملك الهند من نوادر الهند ما قيمته مائتي ألف روبية، وتسعة من حسان الجياد.[٢٧]

ويوم الخميس (١٦ ربيع الثاني ١٠٩٠هـ/٦ مايو ١٦٨٠م) بعدما علم الملك اورانجزيب عن مقدم مبعوث ملك بلخ سبحان قولي إلى إقليم كابل أصدر أوامره إلى حاكم كابل بمنحة خمسة آلاف روبية، ونفس المبلغ قدم له من حاكم ولاية لاهور، وتمت مقابلة السفير ناظر بيك مع الملك اورانجزيب في البلاط الملكي في دلهي، حيث منحة الكسوة وخنجراً وألف روبية نقداً، ولقبه اورانج خان، وعين له منصب الفين.[٢٨]

وعندما استولى السلطان سبحان قولي خان حاكم بلخ على بخارى، أرسل بعثة سياسية إلى بلاط المغول، وصلت في (٨ جمادي الأول ١٠٩٣هـ/ ٢٥ أبريل ١٦٨٣م)حيث عقد الإمبراطور اورانجزيب اجتماعاً رسمياً للسيد محمد شريف سفير بخارى، ومنحه الكسوة جرياً للعادة والتقاليد الرسمية المتبعة[٢٩]،وبعد ثلاث سنوات أي في سنة (١٠٩٦هـ/١٦٨٦م) جاء إلى البلاط المغولي في دلهي مبعوث ملك بخارى، وهو السيد مير جلال الدين، حيث نُعم عليه ملك المغول بالكسوة، وخنجراً ومقبضاً ذهبياً وألف روبية نقداً.[٣٠]

ووفقاً لأبرز مصادر العهد المغولي أيام اورانجزيب الاوهو، مآثر عالمكيري، فإن آخر بعثات ملك بخارى إلى بلاط المغول في دلهي جاءت سنة (١١٠١هـ/١٦٩٠م)، وكانت برئاسة السفير ناظر بيه، حيث استقل استقبالاً رسمياً حافلاً مع سفير كاشغر والدولة العثمانية، وأخذ منه الرسالة المرسلة إليه من السلطان سبحان قولي خان، كما استقبل منه الهدايا والأعطيات، وبعد انقضاء المقابلة

الرسمية، أنعم عليه اورانجزيب بالهدايا الجزيلة كالكسوة والخيول والفيلة والمجوهرات والأموال.[٣١]

وتحقيقاً للفائدة والمعرفة، نجد من الضروري الإشارة إلى رواية الرحالة الفرنسي بيرنير، الذي ساح في أرض الهند ١٦٥٦-١٦٦٨م، وكان شاهد عيان على استقبال السفارة الأولى القادمة من بخارى وبلخ، حيث يقول: كوني كنت حاضراً المقابلة الرسمية التي جرت للسفراء في مبنى المقابلات الرسمية، فأروي بدقة ما حدث أمامي:

"عند ظهور السفراء لحضرة الملك اورانجزيب، قاموا بتحيته بالسلام، ووضعوا أيديهم ثلاث مرات على رؤوسهم (Placing the hand thrice upon the head) ويعيدوها إلى الأسفل، تعبيراً عن الإجلال والتقدير، ثم اقتربوا حتى أصبحوا على مقربة يستطيع الملك أخذ الرسائل منهم، لكن هذه الإجراءات (البروتوكول) كان يؤديه الأمراء بصحبة السفراء[٣٢]، الذين أخذوا الرسائل وقاموا بفتحها أمام الملك وقرأوها، ثم سلمت لورانجزيب، وأعقب ذلك، صدور الأمر الملكي، بمنح كل واحد من السفراء عباءة كبيرة وهي من القماش المطرز (vest of brocade) وعمامة، ووشاح (sash) مصنوعاً من الحرير ومطرزاً بالنقوش، بعدها، قدم السفراء هدايا ملوكهم، (الملك عبد العزيز خان ملك بخارى، والملك سبحان قولي خان ملك بلخ)، وكانت الهدايا عبارة عن مجموعة من الصناديق، مليئة بالآزور المنتقى بعناية فائقة (choicest Azure) وبعض الجمال طويلة الشعر، والعديد من الخيول الجميلة، منها خيولاً تترية، وبعض الجمال المحملة بالفواكه الطازجة، كالتفاح والعنب والبطيخ والكمثرى، وبعض الأحمال من الفواكه المجففة، كالبرقوق البخاري (Bokhara

(Prunes والمشمش[٣٣]، والكشمش وهو الزبيب (raisin) الخالى من النوى، وبعض الأنواع السوداء والبيضاء من الزبيب والتي لها مذاق جميل.

سارع اورانجزيب بنفسه لتحية سفراء الخانات، وراح يمجدهم ويطري عليهم بصورة فيها مبالغة كبيرة، لما جلبوه معهم من هدايا نادرة وثمينة، وأشار في حديثه معهم إلى خصوبة أراضي الأوزبك ثم وجه إليهم سؤالين أو ثلاثة أسئلة، حول معهد سمرقند[٣٤]، وعقب ذلك، فقد أشار الملك اورانجزيب على السفراء للذهاب إلى الراحة والنوم وأعلن عن رغبته في مقابلتهم مرة ثانية.[٣٥]

وقد دفع الفضول بالرحالة الفرنسي بيرنير، إلى وصف سلوك هؤلاء السفراء وطبائعهم ومعاملاتهم، بعد مكوثهم في عاصمة الامبراطورية المغولية دلهي أكثر من أربعة أشهر، فقال:

"مكث هؤلاء السفراء في دلهي أكثر من أربعة أشهر، دون أن يسعوا إلى طلب إذن بمغادرتها، وذلك بسبب ما تعرضوا له من أمراض أثر على سلامة صحتهم، حتى أن بعضهم قد مات في دلهي بسبب ارتفاع درجات الحرارة في الهند، أو لتناولهم بعض المآكل والمطاعم التي أضرت بصحتهم، ولا يوجد أناس كمثل تتار الأوزبك، فهم ضيقوا الأفق والتفكير، وبخلاء (قذرين) (soraia) وا ِن الشخص الذي قاد هذه السفارة أخذ الأموال المهداة لهم من اورانجزيب لإنفاقها على أفر اد الوفد، إلا أنهم عاشوا في حياة بئيسة لا تليق بمقامهم".[٣٦]

ثم يشير إلى الهدايا والمنح التي قدمها الملك المغولي اورانجزيب لسفراء بخارى وبلخ،

"وبحضور كل أمراء البلاط المغولي، أمر اورانجزيب بإعطاء كل واحد منهم عباءتين مطرزتين وثمانية آلاف روبية للبيوت التي يقيمون فيها، وكذلك أرسل معهم لخانات بخارى وبلخ وسمرقند، عباءات جميلة، وعدد من الأقمشة المزركشة، وأقمشة حريرية منسوجة بالذهب والفضة وبعض السجاد النادر وخنجرين مرصعين بالأحجار الكريمة.[٣٧]

وخلال فترة إقامتهم في مدينة دلهي (يقول بيرنير)، قمت بزيارتهم ثلاث مرات، بحيث قدّمت لهم على اعتبار أني طبيب وذلك من قبل أحد أصدقائي من الأوزبكيين، وكانت لدي رغبة في التعرف على طبيعة بلادهم إن هم ساعدوني بذلك، لكني وجدتهم لا يفقهون شيئاً عما سألت، حتى أنهم لا يعرفون حدود مملكتهم، ولا إعطاء أية معلومات عن التتار الذين نجحوا في السيطرة على الصين.[٣٨]

ثالثاً : البعثات السياسية للدولة الصفوية (إيران).

العلاقات السياسية بين دولة المغول في الهند ودولة الصفويين في إيران علاقات سابقة لعهد الملك اورانجزيب، فقد نشأت مع نشوء الدولة المغولية سنة ١٥٢٦م عندما أسسها الملك بابر، حيث كانت الدولة الصفوية وليدة عهد جديد، وقد ساهمت في إعادة الحكم للمغول عندما طرد القائد الأفغاني شيرشاه سوري الملك همايون وانتزع منه عرش الهند، فالتجأ همايون إلى الدولة الصفوية في عهد طهماسب شاه الصفوي، حيث قدم لهمايون كل الدعم، وهو الذي جهز جيش المغول للقضاء على دولة الأفغان في الهند، ونجح بدعمهم من دخول الهند مجدداً سنة

٩٦٣هـ/١٥٥٥م[٣٩]واستمرت العلاقات بين الدولتين تأخذ طابعاً حميمياً، وذلك في عهد أكبر وجهانكير وشاهجهان.

أما بعثات الدولة الصفوية إلى بلاط الملك المغولي اورانجزيب فقد كانت مميزة على غيرها من البعثات السياسية الأخرى، وسنوضح ذلك من خلال مشاهدات الرحالة الفرنسي بيرنير لسفراء الدولة الصفوية في بلاط الإمبراطورية المغولية، فوفقاً للمصادر التي اعتمدنا عليها للكشف عن بعثات الدولة الصفوية إلى بلاط المغول، نجد أن أول سفارة إلى بلاط اورانجزيب جاءت من قبل الملك الصفوي عباس شاه الثاني (١٠٥٢هـ/١٦٤٢م-١٠٧٧هـ/١٦٦٧م)[٤٠]، إذ بعث بالسيد بوداغ بيك (Budaq Beq) إلى الهند، ويوم علم الملك اورانجزيب بواسطة عماله عن وصول هذا السفير ووصوله إلى أرض الملتان يوم الجمعة (٢٩ شعبان ١٠٧١هـ / ١٩ أبريل ١٦٦١م) أمر واليه على إقليم الملتان تر بيت خان بمقابلته وتكريمه وحسن ضيافته، ومنحه خمسة آلاف روبية، وتسع قطع من الألبسة الجميلة، ثم استقبله حاكم ولاية البنجاب (لاهور) خليل الله خان، بحفاوة وحسن ضيافة، ومنحه عشرون ألف روبية، وسيفاً مرصعاً بالجواهر وخنجراً مرصعاً، وسبع قطع من الملابس الجميلة، وعندما حضر إلى (سراي باولي) أحضروا له طعاماً من مائدة الملك الخاصة، واجتمع به الملك يوم (٣ شوال / ٢٢ مايو) من نفس العام،[٤١] ثم يوم السبت (١٠ ذو الحجة ١٠٧١هـ/٢٧ جولاي ١٦٦٢م) صادف أول أيام عيد الأضحى، أصدر الإمبراطور اورانجزيب إذناً بمغادرة مبعوث ملك فارس عباس شاه الصفوي، وجهز السفير بالمنح والأعطيات، لإرسالها إلى عباس الصفوي، احتوت على مائة ألف روبية، وكسوات ملكية خاصة، وخنجراً مطرزاً بالجواهر، وجواداً

مسرجاً بالذهب ولجام ذهبي (A horse with gold saddle and bridle)، وفيلاً، مع محفة وغطاء مزركش ومذهب، وصندوقاً مزخرفاً بالذهب، ثم منح السفير خمسمائة ألف روبية، وخمس وثلاثون ألف روبية لرفاقه[٤٢]، من جانبه، وفي سنة (١ ربيع الثاني ١٠٧٣هـ/٢ نوفمبر ١٦٦٣م) وبعدما احتفل البلاط المغولي بمناسبة توزين الملك السادسة والأربعين الشمسية لميلاد الملك، أمر بإرسال الأمير تربيت خان مبعوثاً من دولة المغول إلى بلاط عباس شاه الثاني الصفوي، رداً على سفارته السابقة ورداً على رسالته، وقد حمل هذا السفير المغولي رسالة إلى الملك الصفوي وحمّله بالهدايا الهندية النفيسة، وسبعمائة الف روبية[٤٣]، وفي عهد الملك الصفوي حسين ميرزا الأول (١١٠٥هـ/١٦٩٤م-١١٣٥هـ/١٧٢٢م)[٤٤]، جاءت إلى بلاط الملك اورانجزيب سنة ١١١٧هـ/١٧٠٥م، بعثة سياسية برئاسة السفير محمد محسن، وأجرى له الملك المغولي مقابلة رسمية.[٤٥]

وعن سفارة بوداغ بيك، يحدثنا الرحالة الفرنسي بيرنر (Bernier) عن هذه السفارة وما جرى لها من استقبال كبير تميز على غيرها من السفارات الأخرى التي اعتادت المجئ إلى البلاط المغولي، فعند وصول هذه السفارة إلى العاصمة دلهي، استقبل بوداغ بيك سفير الملك عباس شاه الصفوي استقبالاً حافلاً، حتى الأسواق التي عبر من خلالها، زينت بالزهور والسجاد وأحيط الموكب بالفرسان من كل جانب، كما كانت الموسيقى تعزف الألحان والصداحون يصدحون بآلاتهم، وعند دخوله باب قلعة القصر، أطلقت الأعيرة النارية احتفاء بمقدمه، ورحب به الملك اورانجزيب أجمل ترحيب، وأبدى ملاطفة له بشكل كبير، وأدى السفير واجب التحية والسلام على عادة وطقوس الفرس، ثم استقبل منه رسالة الملك عباس شاه الصفوي،

وأمر اورانجزيب قادته بكسوة السفير في حضرته، وهي عباءة مزركشة، وعمامة مطرزة بالجواهر، ووشاح من الحرير (Silken Sash)مطرزاً بالذهب والفضة، ثم قدم السفير الهدايا التي أحضرها معه من بلاد فارس، وهي، خمسة وعشرون حصاناً، يقول بيرنير أنه لميشاهد مثلها جمالاً وحسناً، وبيوت مطرزة ومزركشة، وعشرون جملاً تحمل الأكياس المليئة بماء الورد، ومنها نوع اسمه (بيدمسك) وهو شراب منعش ونادر، وخمس أو ست سجادات كبيرة من النوع العجمي الفائقة الحسن والجمال، وبعض قطع اللؤلؤ، معمولة ومزخرفة على شكل ورود صغيرة، معمولة يدوياً بشكل بديع ورائع، ويشك بيرنير بأن مثل هذه الصناعات موجودة في أوروبا، وقدم السفير هدية أخرى عبارة عن أربعة سيوف دمشقية (Damascus Cutlasses) وهي سيوف قصيرة وثقيلة مقوسة كان يستخدمها البحارة، وتسمى القطلس، وأربعة خناجر (Poniards)مرصعة بالمجوهرات و خمس مقاعد صممت لظهور الخيول (هوادج) مطرزة ومطعمة باللؤلؤ والأحجار الكريمة.[٤٦]

مكث السفير الصفوي في مدينة دلهي أربعة أو خمسة أشهر وهو يحظى برعاية مباشرة من الملك أورانجزيب، وأمراء البلاط المغولي، وعندما قرر العودة إلى بلاده، دعاه الملك إلى مقابلة رسمية، ومنحه عباءة جديدة، وجهزه بالهدايا التي تليق بمقام ملك فارس، عباس شاه الصفوي، ولقد كان لموقف اورانجزيب من البعثة السيايهة الفارسية وا ٍحاطته لها بكل رعاية وتقدير، دوراً في توثيق العلاقات بين الدولتين، بعدما شابها بعض العداوة عندما ساندت الدولة الصفوية شقيق اورانجزيب، دارا شيكوه، وكذلك، أدرك أمراء البلاط، بأن رسالة الشاه الصفوي، بلغت مكانها، حيث عبّر الملك عباس شاه عن سروره بموت دارا شيكوه، وكذلك رغبة الصفويين

باللقب الجديد لاورانجزيب، وهو "عالمكير" فاتح العالم والذي ضرب على العملات النقدية في الهند.(٤٧)

وقد وردت إشارة، وهي في غاية الأهمية، من الرحالة بيرنير، إلى حصوله على بعض نصوص الرسالة التي بعثها الملك عباس شاه الثاني الصفوي، إلى الملك اورانجزيب، حيث أورد:-

'أنت من اليوم وصاعداً تحمل لقب عالمكير "فاتح العالم" بسم الله، بعثت لك السيوف، والخيول، ودعنا نزيل الأقنعة والعداوة فيما بيننا".(٤٨)

رابعاً : البعثات السياسية للدولة العثمانية.

العلاقات السياسية بين المغول والدولة العثمانية تكاد تكون من أضعف العلاقات، وتنعدم الصلات بين الجانبين في معظم مراحل الدولتين التي تزامن تاريخ تأسيسها في وقت واحد تقريباً، إذ أسست الدولة العثمانية سنة ١٥١٦م حيث تم لها السيطرة على إرث الدولة المملوكية، بينما قامت دولة المغول سنة ١٥٢٦م حيث أسسها الملك بابر الشهير، بينما يعود سبب ضعف العلاقات السياسية بين المغول و العثمانيين إلى سبب جوهري، وهو محاولة تيمورلنك والمغول القضاء على دولة العثمانيين الأولى في آسيا الصغرى، حينما اجتاحت قوات تيمورلنك بلاد العثمانيين، وهزموهم وأسروا زعيمهم السلطان بايزيد العثماني وأرسلوه إلى عاصمة الإمبراطورية التيمورية في سمرقند، ويدرك العثمانيون أنه لو لم يمت تيمورلنك في نفس العام الذي اجتاح فيه بلادهم، وما أعقب ذلك من انقسامات سريعة في جسد الإمبراطورية

التيمورية، لما أمكن العثمانيون إطلاقاً من إعادة بناء دولتهم، ودولة المغل في الهند، وزعيمها اورانجزيب ومن سبقه من ملوك، إنما هم من ذرية وسلالة تيمورلنك، من هنا بقيت العلاقات فاترة إلى حد كبير، وما ظهر لدينا من سفارات وبعثات سياسية عثمانية إلى بلاط المغول في دلهي، إنما جاء من قبل حاكم البصرة العثماني، إلا سفارة واحدة وردت من قبل السلطان العثماني سليمان الثاني (١٠٩٩هـ/١٦٨٧م-١١٠٢هـ/١٦٩١م)[٤٩]، وذلك سنة ١١٠١هـ/١٦٩٠م، حيث وصل السفير أحمد آغا ممثلاً عن السلطان، واستقبل استقبالاً رسمياً مع بقية السفارات التي وصلت إلى دلهي وهي قادمة من بخارى وكاشغر، وأخذ اورانجزيب منه رسالة من السلطان سليمان الثاني، ومعها الهدايا، وأنعم عليه اورانجزيب بالكسوة، وأرسل هداياه إلى السلطان العثماني، من جملتها خيول وفيلة ومجوهرات.[٥٠]

أما بقية البعثات فكانت ترد إلى بلاط المغول من قبل حاكم البصرة العثماني، ففي سنة ١٠٧٠هـ/١٦٦٠م حيث أقام بلاط المغول حفلاً سنوياً بمناسبة السنة الجلوسية الثالثة لاعتلاء اورانجزيب العرش، ورد البلاط أخباراً مفادها، بأن حاكم البصرة العثماني السيد حسين باشا، قد أرسل رسالة مع مبعوثه قاسم آغا، يهنئ فيها اورانجزيب بهذه المناسبة الجلوسية، ومعه خيولاً فارسية هدية للملك، وقد أصدر اورانجزيب أوامره للمتصدر في ميناء سورات (Surat) حيث حط المبعوث، وهو مصطفى خان بمنح قاسم آغا أربعة آلاف روبية كمصاريف ونفقات خاصة به، وطلب بإرساله إلى البلاط الملكي في دلهي، وتكون هذه البعثة قد أرسلت في عهد السلطان العثماني محمد الرابع (١٠٥٨هـ/١٦٤٨-١٠٩٩هـ/١٦٦١م)[٥١]، كما بعث حاكم البصرة حسين باشا سنة ١٠٧١هـ/١٦٦١م، مبعوثه إلى بلاط المغول، وهو

السيد قاسم آغا الرومي، وعقد الملك اورانجزيب له مقابلة رسمية، حيث قدم للملك المغولي هدايا حسين باشا، من هذه الهدايا، خمسة خيول عربية، وبعض الخيول الأخرى، وغلمان من جورجيا، بينما منحه اورانجزيب الكسوة وخمسة آلاف روبية.(٥٢)

وفي سنة ١٠٧٩هـ/١٦٦٩م، بعث مخبر الرسائل في ولاية الملتان بمعلومات تفيد بأن حسين باشا حاكم ولاية البصرة التابعة للدولة العثمانية، قد عزل من منصبه بسبب خلاف وقع بينه وبين السلطان العثماني محمد الرابع، الذي عين بدلاً منه السيد يحيى باشا، ولهذا السبب لم يتمكن حسين باشا من البقاء في البصرة ولن يستطيع الذهاب إلى مقر الدولة العثمانية، فقرر المغادرة إلى إيران، حيث رفضت الدولة الصفوية استقباله، فقرر أخيراً الذهاب إلى الهند، ووافق الملك اورانجزيب على مجيئه وتحقيق رغبته، وأمر ارتاك بيك حامل الصولجان (macebearer) بإحضار الكسوة له وفيلاً، والسماح له بزيارة البلاط الملكي في أي وقت يشاء.

ويوم الثلاثاء (١١ صفر ١٠٧٩هـ/١جولاي ١٦٦٩م، علم اورانجزيب بوصول حسين باشا إلى أرض أغرا آباد في البنجاب، حيث كان في استقباله على مدخل لاهور صدر الصدور بخش الملك اسدخان، ومجموعة من الأمراء والأعيان، واصطحبوه إلى حضرة الملك اورانجزيب، وذلك بعدما أرسل إلى "الغسل خانة" مكان الاغتسال أو الحمام، بعدها قام بتأدية فروض الولاء والطاعة ثم قبل العرش، بينما كان الملك خلفه، ثم منح اورانجزيب أولاده، افريسياب بيك وعلي بيك خمسة آلاف روبية، وأهداهم ياقوتة (ruby) تبلغ قيمتها عشرون ألف روبية، وأعطاهم عشرة خيول عربية، وكسوة خاصة، وسيفاً مرصعاً بالجواهر قيمته ستة آلاف روبية، وخنجلرمرصعاً بالجواهر، وفيلاً مع سرج مذهب، ومائة ألف روبية نقداً ومنحه

منصب ٥آلاف، ولقبه بإسلام خان، ومنح أولاده لقب خان أيضاً، وأعطاهم قصراً جميلاً ملئ بالأثاث الفاخر والسجاد الجميل، وقارباً لاستخدامه في النهر(٥٣).

خامساً : البعثات السياسية لدولة حضرموت (اليمن).

لا تكشف المصادر التاريخية عن علاقات سياسية واضحة المعالم بين دولة المغول في الهند والدولة العربية في اليمن وحضرموت، حتى التبادل التجاري يكاد يكون غامضاً، إلا أننا عثرنا على سفارات يمنية جاءت إلى بلاط المغول في دلهي، ويبدو أن تلك السفار ات أرسلت إلى اورانجزيب لتقديم التهاني له بمناسبة اعتلائه عرش الإمبراطورية المغولية، ومن الواضح أن سفارات اليمن كانت قد أرسلت في عهد الإمام متوكل إسماعيل (١٠٥٤هـ/١٦٤٤م-١٠٨٧هـ/١٦٧٦م) والإمام مجيد محمد (١٠٨٧هـ/١٦٧٦م-١٠٩٣هـ/١٦٨٢م).(٥٤)

وصل إلى بلاط المغول أول مبعوث حضرموتي في عهد اورانجزيب، وهو سيد عبد الله، وذلك سنة ١٠٧١هـ/١٦٦١م، حاملاً رسالة من الإمام متوكل إسماعيل وهدايا، قد استقبل استقبالاً رسمياً حافلاً، ومنحه الإمبراطور المغولي الكسوة والأموال، وقدم تسعة من الجياد العربية المطهمة (steeds) أرسلها الإمام إسماعيل إلى الإمبراطور اورانجزيب، واحتفلت به دولة المغولة مدة خمسة أيام متواصلة(٥٥).

كذلك بعث الإمام متوكل إسماعيل سنة ١٠٧٥هـ/١٦٦٥م مبعوثاً رسمياً إلى بلاط اورانجزيب لتقديم التهاني بالمناسبة التاسعة والأربعين القمرية لميلاد الملك،

وذلك في (١٧ شوال/٢٣ أبريل)، وقد منحه اروانجزيب الأعطيات والأموال العينية والنقدية ثم قام بوداعه ومن معه من سفراء الحبشة وا إشراف مكة.[٥٦]

سادساً : البعثات السياسية لدولة كاشغر.

أورد المصدر التاريخي "مآثر عالمكيري" سفارة كانت تفد إلى بلاط المغول من قبل ملك كاشغر، وبذلك يكون مؤلف الكتاب ساقي مستعدخان قد فصل بين كاشغر ومملكة بخارى وبلخ التي تسيطر على عموم أقاليم آسيا الوسطى في عصر الدولة، وقد تحدثت المصادر والمراجع التاريخية عن بعض حكومات ظهرت في القرن السابع عشر والثامن عشر الميلاديين في بلاد ما وراء النهر، كالأسرة التيمورية (٧٧١هـ/١٣٦٩م-٩٠٦هـ/١٥٠٠م) والأسرة الشيبانية (٩٠٦هـ/١٥٠٠م-١٠٠٧هـ/١٥٩٩م) وحكومات خيفا (Kliva) وخوقند (Khokunds) وبخارى، والاستراخان (١٠٠٧هـ/١٥٩٩م-١٢٠٠هـ/١٧٨٥م).[٥٧]

إلا أن أسماء الملوك والسفارات التي ظهرت في مآثر عالمكيري كالسلطان عبد الله خان وبلبارس خان كسلاطين لكاشغر، فيرجح أنها تابعة لخانات خيفا (khiva) التي سيطرت على خوارزم وفرغانة (٩٢١هـ/١٥١٥م-١٢٨٩هـ/١٨٧٢م)، وقد ظهر اسم بلبارس خان في قائمة أسماء سلاطين خيفا إلا أنه ليس ممن عاصر الملك اورانجزيب (٩٢١هـ/١٥١٥م-٩٣١هـ/١٥٢٥م) وبلبارس الثاني (١١٤٥هـ/١٧٣٥م-١١٥٣هـ/١٧٤٠م).[٥٨]

ومع وجود مثل هذه الالتباسات، والتي ربما وقع بها مؤرخ بلاط اورانجزيب، ساقي مستعد خان، إلا أننا وللفائدة نورد السفارات التي أشار لها المؤرخ والتي وصلت إلى بلاط المغول من قبل مملكة كاشغر، علماً بأن مملكة كاشغر، وإن صح زعم ذلك المؤرخ، فهي من الدول الإسلامية التي ظهرت في آسيا الوسطى في القرن السابع عشر الميلادي، الحادي عشر الهجري).

ففي العام ١٠٧٥هـ/١٦٦٥م، حيث وصلت سفارة من ملك كاشغر عبد الله خان إلى بلاط اورانجزيب، إلا أنه لم يظهر اسم مبعوث ذلك الملك، وفي نفس السنة بعث ملك المغول مبعوثه السيد خواجة إسحق، حاملاً رسالة يرد فيها على رسالة ملك كاشغر، وحمّله أيضاً الهدايا والكثير من خيرات الهند الثمينة[٥٩]، ثم يطلعنا مؤرخ البلاط المغولي على حادثة طرد ملك كاشغر عبد الله خان، ولجوءه إلى الهند، وذلك سنة ١٠٧٨هـ/١٦٦٨م، وتحديداً يوم الثلاثاء (٨ شوال، ١٢ مارس) حيث وصل إلى ضواحي مدينة دلهي، وأصدر الملك اورانجزيب أمره باستقباله استقبالاً رسمياً، وأمر بإكرامه والاحتفاء به، ويوم الأحد (١١ شوال/١٥ مارس) غادر عمدة الملك جعفر خان، واسدخان إلى خارج مدينة دلهي لاستقباله وإحضاره إلى بلاط الملك المغولي، وجيء به إلى مدخل بيت الاستقبال الرسمية وهو يمتطي صهوة الجواد (horseback)، وعندما دخل راح يشارك في تناول الطعام والشراب المخصص للملك، وقبل عكازاً أهدي إليه، مزركشاً ومرصعاً بالجواهر، ثم انصرف إلى دار الحمام (غسل خانة) بجانب النهر، وبعد ساعة ظهر الإمبراطور اورانجزيب، فنهض ملك كاشغر وتوجه إليه، واستهل حديثه بالسلام على الملك، ثم تصافحا، وأخذه الملك اورانجزيب بيده إلى المسجد، وبعد نصف ساعة أذن له بالمغادرة إلى

أحد البيوت التي أعدت لـه بكامل أثاثها[٦٠]، وزين البيت ببعض الأثاث الملكي الخاص، ثم منحه الملك اورانجزيب أعطية بلغت (11 Lakhs) أي مليون ومائة ألف روبية نقداً، وبلغت قيمة الهدايا العينية الأخرى حوالى عشرون ألف روبية، كما قدم لـه ثمانية عشر جواداً مسرجة بالأسرجة المزركشة والمرصعة بالجواهر والذهب والفضة، حيث احتشدت في باحة مبنى الاستقبال الملكي، ثم في الأيام التالية، قام ملك كاشغر وزوجاته وعائلته بجولات لهو صاخبة (merry making) إلى حديقة "صاحب آباد" في دلهي، ونيابة عن الملكة بيكم صاحب زوجة اورانجزيب، فقد أهدي للملك كاشغر عشرون ألف روبية، وثمانية عشر قطعة لياس، وخنجراً مرصعاً بالجواهر، وصندوقاً مزركشاً بالجواهر لحفظ أوراق التنبول (betel leafe) وبعض قطع الكرستال، ومائتي وجبة طعام، وهدايا قيمة متنوعة[٦١]، وفي يوم (٥) شوال / ٢٩مارس) يصف لنا ساقي مستعدخان مقابلة اورانجزيب الرسمية لملك كاشغر المعزول، فيقول:

"وبعدما ظهر الملك اورانجزيب إلى جانب العرش الملكي في البلاط، قام عهدة الملك بإحضار خان كاشغر لمقابلة اورانجزيب، حيث سارع ملك كاشغر للانحناء أمام الملك، ثم راح الملك يضع يداه على ظهره، ثم جلس أمامه، وبعدها اصطحبه عمدة الملك للمبارزة على ظهر الفيل، بينما غادر اورانجزيب إلى حجرة النوم".[٦٢]

ونلاحظ، أنه بعد عام واحد على عزل الملك عبد الله خان ملك كاشغر ولجوئه إلى بلاط المغول في دلهي، تصل سفارة من قبل ملك كاشغر بلبارس خان، وذلك يوم الأربعاء (١٣ شعبان ١٠٧٩هـ / ٦ كانون ثاني ١٦٦٩م) حيث عقدت لسفير

كاشغر السيد عبد الرشيد، مقابلة رسمية خاصة مع الملك اورانجزيب وذلك في مبنى الاستقبالات الرسمية في البلاط الملكي، حيث قدم رسالة للملك المغولي أرسلها له ملك كاشغر، ثم قام الملك بإعطاء الرسالى إلى خدمت خان القائم بأمر جناح الالتماس الملكي (darogha).[٦٣]

ثم وردت سفارة جديدة من ملك كاشغر بلبارس خان إلى بلاط المغول في دلهي، وذلك يوم الاثنين (٤ جمادى الثاني ١٠٩٣هـ/٢١ مايو ١٦٨٣م) برئاسة السيد أيوب بيك، وعندما أذن له بالمغادرة منحه الملك اورانجزيب الكسوة وخنجراً مرصعاً بالجواهر، وأعطاه ألفي روبية نقداً[٦٤]، وفي سنة (١١٠١هـ/١٦٩٠م) وصل السيد عبد الرحيم بيك سفير ملك كاشغر إلى بلاط الملك اورانجزيب، حيث استقبل استقبالاً رسمياً مع سفراء ملك بخارى والدولة العثمانية، وأخذ منه ملك المغول الرسالة التي حملها معه من ملك كاشغر، وأخذ منه ملك المغول الرسالة التي حملها معه من ملك كاشغر، ومجموعة من الهدايا أرسلت معه هدية لملك المغول، وقد أنعم عليه ملك الهند بالكسوة والخيل والفيلة والمجوهرات والتي خصصت لملك كاشغر[٦٥].

سابعاً : البعثة السياسية لدولة حيدرآباد (الدكن).

كانت مملكة حيدرآباد جنوب الهند خارج سيطرة المغول في عصر الملوك السابقين لاورانجزيب، وبقيت كذلك في السنوات الأولى من اعتلائه عرش دلهي، ووقعت حروب بين الجانبين، لا سيما أيام السلطان أبو الحسن آخر سلاطين الأسرة الحاكمة في مملكة كولكندة (حيدرآباد) (١٠٨٣هـ/١٦٧٢م-١٠٩٨هـ/١٦٨٧م)[٦٦]، ورغم تدهور العلاقات بين الجانبين، إلا أنه ظهرت سفارة من قبل أبو الحسن

توجهت إلى بلاط المغول في دلهي، وذلك سنة ١٠٨٥هـ/١٦٧٥م، أي قبل انتهاء حكم هذه الأسرة على يد المغول سنة ١٠٩٨هـ/١٦٨٧م[٦٧]، إذ بعث ملك حيدر آباد أبو الحسن مبعوثاً إلى بلاط الإمبراطور المغولي اورانجزيب، وهو السيد قوام الدين، حاملاً معه تسعمائة ألف روبية والعديد من المجوهرات، ومجموعة من الفيلة، قدمها لاورانجزيب، من جانبه، أصدر اورانجزيب أوامره بإهدائه الكسوة في اليوم الذي تم فيه مقابلته رسمياً ، وأثناء عودته أعطي كسوة ثانية[٦٧].

ثامناً : البعثة السياسية الهولندية.

الهولنديون الذين كانوا يتواجدون على موانئ الهند، لا سيما على ميناء سورات (Surat) الواقع على سواحل الهند الغربية، والذين كانت لهم نشاطات تجارية واقتصادية كبيرة، تمخضت عن بناء مصانع كبيرة، وقد ترأس "ديرك فان ادركان (Dirk Van Adrichean) هذه المؤسسة الصناعية من سنة ١٦٦٢م-١٦٦٥م، حيث نجح في الحصول على اذن رسمية من المغول للتواجد في ميناء سورات، إذ حصلوا على فرمان رسمي في (٢٩ أكتوبر سنة ١٦٦٢م) والذي صدر في مدينة دلهي، من الملك اورانجزيب، حيث أعطى الهولنديين الكثير من الامتيازات التجارية في إقليم البنغال وا ٍقليم اوريسيا.[٦٩]

والهولنديون لم يتأخروا عن تقديم التهاني والتبريكات للإمبراطور اورانجزيب بمناسبة اعتلائه عرش الهند، حيث قرروا إرسال بعثة رسمية إلى البلاط المغولي، وقاد هذه البعثة السفير "مونسيور ادريكان (Monsieur Adrican)" رئيس مصنع الهولنديين في ميناء سورات، وقد وصفه بيرنير بالاستقامة والأهلية.[٧٠]

ونلاحظ اهتمام الرحالة الفرنسي بيرنير بهذه السفارة، فلا نجد ذكراً لها في بقية المصادر التاريخية الأخرى، ولذلك المعلومات التي أوردها بيرنير، تكشف لنا عن أهمية هذه السفارة، لا على مستقبل العلاقات السياسية والاقتصادية بين الهولنديين والمغول فحسب، بل على عموم مستقبل تلك العلاقات مع العالم الأوروبي.

فيذكر، أنه عند مقابلة السفير الهولندي للملك المغولي اورانجزيب، فقد ظهر ملك المغول بسلوك ومظهر مليء بالأبهة والعظمة والخيلاء الإسلامية، ويرى بيرنير أيضاً، أنه بدى متحمساً ومستخفاً بالمسيحيين (despises Christians)، ورغم ذلك فإن هذه المناسبة التي حضرت إليها السفارة الهولندية، أظهرت الملك دمثاً لطيفاً وبطريقة تومي بشعور الاستعلاء والتفوق (condescending)، وأبدى حسن الاستقبال، مما سارع بالسفير الهولندي إلى تقديم التحية[٧١]، وقد استقبل الرسائل من خلال امرأته في البلاط الملكي، وبعد انتهاء الإجراءات التمهيدية لطقوس المقابلة الرسمية، أمر الملك بإهدائه عباءة مطرزة ومزركشة، بينما كانت هدية السفير، كمية كبيرة من الألبسة الجميلة الفاخرة، وملابس وقماش قرمزية اللون (scarlet) وكؤوس جميلة المنظر، وبعض الأصناف الصينية واليابانية، وكرسي متحرك مخصص لجلوس الملك، إلا أنه متنقل.[٧٢]

وقد جرت العادة عند أباطرة المغول في الهند أن يؤخروا السفراء الأجانب بقدر المستطاع وذلك تحقيقاً لفكرة العظمة والهيمنة التي يتمتع بها العرش المغولي، كما كلنوا حريصون على الاستزادة من البعثات الأجنبية داخل البلاط الملكي إظهاراً لأهمية الدولة وسلطتها، وعلى غير هذه العادة، أذن للسفير الهولندي بالعودة إلى سورات بشكل سريع، ويذكر بيرنير أن هذه البعثة السياسية تعرضت للأمراض، إذ

مات سكرتير "ادريكان" وأصيب بعض رفاقه بالمرض، وعند مغادرته قدم له الملك اورانجزيب هدية أخرى، وهي عباءة كبيرة مطرزة ومزركشة بالمجوهرات، كما أعطاه عباءة بنفس المواصفات لحاكم باتافيا (Batavia) وهو رئيس المصانع الهولندية الواقعة على السواحل الشرقية للهند (The governor-General of the Dutch Indies).

أما أهداف السفارة الهولندية إلى بلاط المغول في الهند، فكانت للحصول على حظوة لدى ملوك المغول لاسيما الملك اورانجزيب، وكذلك لنقل أخبار الهولنديين والأوروبيين إلى بلاط المغول، بهدف تعزيز الصلات التجارية بين الجانبين، والعمل على نشرها على السواحل الهندية الشرقية والغربية، رغبة في جني الأرباح المالية، وذهبوا أيضاً إلى إبراز أهمية هذه الموانئ التجارية وضرورة إقامة المنشآت الصناعية عليها لدى حكام تلك الأقاليم من المغول، وتشجيع حكام المغول على تطوير تجارتهم البحرية مع الهولنديين والأوروبيين، كون دولتهم دولة واسعة وقوية النفوذ.

ويرى بيرنير أن الهولنديين تمكنوا بفعل علاقاتهم السياسية الجيدة مع ملك المغول، من الاستيلاء والسيطرة على تجارة النحاس، والرصاص، والقرفة (Cinnamon) والقرنفل (Clove) وجوزة الطيب (nutmeg) والفلفل الأسود، وخشب الصبّار (aloes-wood) والفيلة وبعض الأصناف الهندية الأخرى[٧٤].

تاسعاً : "البعثات السياسية لدولة أثيوبيا (الحبشة)".

العلاقات الأثيوبية (الحبشة) مع البلاد العربية والإسلامية علاقات قديمة، تمتد إلى عصور ما قبل ظهور الإسلام، ثم تعززت هذه العلاقة في صدر الإسلام لا سيما في عهد الرسول (ص)، وعهد النجاشي ملك الحبشة[٧٥]، واستمرت العلاقات في تحسن مستمر في عهود الإسلام الأخرى، وذلك مع تباين واختلاف معتقدات العرب والأحباش، حتى انتشر الإسلام في الحبشة انتشاراً واسعاً رغم سيطرة الكنيسة المسيحية على الحكم فيها، وفي القرن السادس عشر الميلادي نلاحظ أن ثمة ارتباطات بين أثيوبيا والبرتغاليون، إذ ساعد الآخرون الحبشة على طرد الإمام المسلم الذي يحكم مناطق الصومال، وظلت منطقة الحبشة مركزاً للبعثات التبشيرية الأوروبية حتى تم التخلص منهم سنة ١٦٣٣م، وفي هذه الفترة برزت الصراعات الهندية والبرتغالية على أثيوبيا واستمر هذا النزاع مع هيمنة نظام الإقطاع على الحياة العامة، حتى العام ١٨٥٥م، ثم برزت وحدة أثيوبيا على يد تيودروس الثاني (Tewodros II) سنة (١٨٥٥ن-١٨٦٨م).[٧٦]

وعلى الرغم من ورود سفار ات حبشية (أثيوبية) إلى بلاط المغول في الهند، وذلك في المصادر المعاصرة، إلا أننا –وبكل أسف– لم نستطع تحديد أسماء الملوك الأحباش الذين تمت في عصرهم إرسال البعثات السياسية إلى مغول الهند، ومع ذلك، فقد حظيت سفارة الحبشة باحترام وتقدير ملك المغول اورانجزيب في أكثر من مرة، ويبدو أن ظهور مثل هذه العلاقات إنما كانت تهدف بالدرجة الأولى إلى تحسين طرق التبادل التجاري بين الجانبين.

وعودة إلى "مآثر عالمكيري" فإننا نعثر على أول بعثة سياسية للحبشة، كانت قد وصلت إلى مدينة دلهي سنة ١٠٧٥هـ/١٦٦٥م، وذلك لتقديم التهاني للإمبراطور

اورانجزيب بمناسبة توليه عرش المغول في الهند، وقد وصل هذا السفير في نفس الوقت الذي وصل فيه سفراء أشراف مكة وحضرموت، وهو السفير سيدي كامل، يحمل رسالة من ملك الحبشة لملك المغول، وقد استقبل استقبالاً رسمياً حافلاً، وأنعم عليه ملك المغول بالكسوة والأموال، واحتفل به وبسفراء الدول الأخرى مدة خمسة أيام متواصلة(٧٧).

ثم في يوم الأحد (١٧ شوال سنة ١٠٧٥هـ/ ٢٣ أبريل ١٦٦٥م) والذي تصادف فيه الذكرى التاسعة والأربعين القمرية لميلاد الملك اورانجزيب، حضر سفير الحبشة، واحتفل به ومنحه الملك الأعطيات والأموال العينية والنقدية ثم قام بوداعه رسمياً (٧٨)، وفي يوم الأربعاء (١ شوال سنة ١٠٨١هـ/ ١ فبراير ١٦٧١م)، وصل إلى بلاط المغول في الهند، السيد محمد رومي، سفيراً من قبل ملك الحبشة، حيث قدم الهدايا والأعطيات التي بعثها ملك الحبشة لاورانجزيب، وأنعم عليه ملك الهند بالكسوة، وعند عودته إلى بلاده قدم له ملك الهند كسوة ثانية وعشرة آلاف روبية.(٧٩)

استقبلت سفارة الحبشة التي وصلت إلى بلاط المغول سنة ١٠٧٥هـ/١٦٦٥م بحفاوة وتكريم كبيرين، ويطلعنا الرحالة الفرنسي بيرنير على تفاصيل هذه السفارة الإثيوبية، وذلك بسبب ما يربطه من معرفة وعلاقات معها، وقد جعلها بيرنير سفارتين بدلاً من سفارة واحدة، برئاسة أحد التجار المسلمين والأخرى برئاسة أحد التجار المسيحيين، فنجده يتجاهل التعرض إلى اسم ذلك السفير المسلم، ولا يفصل الأحداث عنه، بينما ينزع بشكل واضح إلى إبراز السفارة المسيحية، والتي يرئسها أحد التجار الأرمن المسيحيين، وهو من مواليد حلب، ومشهور بأثيوبيا باسم مراد(٨٠)، بينما نجد في روايات ساقي مستعد خان أسماء بعثات ملك الحبشة كالسفير سيدي

كامل وهو الذي تجاهله بيرنير، والسفير السيد محمد رومي، وكانت هناك اشارتان منه توحي بأن السفير المسلم لأثيوبيا، قد أرسل من قوندر (Gonder) عاصمة الحبشة إلى الهند بقصد الاتجار بأعداد كبيرة من الرقيق ولشراء البضائع الهندية، ثم يشير إلى السفير الأرمني المسيحي بأنه كان يأتي كل عام إلى الهند حاملاً الهدايا السنوية من ملك الحبشة إلى الإنجليز الهولنديين الذين انشأوا شركة الهند الشرقية، ويعود محملاً بالهدايا أثناء عودته إلى (Gonder) وكذلك، يبرز رغبة الملك لتأدية تلك المهمات، ولذلك أنفق عليها الأموال الطائلة، حيث أهداهم ثلاثة وثلاثين من فتيان الرقيق، ذكوراً وا ٍناثاً، لبيعها في أسواق مكة، وا ٍنفاق عوائدها على رحلتهم إلى الهند للوصول إلى بلاط المغول، بينما كان يباع رأس الرقيق بـ ٢٥-٣٠ كرونة (Crowns)، بالإضافة إلى ذلك، فقد أرسل ملك الحبشة إلى إمبراطور المغول اورانجزيب خمسة وعشرون غلاماً مميزين منتقين بعناية، عشرة منهم في سن صغيرة معدين للخصي، (eunuchs)، كما حمل السفراء معهم هدايا مختلفة، خمسة عشر حصاناً شبيهة بالخيول العربية، وأصناف من البغال (وهي الحمير الوحشية) إذ يشير إلى ان جلودها شبيهة بجلود النمور، وزوجين من الفيلة، ومجموعة من قرون الثيران مليئة بالزّباد (وهو طيب يخرج من بعض غدد سنّور الزبّاد (civet).[٨١]

ويصف الرحالة بيرنير (Bernier) مغادرة هؤلاء السفراء الذين التقاهم في مكة من العاصمة الأثيوبية كوندر (Gonder) الواقعة في ولاية دومبيا (Dumbia)، حيث غادروا باحتفال رسمي، وتوجهوا بعد شهور قليلة إلى بيلول (Beiloul) على مقربة من مضيق باب المندب، وعند وصولهم إلى مكة، وجد السفراء أسواق مكة تغص بالرقيق، ويباع فيها الأنثى والذكر بأسعار زهيدة، وعقب بيعهم لبضاعتهم

ركبوا شراعاً وتوجهوا إلى ميناء سورات، وقد مات العديد من العبيد في هذه الرحلة وفقدوا الكثير من الخيول، بسبب بعد المسافة وطول الفترة الزمنية، وحتى البغال (mule) الحمير الوحشية ماتت وسلخت جلودها، وبع دوصولهم إلى ميناء سورات بساعات قلائل، فوجئوا بحركة تمرد في بيجابور يقودها الزعيم الهندوسي شيفاجي (Shivaje)[٨٢] ضد المغول، حيث دخل المتمردون مدينة سورات، وقد تعرضت سكنى السفراء إلى الحريق والدمار، وحتى بضائعهم وهداياهم لملك المغول لم تنجُ من الحريق والتف، ولم ينقذوا إلا القليل مما يحملون من متاع، بعض الرقيق، وأوراق اعتمادهم لدى البلاط المغولي (Credentials) ويدعي الهنود أن الزعيم الهندوسي شيفاجي عوضهم عن خسائرهم ومفقوداتهم وجهزهن تجهيزات تليق بمقامهم ليتسنى لهم الذهاب إلى عاصمة الدولة المغولية دلهي.[٨٣]

ويروي لنا الرحالة بيرنير، أن صديقه العزيز المونسيور ادريكان رئيس مصنع الهولنديين في ميناء سورات، أعطى مراد الأرمني رسالة لي، استلمتها مغموراً بالمفاجئة لما رأيته، بعد غياب طال أكثر من ست سنوات، وسارعت إلى تقبيل صديقي الأرمني بحرارة وعواطف جياشة، ووعدته بتقديم خدماتي كاملة له، ووجدت نفسي من الصعوبة بمكان، أن أكون مُعيناً لهؤلاء السفراء المفلسين، وظلت محاولاتي عقيمة (Vain) وغير مجدية لتحقيق ما أرغب في تحقيقه من أجل سعادة أولئك السفراء الأحباش، ويريد بيرنير هنا، أن يظهر نفسه على أنه المنقذ لهذه البعثة السياسية،إذ جعلها متسولة، ولم تلقَ أي نوع من أنواع الرعاية والتقدير، ويذهب إلى أكثر من ذلك، بأنه التقى بوزير الشؤون الخارجية لدولة المغول وهو الأمير دانشمندخان، حيث أسهب معه حول البعثة الأثيوبية إلى بلاط المغول، وما حل بها

من مصائب، حيث نقل هذه الأحداث إلى الملك اورانجزيب، الذي قرر مقابلة هؤلاء رسمياً في قاعة الاجتماعات الملكية، وأخذ منهم الرسائل، هذه الرواية تجعلنا نتشكك بها، فلا أعتقد أن هذا الفرنسي له القدرة على تحقيق هذا الأمر، إذ أنه في موقع آخر يشير إلى أن الإمبراطور اورانجزيب سارع إلى احترام هذه البعثة الأثيوبية، إذ منحهم الكسوة المزركشة والمطرزة (Vest of brocade) ومنطقة حريرية مزركشة، وعمامة حريرية مطرزة هي الأخرى، وأصدر أوامره برعايتهم وا كرامهم والمحافظة عليهم[٨٤]، وهو دليل على أن الدولة المغولية علمت بوصولهم إلى العاصمة الهندية دلهي، بل علموا بها يوم عبرت ميناء سورات التابع لسلطة ونفوذ المغول، إذ لا يعقل أن يسيطر المغول على كافة أقاليم وسواحل الهند الشرقية والغربية، ولا يعرفون بمقدم هذه البعثة القادمة من الحبشة، وا ذا حاول بيرنير أن يوهمنا بما حدث لهم، فلا يمكن بأي حال من الأحوال أن يغيب عن معرفة المغول الذين عرفوا جيداً كيف يتحكمون بحركة الناس والتجارة في سائر أنحاء الهند، ونشرهم لمخبرين ونقلة الأخبار في كل مكان.

وأثناء مقابلة اورانجزيب لسفراء الحبشة، أصدر أمره بالإيذان لهم بمغادرة القصر الملكي، حيث قدم لكل منها عباءة جديدة وخصص لهم هدايا نقدية مقدارها ستة الآف روبية، وهنا يعطينا بيرنير موقفه المضاد والذي يميل فيه إلى العصبية والتميز، حيث أشار إلى أن تلك الأموال لم توزع على السفراء بالتساوي، إذ أعطى السفير المسلم أربعة آلاف، أما مراد الأرمني فألفين روبية فقط لأنه مسيحي.[٨٥]

أما الهدايا والمنح التي قدمها ملك المغول اورانجزيب للبعثة الأثيوبية لترسلها إلى ملكها، فكانت عباءة ملكية مزركشة غالية الثمن وبوقيتين كبيرتين (tow large

(cornets مصـــنوعة مـــن الفضـــة، وطبلـــين مصـــنوعة مـــن الجلـــد ومطعمـــة بالفضـة (kettledrum) وخنجراً مرصعاً بالياقوت (aponiard studded with ruties) وقطعتين كبير تين من فئة الروبية، واحدة من الذهب والأخرى من الفضة تعادل قيمتها عشرون ألف فرنك فرنسي، ويؤكد بيرنير أنه في تلك الفترة الزمنية كان لديه علم بأن مملكة الحبشة ما كانت تعرف النقود المسكوكة، وأدرك أيضاً أن المغول على علم بذلك، وأن مثل تلك القطع النقدية لن تخرج خارج الهند، وسيدفع ذلك بالسفراء إلى الابتياع فيها ما يحتاجونه من السلع والحوائج، وبالفعل، بقيت تلك القطع داخل الهند حيث اشتروا بها حوائجهم من التوابل والملابس القطنية الجيدة، وأربعة قمصان للملك وللملكة، وأربع عباءات كبيرة وبناطيل سراويل صيفية، وأضاف من الأواعي والثياب شروها للعديد من حريم الملك وأولادهن، كما يشير بيرنير أنه تناهى اليه أخباراً حول رغبة الملك اورانجريب لدى سفراء الحبشة في اعلام ملكهم عن تلك الرغبة في اعادة بناء مسجد في الحبشة تعرض للهدم والتدمير على يد البرتغاليين، وقدم ملك الهند اورانجريب الفي روبية مساعدة في اعادة اعمار المسجد [٨٦].

ونلاحظ أن ثمة موقف متشدد ومعارض من قبل بيرنيز الذي بدى عليه السخط والحنق والغضب حينما علم من السفراء، لا سيما السفير الأرمني المسيحي، إنهم قبلوا عرضاً للملك اورانجزيب بحمل نسخة من القرآن الكريم وثمانية كتب دينية أخرى، كتبت وصيغت للدفاع عن عقيدة المسلمين، وهو الذي يقول في رحلته:

"بدا هذا الأمر لي مؤذٍ وفظيع(WICKED)، لا سيما من السفير الأرمني المسيحي، والذي هو يعمل ممثلاً عن ملك الحبشة وباسمه"[٨٧]، وأثناء إقامتهم في

مدينة دلهي، وبعدما لقي السفراء من الحفاوة والتكريم على يد ملك المغول ودولته، دعاهم دانشمندخان وزير الشؤون الخارجية إلى بيته وراح يسألهم عن طبيعة وجغرافية الحبشة، وعن نظام الحكم فيها، وسعى كذلك إلى معرفة مصادر ومنابع نهر النيل العظيم.(٨٨)

يبقى أن نشير في هذه الدراسة إلى بعض الذين تولوا منصب وزير الشؤون الخارجية لدى دولة المغول، والذين كانوا يرافقون البعثات الأجنبية ويستقبلونها كذلك.

١. دانشمند خان، محمد شفيع اليزدي، كان من الأفاضل المشهورين في الهند، دخل الهند عن طريق ميناء سورات سنة ١٠٦٠هـ ١٦٥٠م أيام شاهجهان، ثم ولاه عالمكير مير بخشيكري سنة ١٠٧٨هـ ١٦٥٨م، وقد قرأ عليه عالمكير" أحياء علوم الدين"، كان واسع الاطلاع في العلوم الفلسفية والتاريخ والتمدن، وكان يعرف اللغات المتنوعة،وكثير المطالعة، وكان من ندمائه الدكتور بيرنير الفرنسي، مات سنة ١٠٨١هـ ١٦٧٠م.(٨٩)

٢. الأمير اسماعيل بن ابراهيم الدهلوي، نواب ذو الفقار خان وهو المشهور بنصرت جنك وصمصام الدولة، ولاه عالمكير"مير بخشيكري" ولقبه نصرت جنك".(٩٠)

٣. الشيخ عبد الجليل بن مير أحمد الحسيني البلكرامي، عينه عالمكير على" ميربخشيكري"وكان عالماً بارعاً في المعاني والبيان والبديع والحديث والتفسير والسير والتاريخ، وكان يعرف اللغة العربية والفارسية والتركية

والهندية" السنسكريتية"، وينشىء في كل منها شعراً ، وقد توفي سنة(١١٣٨هـ/ ١٧٢٥م) في مدينة دلهي.(٩١)

ومحصلة هذه الدراسات التي تناولت أحد أبرز العصور الإسلامية المغولية في الهند ممثلاً بالإمبراطور محي الدين محمد اورانجزيب، وذلك من خلال المصادر المتوفرة والتي اهتمت اهتماماً ملحوظاً بظاهرة سياسية مميزة وهي تردد البعثات والوفود السياسية إلى بلاط المغول في مدينة دلهي، نخلص بعد ذلك إلى تبيان الاستنتاجات التالية:

أولاً : دلت البعثاث والسفارات السياسية من مختلف الدول المعاصرة لامبراطورية المغول على المكانة السياسية والاقتصادية التي تتمتع بها هذه الدولة في عصر الملك المغولي اورانجريب، الذي نجح بامكانات دولته الوفيرة من بسط كامل سيطرته وسيادته على كافة الأقاليم الهندية.

ثانياً : أبرزت أهمية وطبيعة العلاقات القائمة بين دلهي في عصر المغول وبين أشراف مكة والمدينة المنورة، وعكست وثوق العلاقات بين الجانبين، كما أوضحت حرص ملوك المغول المسلمين وعلى رأسهم أورانجريب في تعزيز روابط أواصر العلاقة مع الديار المقدسة التي قدم لها دعماً مادياً سنوياً ساهم في رفع سوية الأماكن المقدسة.

ثالثاً : لاحظت من خلال الدراسة أن روابط المغول كانت أكثر وداً وتماسكاً مع الدولة الصفوية في بلاد فارس على غيرها من الدول الإسلامية المعاصرة الأخرى، وهو ما عزز مكانة ومكاسب الدولتين الإسلاميتين في آسيا، ووقفت دون أن تنهار أمام قوة الدولة العثمانية الضاربة والتي سيطرت على مناطق شاسعة من دول العالم الإسلامي .

رابعاً : تبين أن علاقة المغول المسلمين بالدولة العلية العثمانية كانت فاترة جداً ، اذ لم نلاحظ أية اهتمامات من جانب العثمانيين في إرسال السفراء والبعثات السياسية بشكل مرضي ومقبول إلى بلاط المغول في دلهي، الامر الذي يظهر فتوراً واضحاً في العلاقات بين الجانبين.

خامساً : وجدنا رغبة لدى الحكومات الاسلامية في آسيا الوسطى (بلاد ما وراء النهر وتركستان) في ادامة العلاقات مع امبراطورية المغول، وذلك من خلال المحافظة على ارسال البعثات السياسية والسفراء تعبيرات عن ودّهم وقبولهم لامبراطورية المغول في الهند، وكذلك حسماً للخلاف القائم بين دولة الاستراخان في بخارى وبلخ وسمرقند مع دولة المغول في الهند.

سادساً : ما ميز السفارات إلى بلاط المغول، تلك السفارة القادمة من قبل الهولنديين الذين حصلوا على تفويض شرعي من قبل الإمبراطور المغولي اورانجريب في إقامة مصانع ومشاريع تجارية على سواحل الهند الشرقية.

سابعاً : نلاحظ أن كل البعثات السياسية التي وصلت إلى بلاط المغول في دلهي كانت تحمل رسائل من ملوكها إلى ملك المغول، والذي يقوم بدوره بالرد عليها برسائل مماثلة يرسلها مع نفس المبعوثين، أو أحياناً يرسل مبعوثاً خاصاً من بلاطه، كما شاهدنا أن تقديم الهدايا والمنح والأعطيات المميزة وغالية الثمن كانت تقريباً بروتوكولاً رسمياً سعى إلى الحفاظ عليه معظم ملوك المغول.

وأخيراً، كلنا أمل في أن، نكون قد أوضحنا طبيعة العلاقات السياسية بين دول المنطقة ودولة المغول المسلمين في الهند، آملين أن تحظى مناطق جنوب آسيا وآسيا الوسطى بمزيد من الدراسات في العصور الإسلامية والحديثة.

Footnotes

1. M. Athar Ali, Provincial Governments under Aurangzeb, An Analysis, An Article of "Muslims in India, a Miscellany, Edited by, Irfan Habib and Nizami, Lahore, VoL. I, P. 99.

2. Bakhtawar Khan, Mirat –I– Alam, mirat –I–Jahan nama, mentioned in, ELLIOT AND dowson, The history of india as told by its own historians, the muhammadan period, lahore, 1976, vol. V11pp– 163– 165 والدام قطعة نقدية نحاسية ضربت أيام العهود المغولية الإسلامية في الهند، وهي وحدة نقد تم التعامل بها في جمع العوائد والضرائب الماليـــة مـــن كافـــة أقـــاليم الدولـــة، بينمـــا كـــل أربعـــون دامـــاً تعـــادل روبيـــة هنديـــة واحـــدة.

3. Baber, The Babernama, Translated foom the original Turki Text by Annette susannax Bexveridge, (London, 1969), pp– 522– 523.

4. Saqi mustad khan, maathir– I– Al amgiri, Ahistory of the Emperor Aurangzib – Alamgir– (1658– 1707 A.D), translated into English and annotated by, sir dadunath sarkar, (lahore 1981), P. 17.

٥. أحمد زيني دحلان، امراء البلد الحرام، منذ أولهم في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم حتى الشريف الحسين بن علي، المتحدة للنشر، بيروت، ١٩٨١، ص ١٠٤– ١١٠.

٦. مآثر عالمكيري، ص ٨١

٧. مآثر عالمكيري، ص ٣٢

٨. مآثر عالمكيري، ص ٣٢

٩. مآثر عالمكيري، ص ٣٢

10. Bernier, F. Travels in the mogul Empire, AD. 1656– 168, second edition revised by vincent A. smith, first indian edition, (new delhi, 1983), P. 133.

١١.زيني دحلان، امراء البلد الحرام، ص١١٢– ١٢٤.

١٢.المهر ووحدة نقد ضربت أيام المغول.

١٣.مآثر عالمكيري، ص٦٧.

١٤.زيني دحلان، ص١٢٤– ١٢٨.

١٥.مآثر عالمكيري، ص ١٥٤.

١٦.مآثر عالمكيري، ص ١٦٦.

١٧.مآثر عالمكيري، ص ١٧٣– ١٧٤.

18. أحمدوف بوريبوي ومنوروف زاهد الله، العرب والإسلام في أوزبكستان تاريخ آسيا الوسطى من أيام الأسر الحاكمة حتى اليوم مراجعة نعمت الله ابراهيموف، العضو المراسل لأكاديمية العلوم الأوزبكي،(بيروت، ١٩٩٦م) ص ٣٢٤، وللمزيد حول علاقات المغول بآسيا الوسطى راجع، Sarkar, History of Aurangzib, (Karacli, 1981) vol.I, PP– 46– 62.

19. Saksena, B.P, History of shahjahan of Dihli, (All ahabad, 1973), P. 194.

٢٠.العرب والإسلام في اوزبكستان، ص ٣٢٤، saksena, PP. 195– 198 .

21. Saksensa, pp– 204– 207

22. Lane– poole, s, The mohammadan Dynasties, chronological and genealogical Tables with Historical introduetions, (Karachi, 1969)

٢٣.مآثر عالمكيري، ص٢٢

24. حكم بلخ من ١٠٩١هـ/ ١٦٨٠م– ١١١٤هـ/ ١٧٠٢م lane– poole, p.250

٢٥.مآثر عالمكيري، ص ٤١

26. يعني خصص له خمس وسبعون ألف روبية، Hazari= half alakh انظر sarkar, Ashort History of Aurangzib, (calcutta, 1979) P. 400.

٢٧.مآثر عالمكيري، ص ٦٤– ٦٥.

٢٨.مآثر عالمكيري، ص ١١٩.

٢٩.مآثر عالمكيري، ص ١٤٠.

٣٠.مآثر عالمكيري، ١٩٧.

31. مآثر عالمكيري، ص ٢٠٣، الأسرة الاسترخانية (١٠٠٧هـ/ ١٥٩٩م- ١٢٠٠هـ/ ١٧٨٥م) حكمت بخارى وبلخ، بدأت هذه الأسرة بالزعيم باقي محمد خان، وانتهت في عهد أبو الغازي بهادر سنة ١٢٠٠هـ/ ١٧٨٥م، من زعمائها السلطان ولي محمد خان، السلطان امام قولي خان، نادر محمد خان، عبد العزيز خان وسبحان قولي خان، وأبو الفايدخان وغيرهم. lave- pooli, p.250

32. Bernier P. 117

33. Bernier P. 118

34. وهي المدرسة المشهورة بأعمالها الفنية والمعمارية البديعة، وتسمى(بمدرسة" شيرداربنيت سنة shir Dar) ١٦٠١م، ومدرسة شيردار من أهم مدارس سمرقند، كان فيها حوالي ١٢٨عالماً وفقيهاً ومحدثاً ومهندساً ومعمارياً، وهناك مدرسة" تيلاكاري" المكسوة بالذهب بنيت سنة ١٦١٨م، وتحتوي على ٥٦ غرفة صفية، ومدرسة" الغ بيك" وهي من أعظم المدارس في سمرقند، بنيت سنة ١٤٢٠م، أو سنة ١٤٣٢م، على يد تيمورلنك، وهي أصغر من بقية المدارس، إلا أنها تميزت على غيرها من المدارس بتعليمها العلوم الرياضية والفلكية، الأمر الذي ميز مدينة سمر قند علمياً ومعرفياً في القرن الخامس عشر ميلادي Ropotkine, P.A.K, ency. Britanica, 9 th ed. 1886.

35. Bernier, P.119.

36. Bernier, P.120

37. Bernier, P.120

38. Bernier, P.121

39. Al- Badaoni, muntakhab- ut- Tawarikh, Tra. From the original persian by george s.A, Ranking, (Karachi, 1976) vol. I, pp.400- 470.

40. Lane- poole, P. 235

٤١.مآثر عالمكيري، ص ٢١. Bernier, P.146

٤٢. مآثر عالمكيري، ص ٢٢.

٤٣.مآثر عالمكيري، ص ٢٩.

44. Lane- poole, P. 235

٤٥.مآثر عالمكيري، ص ٣٠٥.

46. Bernier, pp- 147- 148 ، الأسرة الصفوية تأسست على يد اسماعيل الصفوي سنة ٩٠٧هـ/ ١٥٠٢م، وانتهى حكم هذه الأسرة الشيعية لايران وأفغانستان في عهد عباس شاه الثالث سنة ١١٤٨هـ/ ١٧٣٦م، ومن أبرز زعماء هذه الأسرة، طهما سب بن اسماعيل (٩٣٠هـ/ ١٥٢٤م- ٩٨٤هـ/ ١٥٧٦م) وشاه عباس الأول(٩٨٥هـ/ ١٦٢٩م- ١٠٧٧هـ/ ١٦٦٧م) وشاه عباس الثاني (١٠٥٢هـ/١٦٢٩- ١٠٧٧هـ/١٦٦٧) Ovin, voyage to surate in the year 1689,(london, 1690) P. 169

47. Benier, P. 149

48. Benier, P. 149

٤٩. يلماز اوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة عدنان محمود سلمان، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، تركيا،(استانبول، ١٩٨٨م) ج١ ص ٥٥٦- ٥٦٢.

٥٠.مآثر عالمكيري، ص ٢٠٣

٥١.تاريخ الدولة العثمانية، ج١ ص ٥٤١- ٥٥٦.

٥٢.مآثر عالمكيري، ص ٢١- ٢٢.

٥٣.مآثر عالمكيري، ص ٥٤- ٥٥.

54. أسست دولة الأئمة في صنعاء سنة(١٠٠٠هـ/ ١٥٩١م) وكانت قبل ذلك في مدينة سعده، مؤسس هذه الدولة هو الإمام قاسم منصور(١٠٠٠هـ/١٥٩١م- ١٠٢٩هـ ١٦٢٠م) وكانت نهاية هذه الأسرة في عهد الأمام مهدي اسماعيل(١١٦٠هـ/١٧٤٧م) ، Lave- poole, P. 94

55. مآثر عالمكيري، ص ٣٢- Bernier, P.133

٥٦.مآثر عالمكيري، ص ٣٢.

٥٧.العرب والإسلام في اوزبكستان، ص ٢٢٤- ٣٠١.

58. Lane- poole, pp. 253- 254.

٥٩.مآثر عالمكيري، ص ٣٣.

٦٠.مآثر عالمكيري، ص ٤٥.

٦١.مآثر عالمكيري، ص ٤٥- ٤٦.

٦٢.مآثر عالمكيري، ص ٤٦.

٦٣.مآثر عالمكيري، ص ٥٠.

٦٤.مآثر عالمكيري، ص ١٤١.

٦٥.مآثر عالمكيري، ص ٢٠٣.

٦٦.Lane – poole, p. 296 مؤسس هذه الأسرة هو سلطان كولي وذلك سنة ٩١٨هـ- ١٥١٢م.

67. Sharma, s.s. mughal empire in India, (Agra, 8th ed, n.d.) pp- 298-301

٦٨.مآثر عالمكيري، ص ٨٩.

69. Bernier, P. 127

70. Bernier, P. 127

71. Bernier, P. 127

72. Bernier, P. 128

73. Bernier, P. 128

74. Bernier, P. 129

٧٥.للمزيد من لمعلومات راجع، عبد الطيب، هجرة الحبشة وما وراءها من نباء، بحث قدم في الندوة العالمية الثالثة لدراسات الجزيرة العربية، سنة ١٩٨٣م، منشورات مجلة" دراسات افريقية" العدد الثامن عشر، دار جامعة افريقيا للنشر والطباعة، الخرطوم، السودان، ١٩٩٨م، ص ٥- ١٤ .

76. The new eneyclopaedia Britainica, An Article of " Ethiopia" 15th ed. 1990, vol. 1V, pp- 579- 582.

٧٧.مآثر عالمكيري، ص ٣٢.

٧٨. مآثر عالمكيري، ص ٣٢.

٧٩.مآثر عالمكيري، ص ٦٧.

80. Bernier, p. 134

81. Bernier, pp. 135- 136

٨٢.شيفاجي، مؤسس دولة المهارتها الهندوسية (Mahartha) في مقاطعة بيجابور الهندية، ولد سنة ١٦٨٠م.

83. Bernier, p. 137

84. Bernier, p. 138

85. Bernier, p. 139

٨٦. Bernier, p. 140 بني هذا المسجد الذي طالب الملك المغولي اورانجريب في اعادة اعماره وبنائه على ضريح (Mausoleum) أحد الدعاة المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة لنشر الدعوة الإسلامية فيها، حيث حقق نجاحاً كبيراً في هذا المضمار، وقد دمر البرتغاليون ذلك المسجد عندما اجتاحوا الحبشة عن طريق ميناء كوا (Goa) الهندي.

87. Bernier, p. 140

88. Bernier, p. 141

٨٩.عبد الحي الحسني الندوي، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد- الركن الهند، ١٣٧٥هـ- ١٩٥٥م، ج٥ ص ٣٧٥- ٣٧٦.

٩٠.نزهة الخواطر، ج٦ ص ٣٢

٩١.نزهة الخواطر، ج٦ ص ١٣٩- ١٤٠.

صورة المدينة الاسلامية في
الهند في عهد اورانجزيب
من خلال رحلة الفرنسي "بيرنير"

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على مدى تطور وازدهار المدينة الإسلامية في جنوب آسيا (الهند) وذلك من خلال دراسة جانب من جوانب الرحلة التي قام بها الرحالة الفرنسي بيرنير (Bernier) إلى امبراطورية المغول المسلمين في الهند في العام ١٦٥٦م وحتى العام ١٦٦٨م، والتي تعتبر واحدة من الرحلات الهامة والفريدة التي تميزت بها بما حملته من معلومات وحقائق تاريخية غزيرة، وهي التي جاءت شاهدة على عصر ظهرت فيه تحولات سياسية واجتماعية وعقائدية متسارعة، وما نبتغيه في دراستنا هذه، الكشف عن العديد من الامور الهامة:-

أولاً :- التعريف بالرحالة الفرنسي بيرنير، ورحلته الشهيرة، "رحلات إلى امبراطورية المغول"، ١٦٥٦م-١٦٦٨م، وهل كانت الرحلة من الاهمية ما جعلها وثيقة تاريخية معاصرة.

ثانياً :- دور اباطرة المغول المسلمين في تطوير المدينة الاسلامية والنهوض بها من جوانب عديدة، وجعلها مدناً منافسة لبقية المدن الاسلامية وغير الاسلامية في ذلك العصر.

ثالثاً :- الرقي والازدهار الذي رافق مسيرة الدولة المغولية السياسية والعسكرية والاقتصادية، الذي انعكس بشكل واضح وكبير على تطور علوم النقش والزخرفة والعمارة والتصميم.

تمهيد:-

لا بد من الاعتراف بداية، أن من أكثر المدن الإسلامية التي لم تشملها دراسات الباحثين العرب في حقل التمدن الإسلامي ودراسة المدينة الإسلامية، تلك المدن العظيمة الواقعة في الهند وافغانستان والكثير من مدن آسيا الوسطى، بينما نجد اهتماماً كبيراً لدى المستشرقين الأوربيين، ونخص منهم بالذكر الفرنسيين الذين طرقوا أبواب دراسة المدينة الإسلامية في عموم البلاد الإسلامية، لا سيما مدينة دلهي واكرا، التي حظيت باهتمام معظم الحكومات والدول الإسلامية التي تعاقبت على حكم الهندبدءاً بالافغان المسلمين وانتهاء ً بدولة المغول، والتي ركزت على جوانب مختلفة من جوانب الحياة في الهند.

ففي الوقت الذي انقطع فيه اهتمام العرب والمسلمين بالرحلات ومعرفة المدن، وذلك في القرن السابع عشر والثامن عشر، نجد هجوماً كبيراً من قبل الرحالة

الأجانب، ممن هم في مستوى رفيع من العلم والمعرفة، يجوبون ديار المسلمين من مشرقة إلى مغربه، يؤرخون ويدونون مشاهداتهم عن مدن المسلمين ومعالمهم الجغرافية، ونعجب للحشد الكبير لهؤلاء الرحالة الأوربيون الذين جاءوا إلى إمبراطورية المغول المسلمين، يدفعهم ذلك حب المعرفة والإطلاع على حقائق تلك الدول ومجتمعاتها والتطورات الحاصلة فيها.

فالهند الإسلامية في عصر دولة المغول المسلمين (١٥٢٦-١٨٥٧م) استقطبت اهتمام ورغبة الكثيرين من الرحالة الأوربيين، الذين تقاطروا عليها من بلاد أوربية مختلفة، فرنسا، إيطاليا، البرتغال، إنكلترا و ألمانيا، تشدهم الرغبة إلى اكتشاف ومعرفة واقع الحياة الإسلامية في الهند و معرفة سلعها ومنتجاتها وأسواقها التجارية، بالإضافة إلى توقهم إلى التقرب من اباطرة المغول للحصول على رعايتهم وعطاياهم الواسعة، وقبل أن نأتي للحديث عن رحلة الرحالة الفرنسي بيرنير، وهي هدف دراستنا وبحثنا، نتوقف عند بعض مشاهير الرحالة الذين وفدوا إلى بلاط الإمبراطورية المغولية:-

أ- الرحالة البرتغالي، أدولف مونسيرات (Adolf Antony Monserrate) صاحب "التعليقات، (The Commentary) "، التي ترجمها من البرتغالية إلى الإنجليزية، المؤرخ هويلاند (Hoyland)، ومعه المؤرخ الهندي بينرجي (Benerji)، حيث نشرت هذه الرحلة في اكسفورد سنة ١٩٢٢م، وكان مونسيرات أول مبعوث برتغالي إلى بلاط الملك جلال الدين اكبر، حيث مكث سفيراً للبرتغال لدى البلاط المغولي من عام ١٥٨٠-١٥٨٢م.[i]

ب- الرحالة الإنجليزي، سير توماس رو (Sir Thomes Roe)، مدون " رحلة إلى الهند في القرن السابع عشر،" Travels in India in the Seventeenth Century "، والتي نشرت في لندن سنة ١٨٧٣م، وتوماس رو، كان سفير الملك

البريطاني جيمس (James)، إلى بلاط الملك المغولي جهانكير، من سنة ١٦١٥م-١٦١٧م[ii].

ج-الرحالة الهولندي، فرانكويس بيلسرت (Francoys Pelsaert)، والتي جاءت عنوان رحلته باسم "هند جهانكير، Jahangir's India "، قام بترجمتها إلى اللغة الانجليزية المؤرخ الانجليزي مورلاند "Moreland "، ونشرها في كامبردج (Cambridge) سنة ١٩٢٥م، وصل إلى الهند سنة ١٦٢٠م كأحد مدراء المصنع الهولندي في مدينة أكرا (Agra) حيث قضى معظم أيامه،ثم عاد إلى هولندا في نهاية عام ١٦٢٧م، واشتهرت رحلته باسم الاحتجاج (Remonstrate) وهي سجل لسبع سنوات في الهند المغولية، وصف فيها دلهي واكرا وكشميرولاهور وبرهانبور.[iii]

د- الرحالة الإيطالي، بيترو ديلا فالي، (Pietra Della Valle) صاحب الرحلة المشهورة باسمه "رحلة بيترو ديلا فالي في بلاد الهند (Pietra Della Valle in India)، ترجمها إلى الإنجليزية هافرز (Havers)وإ دوارد قريه (Gray) سنة ١٨٩٢م، زار مصر والجزيرة العربية وبلاد الشام، ووصل إلى ميناء سورات الهندي سنة ١٦٢٣م، ومكث في الهند حتى سنة ١٦٢٧م، حيث زار معظم الموانئ الهندية الجنوبية.[iv]

هـ- الرحالة الالماني جون البرت فون مانديلسو (Johnn Albert Von Mabdelso) صاحب رحلة (Harris's Travels)، وصل ميناء سورات في الهند سنة ١٦٣٨م، وغادرها سنة ١٦٣٩م بعدما طو ّف في مدن مختلفة من المدن الاسلامية في الهند، كلاهور ودلهي واكرا وكامباي[v].

و-الرحالة الانجليزي، بيتر مندي (Peter Mundy) الذي رحل إلى الهند ووصل ميناء سورات سنة ١٦٢٨م، ثم في سنة ١٦٣٠م، عين في مصنع اكرا (Agra) ومكث فيها ثمان سنوات حتى سنة ١٦٣٦م، واشتهرت رحلته باسم " رحلات بيتر مندي في الهند واوروبا وآسيا (١٦٠٨م-١٦٦٧م) "- " Travels of Peter Mundy in India in Europe and Asia (1608-1667)" -ونشر هذه الرحلة ر.س. تيمبل (R.C Temple) سنة ١٩١٤م[vi].

ز-الرحالةالفرنسي جين تافرنير (Jean-Tavernier)، الذي زار الهند لاول مرة سنة ١٦٤٠م، واستطاع خلال فترة اقامته في الهند من مشاهدة معظم مدنها وارياقها، وغدى صديقاً للرحالة الفرنسي بيرنير (Bernier) ورحل معه إلى اقليم البنغال[vii] ، قام المؤرخ بول (Ball) بترجمة رحلته إلى الانجليزية، حيث جاءت بعنوان "رحلات في الهند" (Travels in India)، واصدرها في لندن سنة ١٨٩٩م[viii].

ح-الرحالة الفر نسي، نيكولا مانوسي (Niccolao Manucci) مؤلف كتاب "تاريخ المغول (Storia du mogor)" في اربعة مجلدات ١٦٥٣-١٧٠٨م، ترجم الكتاب إلى الانجليزية المؤرخ وليام ارفن (William Irvine)، ونشره في لندن سنة ١٩٠٧م[ix]، قضى هذا الرحالة معظم ايام حياته في الهند،ودخل في خدمة الامير دارا شيكوه ابن شاهجهان، وطلب منه الدخول في خدمة اورانجزيب فأبى ثم دخل في خدمة الامير شاه عالم ابن اورانجزيب سنة ١٦٧٨م، وتوفي سنة ١٧١٧م[x].

هؤلاء بعض مشاهير الرحالة الاوروبيين الذين زاروا الهند في عهد امبراطورية المغول المسلمين في القرن السابع عشر، وقد تركوا سجلات حافلة من المعلومات

والوثائق التاريخية حول الاحداث التاريخية التي مرت بها منطقة جنوب اسيا في تلك الفترة، ويجيء بيرنير، وهو الرحالة الذي قصدناه في دراستنا، ليغطي في رحلته " رحلة في امبراطورية المغول " حقبة زمنية هامة وهي جديرة بالبحث والدراسة، حيث كانت مرحلة انتقالية تغير فيها مجرى تاريخ المغول في الهند، اذ انفردت الرحلة بتغطية السنوات ١٦٥٦م وحتى ١٦٦٨م من عهد اورانجزيب ونهاية عهد شاهجهان، وبالاضافة إلى اهمية تلك الرحلات وغيرها، فان رحلة بيرنير تتميز عليها في انها جاءت كسجل تاريخي شاهد عيان على رحلة انتقالية من عهد إلى عهد جديد، حافل بالصراعات والمتغيرات الفكرية والعقائدية والاجتماعية.

التعريف بالرحلة وصاحبها:-

رحلات في امبراطورية المغول في الهند، هي من اعمال الرحالة الفرنسي بيرنير (Bernier)، الذي طاف في انحاء عديدة من المدن الاسلامية في الهند، وذلك من سنة ١٦٥٦م ولغاية سنة ١٦٦٨م، وقبل الحديث عن مضامين الرسالة التي تسعى هذه الدراسة الكشف عنها ودراستها، ينبغي التوقف عند سيرة وحياة هذا الرحالة الخاصة، والحقيقة ان المادة التي استطعنا الحصول عليها حول ذلك، انما وردت في تنقيحات المستشرق الانجليزي فنسنت سمث (Vincnet Smith) على رحلة بيرنير، فالى جانب الاهمية العلمية والتاريخية لتصويباته ونقده وشروحه على الرحلة، فانه اعطانا صورة مضيئة ومتكاملة عن حياة بيرنير، وهو ما اضفى على دراسة سميث فوائد علمية وتاريخية كبيرة، بحيث اعاننا على التعرف عليها، ولولاه، لما امكننا تحقيق هذه الفائدة مطلقاً، ولذلك، فان اغلب مادة التعريف بسيرة الرحالة، انما نوردها وفقاً لمعلومات سميث، والتي تأتي متسلسلة زمنياً .

ولد الرحالة فرانسيس بيرنير (Francois Bernier) في جوه (Joue) في فرنسا، وذلك ما بين (٢٥-٢٦/ ايلول سنة ١٦٢٠م)، لوالدين مزارعين، بدأت رحلاته في شمال المانيا وبولندا وايطاليا وسويسرا ما بين ١٦٤٧م-١٦٥٠م[xi] ، وفي العام ١٦٥٢م اجتاز امتحان "علم وظائف الاعضاء" (Physiology) في جامعة مونتيبلار (Montpellier)، كما اجتاز امتحان الرخصة الطبية، ومنح شهادة الطب، ثم رجع إلى باريس، وفي العام ١٦٥٤م، زار مصر ومكث في القاهرة عاماً كاملاً، وابحر عبر السويس إلى ميناء جدة، ثم ابحر إلى مكة، بعدها ابحر إلى ميناء سورات على شواطئ الهند الغربية، وفي العام ١٦٥٩م وبينما عزم بيرنير على الرحيل عن سورات إلى مدينة اكرا، اجبر على الانضمام إلى جيش الامير دارا شيكوه ابن شاهجهان، ليتخذ منه طبيباً خاصاً، وقدحدث ذلك بالقرب من مدينة احمد آباد[xii].

وصل إلى مدينة دلهي في الاول من شهر تموز سنة ١٦٦٣م، حيث قام بتدوين اول رسالة إلى صديقه (de la Mothe le Vayer) ومكث فيها حتى سنة ١٦٦٤م[xiii]، وفي (٢٥ شباط سنة ١٦٦٥م) انتقل إلى مدينة لاهور، ثم في سنة ١٦٦٦م غادر اقليم البنغال متوجهاً إلى اقليم كولكنده حيث وصلها سنة ١٦٦٧م، وبعدها غادر إلى شيراز في ايران ووصل في العام ١٦٦٨م إلى مدينة تطوان على مقربة من شيراز، ثم وصل إلى ميناء مرسيليا سنة ١٦٦٩م، ثم في سنة ١٦٧٠م، امر ملك فرنسا بطباعة رحلته، وفي سنة ١٦٨٥م، قام بزيارة إلى بريطانيا، واخيراً توفي في مدينة باريس في (٢٢ ايلول سنة ١٦٨٨م)[xiv].

اما رحلة بيرنير، فقد حازت على شهرة عالمية كبيرة، دفعت بالباحثين والمهتمين إلى دراستها وتحليلها ونقدها، لا سيما المؤرخون الهنود، وكل المعنيون بتاريخ المغول المسلمين في شبه القارة الهندية في القرن السابع عشر الميلادي، تقع

الرحلة في اربعمائة وسبع وتسعون صفحة من الحجم المتوسط، مترجمه إلى اللغة الانجليزية، حيث ترجمت على يد المؤرخ الانجليزي ارفن بروك (Irvine Brock)، والتي صدرت طبعتها في كلكتا في جزئين سنة ١٨٦٦م، ثم قام بترجمتها المستشرق ارتشيبالد كونستابل "Archibaled Constable "، ثم جاءت الطبعة الهندية الاولى الحديثة سنة ١٩٨٣م، في نيودلهي ، وهي النسخة التي اصدرها وعلق عليها وقدم لها المستشرق فنسينت سميث (Vincent Smith).

اما الرسالة المعنية بالدراسة والبحث والتي تتحدث عن مدينتي دلهي واكرا، جاءت من بين مجموعة رسائل اخرى اعتاد بيرنير ان يرسلها إلى اصدقائه في باريس (فرنسا)، وهذه الرسالة كان قد بعث بها إلى صديقه المونسيور دي لاموتي ليفير (De La Mothe Le Vayer) حيث كتبها له في مدينة دلهي، في الاول من شهر تموز سنة ١٦٦٣م، اما صديقه ليفير (١٥٨٨م-١٦٧٢م) فهو احد العلماء الفرنسيين المشهورين بغزارة الانتاج العلمي، لا سيما في حقل التاريخ والجغرافيا وعلم الاعراق البشرية (الاثنولوجي (Ethnology)[xv].

واذا كان قد ظهرت دراسات بحثية تاريخية متخصصة تهتم بواقع وطبيعة المدينة المدينة الاسلامية في مناطق مختلفة من العالم الاسلامي، فان الدور الذي لعبته المدينة الاسلامية في الهند، كان بمستوى حضاري راق مزدهر مفعم بالحيوية والنشاط والتطور، وعليه فان هذه الدراسة التي ستتمحور حول احدى رسائل بيرنير المتعلقة بمدينة دلهي واكرا، تملأ فراغاً بحثياً كبيراً حول جوانب الاهتمام بدراسة التمدن الإسلامي في جنوب اسيا، فنجد تلك الدراسة تحتوي على معلومات تاريخية ثرةفي وصفها لمدينتين إسلاميتين مزدهرتين ربما فاقت ازدهاراً وعمارة ونشاطاً تجارياً الكثير من المدن الإسلامية في الشرق والغرب، فالرسالة جاءت لتعزز دور

مدائن المسلمين في شبه القارة الهندية في تطور ونهضة الحضارة الإسلامية، وهما المدينتان التي حظيت برعاية المغول المسلمين واتخذوا منها عواصم لإمبراطوريتهم، كما أن الرسالة حفلت بأوصاف فريدة للبلاط الإمبراطوري المغولي، الذي اعتاد بيرنير على زيارته في المناسبات الرسمية وغير الرسمية، كما قدم صورة مضيئة لنشاط دولة المغول وتطور مؤسساتها السياسية والإدارية، كما أسهب في حديثه عن طبيعة الشعب الهندي بفئاته المختلفة وطبقاته الاجتماعية المتباينة، كالمسلمين والهندوس والسيخ والمسيحيين وغيرهم.

ونجد من الفائدة العلمية الإشارة إلى بعض الرسائل الأخرى التي وردت ضمن رحلة بيرنير، فقد بعث برسالة إلى المونسيور تشبيليان (Monsieur Chapelain) (١٥٩٤-١٦٧٤م) وهو شاعر فرنسي شهير، كتب له هذه الرسالة في مدينة شيراز الإيرانية يوم (٤ تشرين الاول ١٦٦٧م) وتحتوي على عادات وتقاليد الهند ومعتقداتهم الدينية والاجتماعية [xvi]، ورسالة المونسيور دي ميرفيلاس (Monsieur de Mervelles) كتبها له في مدينة دلهي في (١٤ ديسمبر ١٦٦٤م) وتناول فيها زحف الجيش المغولي بقيادة الإمبراطور اورانجزيب باتجاه اقليم كشمير بهدف التنزه والترفيه، وتحدث عند تنظيمات الجيش المغولي واسلحته وتعداده وفئاته المسلحة[xvii]، ورسالة أخرى إلى المونسيور دي ميرفيلاس، كتبها في مدينة لاهور في (٢٥ شباط ١٦٦٥م) يتحدث فيها أيضا عن الجيش المغولي وعن الفيلة والخيول والبغال والجمال والصعاب التي اعترضت مسيرة هذا الجيش[xviii]، ومجموعة من الرسائل الأخرى لصديقه ميرفيلاس، منها ما هو حول تحرك الملك اورانجزيب نحو كشمير، كما يصف مدينة لاهور وهي عاصمة إقليم البنجاب، ومملكة الخمسة انهر[xix]، ورسالة، وهي الرسالة التاسعة، كتبها في كشمير،والتي يعتبرها جنة الهند، والتي اشتملت على مادة تفصيلية حول هذا الاقليم[xx].

محتويات الرسالة:-

الرسالة المعنية بالبحث والدراسة تقع في ستين صفحة، من صفحة ٢٣٩ إلى صفحة ٢٩٩،ولانقصد هنا ترجمة الرسالة، لان الدراسة لا تحتمل مثل ذلك، والذي

نسعى اليه البحث في محتويات الرسالة، وعناصرها الرئيسية ذات العلاقة المباشرة بطبيعة مدينة دلهي واكرا، فوجدنا بعد قراءة الرسالة انها تحتوي على العناصر التالية:-

اولاً :- مقارنة مدينة دلهي واكرا ببقية المدن الاوروبية، باريس لندن وامستردام.

ثانياً :- الحديث عن بناء مدينة دلهي التي شيدت في عصر الملك شاهجهان حيث

سميت باسمه، شاهجهان آباد.

ثالثاً :- وصف قلعة دلهي وما يحيط بها من حدائق، ووصف ما بداخلها من اسواق

ومحلات تجارية وشوارع، وبيوت التجار والمنازل الشعبية، والحرفيون ومبنى العام

والخاص وقصر الحريم، ووصف العرش الملكي، وبعض الاحتفالات الرسمية والعاب

التسلية.

رابعاً :- وصف المسجد الجامع.

خامساً :- الحديث عن التواجد المسيحي والهولندي في دلهي واكرا.

سادساً :- وصف تاج محل في اكرا.

وقبل ان نخوض في بحث ودراسة عناصر ومحتويات الرسالة تلك، ينبغي علينا الوقوف عند افتتاحية بيرنير لرحلته والتي حدد فيها أهدافه ودوافعه منها، فيقول:-

" ان الرغبة التي دفعتني إلى زيارة مصر وفلسطين، ظلت تدفع بي وبرغباتي للتوسع في هذه الرحلة، فشاهدت عن كثب البحر الأحمر بطوله جنوباً وشمالاً، ومكثت في مصر ما لا يقل عن سنة كاملة، وغادرتها إلى ميناء السويس ثم إلى ميناء جدة، والتي تبعد مسافة رحلة نصف يوم عن مكة، ثم تمكنت من الحصول على أذن رسمية من حاكم البحر الأحمر (العثماني)، للسماح لي بدخول مكة، تلك المدينة

المقدسة عند المسلمين، وقد حزت بهذه الأذن على فرصة تاريخية ثمينة جداً ، خاصة لمسيحي مثلي، الذي تحول الشريعة الإسلامية بينه وبين زياراتها، باستثناء العبيد والرقيق، وبعد مضي خمسة أسابيع، رحلت إلى الحجاز ، ووصلت إلى مكة، ثم دفعني الفضول إلى زيارة كوندر (Gondur) عاصمة الحبشة، إلا أن الظروف الصعبة وقفت عائقاً أمام تحقيق تلك الرغبة، إذ أن الكاثوليك لم يكونوا أمناء على الأجانب، بسبب الاضطهاد الذي لحق بهم من البرتغاليين... ثم ركبت البحر بقارب هندي، وأبحرنا عبر مضيق باب المندب، وبعد مضي اثنتان وعشرون ليلة، وصلت إلى ميناء سورات (Surat) في بلاد الهندوستان، ارض إمبراطورية المغول العظماء[xxi].

أولا:- مقارنة مدينتي دلهي وأكرا ببقية المدن الأوروبية المعاصرة، باريس، لندن وامستردام.

نود بادئ ذي بدء الإشارة إلى ان معظم الرحالة الأجانب وغالبيتهم من الأوروبيين، ومنهم الرحالة الفرنسي بيرنير، جاءوا إلى الهند وفي أذهانهم مواقف سلبية مسبقة عن العالم الإسلامي بمدنه ومجتمعه، ويغلب عليها في كثير من الأحيان التعصب الاعمى، والتزمت الذي لا مبرر له على الإطلاق، حتى ان احدهم، وهو الرحالة مانريكو (Manrique) وصف المسلمين في رحلته الى بلاد الهند بانهم برابرة، علماً بانه وفي نفس الوقت، يشيد بدور الدولة المغولية وما أحدثته من تطور في المضمار الاجتماعي و الإداري والاقتصادي والتعليم.

والرحالة بيرنير عندما يعقد مقارنته لدلهي واكرا مع المدن الاوروبية باريس ولندن وامستردام، نجده يحمل افكاراً غير متوازنة يغلب عليه التناقض، فحيناً يؤكد على ازدهار المدينة الاسلامية في الهند، وحيناً آخر يقلل من شأن تلك المدن الاسلامية في حال وضعها للمقارنة مع باريس ولندن، وهو الذي نجده يؤكد على انه غير الصورة المختزنة لديه سابقاً عن مدن المسلمين، ومنها دلهي واكرا، تغيرت مجرد مشاهدته الاولى،وقد جاءت مقارنته في مطلع رسالته التي بعثها إلى صديقه

فـي بـاريس (فـايير Vayer)، واراد الكشـف لـه عـن تطـور هـاتين المـدينتين الاسـلاميتيين، اذ نـوه إلـى انهمـا لا تقـلان جمـالاً وحضـارة وعمـارة واهميـة عن مدينـة بـاريس ولنـدن، ان لـم تفقهمـا جميعـاً فـي العديد مـن جوانـب التقـدم، وقـد اعـرب عـن دهشته واعجابه الكبير بهما، عندما حط برحاله اليهما بعد عناء طويل من السفر الشاق، والصورة السلبية التي اعترف بها بيرنير، انما جاء بها من موطنه الاصلي باريس، وهذا تأكيد على ان الاوروبيين ممن كتبوا وتحدثوا عن المدن الاسلامية، ولم ينصفوا تمدنها وتطورها، وهم الذين اعتبروا ابنية الهند اقل بدرجات من حيث الجمال عمـا تتمتـع بـه مـدن الغـرب عمومـاً، متناسـيين –يقـول بيرنيـر– الفـارق المنـاخي والجغرافي (والثقافي) الذي يلعب الدور الاساسي في احداث ذلك الفارق والاختلاف فـي طبيعـة العمـارة والمنشآت، فـي حين، مـا نجده ونلاحظـه فـي مـدن بـاريس ولنـدن وامستردام، نجده في معظم احياء مدينة دلهي[xxii].

ويعاود بيرنير حديثه عن الجماليات الفنية التي تتمتع به معظم المدن الغربية، عازياً ذلك إلى الظروف المناخية الباردة السائدة في الغرب الاوروبي، تلك الظروف التي تتطلب مواصفات خاصة في العمارة والبناء، ربما تكون افضل من غيرها من المناطق الدافئة، وذلك من اجل الحصول على اجواء دافئة في موسم الشتاء الطويل، بينمـا مدينـة دلهـي، فتقـع فـي مكـان آخـّـاذ، وهـي تتكيـف مـع ظروفهـا المناخيـة الحـارة جداً، اذ ان الحرارة فـي بـلاد الهند مثيـرة وشديدة لا تطـاق، الامـر الـذي دفـع بالملـك والرعيـة إلـى لبس الاحذيـة الخفيفة (البابوش) طوال العام، ويعتمرون العمائم الخفيفة المصنوعة من اجمل واجود انواع الاقمشة، علـى ان الشائع في لباس الهنود، وعند الجميـع، الخفيـف مـن القمـاش، التـي تغلـب عليهـا الالـوان الباهتـة، خصوصـاً الابيض[xxiii].

ونتيجة للاجواء الحارة والتي تستمر في دلهي وغيرها من مدن الهند، اكثر من ستة اشـهر، فـان النـاس اعتـادوا علـى النـوم فـي الطرقـات، ودون اغطيـة، وهؤلاء هم عامـة النـاس، امـا التجـار فينـامون فـي حـدائق منـازلهم الخاصـة، او علـى اسـطح

البيوت، وهنا يعقد بيرنير مقارنة، جاءت لصالح دلهي،ولصالح انتشار الامن وسيادة القانون الذي تمتعت به دولة المغول االمسلمين حيث اشار إلى صديقه:-

" هب ان شوارع جاكويز (Jaques) او شوارع دينيز (Denis) في باريس، وبيوتها

المغلقة، هل بالامكان صلاحية هذه الشوارع للسكن (Habitable) وهل من الممكن

النوم فيهما اثناء الليل ان ذلك سيحدث مشاكل لا حصر لها، بينما الامر في مدينة دلهي مختلف تماماً ، فباستطاعة أي انسان ان ينام وهو آمن مطمئن بكامل راحته، وما عليك، الا ان تغتسل بالماء، وبعدها تخلد إلى النوم مباشرة، مستلقياً على الارض او على السرير "[xxiv].

وعندما تحدث بيرنير عن حدائق شالمار (shalimar) العائدة الى البلاط المغولي، والتي فيها احد منازل الملك الخاصة، اشاد بجمالها وروعتها، وتصميم بنائها الفريد،ومع ذلك،شدّد على انها رغم ذلك، لا تقارن بجمال (Fountainbleau) وسانت جيرمان (Saint German) وفرساي (Versailles)، وانه لا يوجد في دلهي ما يماثل سانت كلاود (Sain cloud) وتشانتلي (Chantilly) وليان كور (Liancour) بل بالغ حينما وصف تلك الحديقة الملكية المغولية، بانها، حتى لا تماثل احد منازل البيوت الخاصة بتجار فرنسا، ولا حتى مواطنيها العاديين[xxv].

ثانياً :-وصف مدينة دلهي التي بناها وشيدها الملك شاهجهان وسميت باسمه:-

يبدو، ونحن نستعرض مشاهدات و اقوال بيرنير، انه غير مطلع على تاريخ مدينة دلهي، ولا هو حاول معرفة ذلك من سكانها، سواء الوزراء الذين كان يلتقي بهم ويصطحبهم، ونخص منهم الوزير دانشمند خان [xxvi]،ولا حتى من العلماء وغيرهم، الامر الذي ابقى على معرفة بيرنير بتاريخ المدينة مجهولاً ومشوشاً ، وهو ما ادى به

إلـى عـدم ايصـال واقـع وحـال المدينـة الاسـلامية إلـى صـديقه،ولا اعطـاء الصـورة الموضوعية عن عاصمة امبراطورية المغول في الهند، وهي المدينة العريقة تاريخياً وحضارياً ، والحقيقة، ان شاهجهان آباد (دلهي) هي آخر المدن الاسلامية واحدثها بنـاء في الهند، وهـي من المـدن التـي مرت بمراحل متعددة من التطـور والنمـاء، فاصبحت مجموعة من المدن في مدينة واحدة، فسماها قطب الدين ايبك سنة (٥٨٨هـ/١١٩٢م)، بقبة الاسلام، وسماها السلطان غياث الدين بلبن بـ " غياث بور " سنة (٦٧٩هـ/١٢٨٠م)، وسماها جلال الدين فيروزشاه الخلجي الافغاني بـ "معز آباد" سنة (٦٨٩هـ/١٢٩٠م)، وسميت بـ " تغلق آباد " زمن السلطان غياث الدين تغلق سنة (٧٥٥هـ/١٣٥٤م)[xxvii].

ولا يعثر على ما يشير إلى ان بيرنير مطلع على تطورات المدينة ومراحل الحكم الاسلامي فيها، بل اكتفى بوصف مدينة دلهي الجديدة والتي اشتهرت في ايامـه بــ " شـاهجهان آبـاد "، والتـي بناهـا الامبراطـور شـاهجهان مـابين سـنة ١٠٤٨هـ/١٦٣٨م- ١٠٦٩هـ/١٦٥٨م[xxviii].

وقد ورد في رحلة بيرنير:-

" جاء موقع بناء هذه المدينة على مقربة من المدينة القديمة، وفيها امر شاهجهان ببناء قصره وبلاطه الملكي، ولم يعد يذكر اسم دلهي، اذ طغى عليه الاسم الجديد (شاهجهان آباد)... فمدينة دلهي مدينة حديثة بكل ما تحمله الكلمة من معنى، تقع على اراض منبسطة، على ضفة نهر جمنا (Gemnu) وهو النهر الشبيه بنهر اللورين (Loire) في فرنسا، بنيت المدينة على ضفة واحدة للنهر، واخذت شكلاً هلالياً مستديراً، يربطها جسر واحد وذلك للعبور اليها، وقد طوقت المدينة باسوار مرتفعة، بنيت من القرميد والآجر... اما تحصينات اسوار المدينة فلم تكتمل بعد،بينما يبلغ طول المدينة حوالي فرسخاً ونصف الفرسخ، في حين لا استطيع ضبط وتحديد محيط المدينة، لكثرة ما يحيط بها من الضواحي المليئة بالحدائق الأخّاذة والساحات العامة"[xxix].

ثالثاً :- وصف قلعة دلهي:-

قلعة دلهي التي بناها الملك المغولي شاهجهان، استغرق بناءها حوالي عشرون عاماً تقريباً، اذ بدأ العمل بها عام ١٠٤٨هـ/١٦٣٨م، وليستمر حتى سنة ١٠٦٩هـ/١٦٥٨م، والقلعة هي التي تشكل اغلبية حدود مدينة دلهي الجديدة (شاهجهان آباد)، وهي من مآثر المغول الخالدة ومن ابداع فن العمارة والبناء الاسلامي على مر العصور، لفتت اهتمام الرحالة بيرنير، وجعلها (أي القلعة) علامة مميزة لمدينة دلهي في عصر امبراطورية المغول، فاعتبرها من المنشآت العظيمة الخالدة في التاريخ، الواقعة على نهر جمنا (Gumna) والتي يفصلها عن النهر كثبان رملية مرتفعة، بطولها وعرضها، وقد اعتاد ملوك المغول ان يعقدوا على هذه الهضاب مصارعة الفيلة الشهيرة[xxx].

ثم ينتقل بيرنير للحديث عن اسوار قلعة دلهي:-

" اما سور القلعة، والذي يحيط به ابراج قديمة، تشبة إلى حد كبير الابراج الموجودة داخل المدينة،الا انها صنعت من الآجر (brick) المصنوعة من الحجارة الحمراء الشبيهة بالرخام، بحيث تعطي منظراً خلاباً جميلاً، والقلعة محمية بخنادق دفاعية عميقة، مملوءة بالمياه، وثمة حديقة واسعة بمحاذاة الخندق، مملوءة بالورود والزهور والرياحين والشجيرات الخضراء، بحيث تعطي منظراً ساحراً على طوال سور القلعة، ثم يأتي بعد الحديقة مباشرة، ميدان ملكي خاص، يقع امام بوابة القلعة، اما خلف القلعة فيقع شارعان يعتبران اهم شوارع المدينة، ونشاهد خيم الامراء والنبلاء قد نصبت في الميدان الملكي، اذ يعقد في هذا الميدان، تدريبات خاصة بالخيول الملكية، حفاظاً على جودتها ولياقتها وقدرتها على القتال، ويقوم قائد الفرسان بفحص الخيول بعناية فائقة، مبدياً حرصه الكبير على فرز انواع الخيول وانتقاء الخيول الجيدة، خاصة الخيول التركية والتترية القادمة من آسيا الوسطى، وتوسم هذه الخيول بوسم الملك (brand) وذلك ليميزها عن بقية الخيول الاخرى"[xxxi].

والواقع ان بيرنير لم يُسمِّ لنا اسماء الحدائق التي كانت تحيط بقلعة دلهي والتي جعلت منها منظراً جميلاً، علماً بان هناك العديد من تلك الحدائق، منها، حديقة قدسية (Kudsia Garden) الواقعة إلى الشمال من قلعة المدينة وهي قبالة بوابة كشمير، وقد بنتها قدسية بيكم والدة الملك احمد شاه المغولي[xxxii]، وحديقة شالمار، والتي تبعد عن القلعة ميلاً واحداً فقط، بناها سنة ١٦٥٣م الملك شاهجهان المغولي[xxxiii]، وعلى بعد نصف ميل تقع حديقة، روشانارا بكيم (Roshanara Begam Garden) والتي بنيت سنة ١٦٥٠م، بامر من الاميرة المغولية، روشانارا بيكم ابنة الامبراطور شاهجهان[xxxiv].

اما محتويات القلعة الداخلية،فتشمل على مرافق ومنشآت معمارية كبيرة وكثيرة، كقصر الحريم و المباني الملكية، وديوان الخاص والعام، والحمام الملكي، وكذلك المساجد الملكية الخاصة، كل هذه المعالم اعجبت الرحالة الفرنسي بيرنير اشد الاعجاب، وقرر انها ولا سيما القصر الملكي والمباني الملكية الخاصة، تشبه إلى حد كبير جمال وروعة قصر اللوفر والاوسكريال (Escurial) في فرنسا، ورأى كذلك ان المباني الملكية الضخمة، والتي تقع داخل القلعة، لا تشبه بفنون ونقوش عمارتها ما في اسبانيا وفرنسا، لكنها جميلة جداً، تتناسب مع طبيعة الظروف المناخية الحارة في الهند[xxxv].

وقد اكد على جماليات المباني الملكية وعمارتها ودقة تصميمها الهندسي، المؤرخ والمستشرق الانجليزي فيركوسن (Fergusson) الذي تخصص في ابحاثه ودراساته حول فنون العمارة المنغولية والهندية،فقد اعتبر القصر الملكي داخل القلعة،من اعظم واميز القصور في الشرق علىالاطلاق، بل ذهب ابعد من ذلك، حينما قرر انه من القصور النادرة في العالم، بل ان قصر الحريم وحده والذي يقع بداخل قلعة دلهي، بحجمه وفخامته ومنشآته الجميلة، يعد وحده اكبر مرتين او ثلاثة مرات من الاسكوريال، والحقيقة، فان قصر المغول الملكي، اكبر من أي قصر في

عموم اوروبا قاطبة[xxxvi]، بينما قرر المؤرخ فانتشاو (Fanshawe) ان طول القصر بلغ ٣٢٠٠ قدم من الشمال إلى الجنوب، ويحيط به مباني النبلاء المبنية من القرميد الاحمر[xxxvii].

ونلاحظ ان بيرنير، واثناء حديثه عن مداخل القلعة وبواباتها، يشير إلى ثلاثة مداخل، الا انه لم يسم هذه البوابات، او حتى لم يستفسر عنها، وذلك رغم اعجابه الشديد بها، والحقيقة ان ابواب القلعة كانت مشهورة باسمائها، فهناك بوابة كشمير وبوابة دلهي وبوابة لاهور[xxxviii]، في حين تنبه بيرنير إلى احد مداخل القلعة، فوجد على مدخلها فيلين منحوتين من الصخور، وضعت بشكل هندسي محكم، بحيث يقع من جهة اليسار، فيل عليه احد زعماء الهندوس الراجبوت، وهو الراجا جايمال (Raja Jaimal) احد راجوات تشيتور (Chitor)، اما النصب الثاني فلشقيقه بولتا (Polta)، وهؤلاء يعتبرون من اهم قادة الهندوس العظام، الذين تميزوا بالشجاعة النادرة، واشتهرت اسمائهم في عصر الملك جلال الدين اكبر، اذ لعبوا دوراً هاماً وجريئاً في معارضة الدولة المغولية، وسعوا إلى القضاء عليها وعلى وجودها في الهند، الا ان الملك اكبر نجح في التخلص منهما وقتلهما، وذلك سنة ١٥٦٨م[xxxix].

ثم يتحدث بيرنير عن مشاهداته داخل القلعة، ويصف الشارع الفضي الطويل، وهو شارع خصص للمشاة فقط، فلا تتحرك فيه الخيول او اية انواع اخرى من الحيوانات، ويحيط بالشارع المباني من جوانبه المختلفة، وهي التي اختيرت للحرفيين داخل القلعة، فهناك الطرازة (embroiders) وصاغة الذهب (Gold Smith) والرسامين والطلائين (varnishers) والنساجين الذين يصنعون الانسجة الحريرية، والاقمشة المقصبة والمطرزة (brocade)، وهناك صنّاع الموسيلين، لصناعة العمائم الجميلة، وصانعو الاحزمة والاطواق المزينة بالورود الذهبية (Girtles with golden flowers) وفي مباني اخرى شاهد النجارين (Joiners) والخراطين (Turners) والخياطين والحذائين (Shoe makers)،على ان جميع هؤلاء

الحرفيون يمارسون نشاطاتهم بشكل يومي، في المباني التي اطلق عليها اسم " كارخانة" وقد نوه بيرنير إلى ان معظم هؤلاء الحرفيين يقومون على تدريب ابنائهم الحرفة التي يعرفون، فالصائغ يأتي ابنه صائغاً ، والنجار يأتي ابنه نجاراً والطراز يأتي ابنه طرازاً ، وهكذا[xl].

ينتصف الشارع قناة مائية طويلة متحركة، تسير حتى تصل إلى قصر الحريم ثم تغور المياه في خندق القلعة، وقد جلبت هذه المياه من نهر جمنا بواسطة قناة مفتوحة تصل مسافتها إلى ستة فراسخ، تمر فوق دلهي، ونحتت هذه القناة على يد عمال مهرة داخل الصخور الحجرية[xli]،وتعد قناة دلهي عملاً معمارياً وهندسياً فريداً ، يشهد على تطور امبراطورية المغول وبراعة علمائها، وقد صمم هذه القناة الأمير على مردان خان القندهاري، وهو أحد المشهورين بالعقل والدهاء والسياسة، كان والياً على قندهار في عصر شاه عباس الصفوي، وولي عليها سنة ١٠٣٤هـ/١٦٢٤م، ومكث فيها حوالي اثني عشرة سنة، وعندما توفي شاه عباس، وقام بالملك حفيده صفي شاه الصفوي، افتتح عهده بالظلم والقمع والتعدي على حقوق الناس، فأضطر علي مردان إلى ترك قندهار واللجوء إلى الهند، فاستقبله شاهجهان في مدينة دلهي سنة ١٠٣٧هـ/١٦٢٧م، وحظي لديه بالمكانة المرموقة إذ كان من الإداريين اللامعين في عهده، تولى بأمر شاهجان، ولاية كشمير وولاية البنجاب وكابل ثم كشمير، ومات فيها سنة ١٠٦٧هـ/١٦٥٧م، وله مآثر معمارية كثيرة في الهند، ولأنه صمم قناة دلهي، فقد سميت باسمة "قناة علي مردان خان"[xlii].

ثم ينتقل بيريز ليتحدث عما شاهده في قلعة دلهي، لاسيما مبنيين عظيمين امتازت بهما قلعة دلهي، وجعلت منها مكاناً ذا أبهه ملكية وفخامة عظيمة، ألا وهما مبنى العام والخاص "الديوان الخاص"، ونلاحظ عدم اهتمام الرحالة الفرنسي في تفصيلات هذين المبنيين، ليكتفي بذكرهما وذكر أهميتها ليس إلا، ومع ذلك نشير إلى أقوال بيريز:-

"إن المبنى الخاص والعام مبنى ضخم وصرح عظيم في غاية الروعة والجمال، وهو عبارة عن باحة ميدانية فسيحة، مبنية من القناطر الكثيرة، بينما هناك جدران خاصة مميزة لكل قنطرة، ويقع فوق مدخل هذا المبنى، ديوان واسع كبير، يميل بفتحته باتجاه البلاط الملكي، ويسمى هذا الديوان، بـ " نكر خانة " "Nagar Khana"، وهي قاعة الطبول والموسيقى، "Kettle-drum Room"[xliii].

لم يعطينا بيرنير، رغم ملاحظاته الهامة، أية تفاصيل حول طبيعة هذا المبنى، مما يجعلنا نعطي بعض التوضيحات حول هذه الأبنية الملكية، فالديوان العام، (Hall of the Public Audience) يقع على مقربة من مدخل البلاط الملكي، ويبلغ عرضة من الشرق إلى الغرب حوالي ٤٢٠ قدم، يحيط به من كافة الجهات العقود والقناطر الجميلة، ويقابل الديوان العام، محل مُسيج بالحجارة القرميدية الحمراء، وثمة مسامير ضخمة زركشت بالطلاء المذهب، وقد سمي هذا السياج بـ" قلال باري (Gula'l Bari)"، الذي خصص للمسؤولين الصغار وحاشية البلاط الملكي (Court Attendants)، أما علية القوم فمكانهم داخل المبنى العام، وعامة الناس خصص لهم مكان يقع خارج منطقة السياج، بحيث تبلغ مساحة المبنى ١٠٠ قدم × ٦٠ قدم، وهو من الأبنية الضخمة الرائعة، وفي المكان المنعزل بالسياج، يقع العرش الطاووسي الملكي[xliv]، وقد لفتت روعة وتصميم العرش انتباه بيرنير، بل وجعلته يقف مندهشاً حائراً أمام هذه الروعة والإبداع المغولي، ويؤكد في رسالته إلى صديقة " أنه لم يرى مثله في حياته"، " Never did I Witness a more extraordinary Scene"، ويقدم لنا وصفاً مفيداً حول العرش المغولي:-

"لقد ظهر الامبراطور المغولي جالساً على العرش الواقع في نهاية ردهة قصر ديوان العام الملكي الفسيح، في ملابس مهيبة فاخرة ورائعة تخلب الالباب، وهي ملابس بيضاء، مرهفة ناعمة مصقولة بالانسجة الحريرية الموردة، بينما ثوبه مزخرفاً ومزركشاً بالخيوط الذهبية النفيسة، وعمامته قد صنعت من القماش المذهب، يحفها ريش الطاووس الخلاب، وكذلك المجوهرات النادرة الحسن والجمال،

ومجوهرات رائعة اخرى، تبدو بهية المنظر، جلية الحسن، فريدة في نوعها، وهي ظاهرة للعيان تعكس بريقاً ولمعاناً ونوراً كأشعة الشمس،... وبدت قلادته اللؤلؤية الضخمة في عنقه، تتدلى حتى منتصف البطن ،...، اما العرش الملكي الذي يجلس عليه الملك، فمدعّم بست ارجل كبيرة وضخمة، وهي التي تسنده إلى الارض لتثبيته، قيل انه مصنوع من الذهب الخالص، بينما المجوهرات بانواعها، كالزمرد والاحجار الكريمة والياقوت والماس تنتشر فوق العرش الملكي ومن حوله، وذلك ما جعلني عاجزاً عن دقة الوصف والملاحظة الواضحة، لا سيما من حيث تقدير قيمته المادية، وذلك بسبب الظروف الامنية المشددة والت حالت بيني وبين الاقتراب منه... لكنني، استطيع ان اؤكد على ان ذلك انغماس بالغ من التبذير والترف، فالعر ش الذي يجلس عليه الملك، ومن خلال خبرتي ومعرفتي بالاشياء، تقدر قيمته باربعين مليون روبية (وذلك ما يعادل في ذلك العصر، ٤,٥٠٠,٠٠٠ جنيه)[xlv]، كما نلاحظ عند اسفل العرش، ان الامراء يجتمعون من حول كرسي الملك، بمظهر باهر مشرق، يجلسون على منصات مسيجة بالفضة غاية في الروعة والاتقان،وهي مغطاة بمظلة رحبة فسيحة تقع فوق سرير الملك، مصنوعة من القماش المقصب والمطرز باحلى واجمل التطاريز (Frings of gold)، ويتدلى من قماش المظلة شراشيب من الذهب، بينما اعمدة المبنى مغطاة بالقماش المقصب كما ان ارضيته ذهبية، وثمة مظلة اخرى مصنوعة من قماش الساتان الحريري المزركش بالذهب والزهور والورود، وتغطي المظلة مساحات واسعة من الجناح الملكي، وهي مثبتة بحبال حريرية حمراء قوية (Red Silken Cords)... اما ارضية العرش الملكي فمغطاة بالسجاد الفاخر الفخم، المصنوع من الحرير الثمين،...، ثم يتحدث بيرنير عن مشاهداته فيقول:- " اما في اليوم الثالث من الاحتفال، فيقوم الملك ويليه الامراء واعيان البلاط بتوزين انفسهم بميزان ضخم، بينما يوضع الملك بكفة، وتملأ الكفة الاخرى ما يساوي وزنه ذهباً "[xlvi].

وثمة ملاحظة اوردها بيرنير، وذلك في معرض حديثه عن العرش الملكي، ان مصمم هذا العرش لديه قدرة فنية عالية جداً من المهارة والابداع والابتكار، الامر الذي جعل بيرنير يحتار كل الحيرة في تقديراته للامور، وهذا ما دفع به إلى الخروج

عن الاعتراف بالحقيقة والواقع، اذ انه عزى بناء هذا العرش الملكي الفريد إلى احد المصممين الفرنسيين، ويكون بذلك قد انكر قدرة المسلمين على انجاز مثل هذا العمل الفريد، بل ويقلل من دورهم الحضاري المميز في مرحلة من مراحل التاريخ الهامة، وننقل هنا النص الانجليزي الذي ورد في كتاب الرحلة[xlvii]:-

"It was constructed by ShahJahan, the father of Aurangzeb …, They were made by a workman of stonishing power, a Frenchman by birth, named … who after defrading several of the princes of Europe, by means of false gems, which he fabricated with peculiar skill, sought refuge in the Great mogol's court, where he made line fortune".

ويعتبر ما قرره الرحالة بيرنير يدخل في باب المبالغة المفرطة، الذي يلغي دور الاخرين في الابداع والابتكار، وينظر اليها من زاوية ضيقة، معتبراً الفرنسيين هم الجنس الوحيد الذي يعلو على غيره من الاجناس، حتى ان المؤرخ الانجليزي سميث (Smith) وهو الذي نقح الرحلة وصححها وعلق على حواشيها، شك في ادعاء بيرنير، واعتبر مجانباً للواقع والحقيقة، حتى وعند قرائتنا لنص الرحلة لا نجد بيرنير نفسه يثبت اسم ذلك الفرنسي الذي ادعى انه صمم العرش وبناه، وربما تأتي ملاحظات الرحالة الفرنسي تافرنير (Tavernier)، مع تحيزه هو الاخر، وذلك في وصفه للعرش المغولي، اكثر دقة وموضوعية، فهو لم يدعي ما ادعاه بيرنير، بل قدّر ابداع وابتكار دولة المغول المسلمين في الهند، ونأخذ مثالاً على دقة وصف تافيرنير للجوهرة التي كان يضعها الملك في مقدمة عمامته، وذلك في الثاني من شهر نوفمبر سنة ١٦٥٥م، اذ يقول:-

" جاءت الجوهرة مصنوعة من ثمان قطع، بحيث يبلغ وزنها ١/٢ ١٥٨ قيراطاً ايطالياً، او ٤/٢٥ ١٥٨قيراطاً انجليزياً، وقد بيعت لعظماء المغول في ميناء جوا (Goa) بثمن مقداره ١٨١,٠٠٠ روبية هندية، أي ما يعادل ٠,٤١٢ ٦٢جنيه "[xlviii].

اما الديوان الملكي الخاص (Royal Audience) فلم يتحدث عنه بيرنير كثيراً، بل الذي نلاحظه، انه اثناء حديثه عن الديوان العام يخلط ذلك بالديوان الخاص ويبدو ان بيرنير وبقية الرحالة الاجانب لم يسمح لهم بدخول الديوان الملكي الخاص، لان فيه منامة الملك واسرته الخاصة، ويعتبر هذا الديوان الملكي من اهم الدواوين الملكية، تبلغ مساحته ١٩٠ قدماً في ١٦٠ قدماً (١٩٠×١٦٠)، اما مساحة الغرفة الخاصة فمساحتها ٩٧×٩٠ قدم، يقابلها مباشرة رصيف من الرخام الابيض، على جوانبها حواجز رخامية تفصل بقية المباني، وذلك على غرار مبنى المحل الخاص (Khas Mahal) الذي بني للملك في قلعة اكرا (Agra) [xlix](٤٩)، ولسنا هنا بصدد الحديث مفصلا عن المبنى الخاص، الا اننا نجد من الضروري الاشارة إلى اهمية الجناح الخاص والذي فيه مرقد الملك ومنامته واسرته (King Private Apartment) والتي كانت تسمى بـ " تسبيح خانه "، ويمر بداخل الغرفة الملكية الخاصة قناة رخامية جميلة تتوسط الغرفة الملكية وبقية الغرف الاخرى التابعة لها، وعلى القناطر العليا للغرف يقع حواجز رخامية من قضبان متصالبة ومتداخلة بعضها مع البعض الاخر، مصنوعة من الرخام والمرمر (Alabaster) المضيء المشع، ثم يقع شمال الغرفة "ميزان العدل "، اما في الجهة الجنوبية، فثمة شرفة رائعة الجمال، فيها فتائل وشموع جميلة، ومن جهة النهر، هناك غرفة بارزة إلى الخارج تسمى "مثمن برج" ، البرج المثمن (Octagonal Tower)، وهو شبيه بالذي بني في قلعة اكرا (Agra) ويقع تحت الغرف الملكية والشرفة المطلة على النهر بوابة تسمى "بوابة الخضر" (Khizri Gate)[l].

كما نسجل مشاهدات بيرنير حول مبنى هام من ابنية المغول في قلعة دلهي، يعرف باسم "الغسل خانة " (Royal Bath)، والذي يقع ضمن حدود الديوان الملكي الخاص، ويعتبر بيرنير، ان هذا المبنى وان كان صغيراً الا انه يتمتع باهمية كبيرة جداً لدى المغول، بحيث لا يسمح بدخوله الا لاعداد قليلة ومن حاشية البلاط الملكي، ويبدو ان الغسل خانة، كان مخصصاً للملك والامراء وكبار رجالات الدولة، وحتى الضيوف من البعثات السياسية والسفراء، الذين سمح لهم باوقات خاصة، وهذا

المبنى –كما يراه بيرنير– تحفة فنية وجمالية رائعة، وذلك لكثرة النقوش والرسومات والزخارف التي تغطي جدران المبنى وسقفه وارضيته، وهي في معظمها مطلية بالذهب، اما موقع الحمام فينتصف المبنى، ويرتفع عن سطح الارض حوالي اربعة اقدام إلى خمسة اقدام، وفي هذا الموقع الملكي الخاص، يجلس الملك على كرسي، ويحيط به الامراء من كل جانب، وخلال ذلك، يتخذ الملك سلسلة من القرارات والتعيينات في المناصب العليا، وكثيراً ما كان يغدق على رجالات الدولة بالمنح والاعطيات والهدايا، كما كان يستقبل التقارير والاخبار الخاصة بالدولة ،ولاسيما من الحكومات الاقليمية، وكثيراً ما كان الملك والامراء يتباحثون بشؤون الدولة الهامة، وقد تعود الملك على الاجتماع بقادة وكبار رجالات الدولة داخل "الغسل خانة" كل يوم مرتين[li].

ويتنقل بيرنير في وصف صرح مغولي هام وهو يقع ايضاً داخل قلعة دلهي، وهو " قصر الحريم" والذي اشتهر ايام المغول " بالمحل" (Mahal)، (Seraglio)، وقبل التعرف على مشاهدات بيرنير، ينبغي التوقف عند "قصر الحريم" لدى المغول، الذين ظهر عليهم ولعهم الكبير في بناء مثل تلك القصور الفارهة في انحاء مختلفة من بلاد الهند، والتي تؤوي اليها الكثير من النساء والمحظيات، وقد اطلق على هذه الاماكن المخصصة للنساء العائدات لامبراطور المغول اسم " محل" (Mahal) وقد سماه المؤرخ ابو الفضل الناكوري، وزير الدولة المغولية في عهد الملك جلال الدين اكبر بـ "شابستان اقبال" او "شابستان خاص"[lii] وفي عصر اكبر عاش اكثر من خمسة آلاف امرأة في قصر الحريم، وقد خصص لهن اماكن منفصلة ومميزة، وتضاعف هذا العدد ايام الامبراطور محي الدين اورانجزيب، ومع ذلك، فان اجنحة تلك النسوة تتميز بروعتها وفخامتها المعمارية، اما قصور الملكات "رقية سلطان بيكم" و "شهزادي خانوم" و "كلزار بيكم" و "مريم مكاني" فكلها كانت تقع في مدينة اكرا (Agra)[liii]، وهناك ثلاثة قصور فخمة لايواء خليلات (عشيقات) اباطرة المغول، وعرفت هذه الاماكن باسماء عديدة، كمحل الاحد، ومحل الثلاثاء، ومحل السبت[liv]، ويرى الرحالة دي لايت (De Laet)ان هناك قصراً خاصاً للنساء اللواتي يجلبن من

الدول الخارجية، وهذا المكان يسمى بـ "بنغالي محل"[lv]، وهناك ثلاثة محال نسوية شيدت في عهد الامبراطور جهانكير في قلعة لاهور، فكان المحل (القصر) الاول يحتوي على ابنية وعنابر مزدوجة، وكل عنبر يحتوي على ثمان غرف للعديد من النساء، اما المحل الثاني، فعبارة عن صرح مربع ضخم مع كافة تجهيزاته، وقد خصص لحوالي مائتي امرأة، اما المحل الثالث، فكان افخمها واشهرها، احتوى على ست عشرة غرفة كبيرة، وساحة رصفت بالبلاط والرخام، وبركة ماء، زينت بالمرايا والصور الفنية الرائعة، ذات النقوش والمطرزات الجميلة، وكانت ابواب جميع الغرف تفتح من الخارج فقط، ولا يمكن فتحها من الداخل[lvi] ، كما ان هناك اجنحة خاصة لابنة الملك شاهجهان، الاميرة جهانارا بيكم، حيث ملئت غرفتها بالزينة والزخرفة والمزركشات والصور الرائعة الجذابة، في حين شيد قصر "بيكم صاحب" بالرخام الابيض الساحر، وصمم له قنوات مائية غاية في الروعة والجمال، كما بنيت النوافير والحدائق الجميلة[lvii].

ومطالعتنا لرسالة بيرنير، يخبرنا باستحالة اعطاء وصف واضح ووافي عن قصر الحريم داخل قلعة دلهي، الامر الذي جعله عاجزاً عن تقديم معلومات تاريخية دقيقة، وسبب ذلك راجع إلى ان الدولة المغولية كانت قد وضعت قوانين صارمة ازاء هذه المباني، تمنع من زيارتها، حتى للمقربين من الملك، ومن باب اولى منع بيرنير، كونه سائح فرنسي ومسيحي، لكنه، حاول جاهداً اعطاء وصف مما سمع من حراس القصر، معتمداً على النقل من واحد إلى آخر، ومع ذلك، يبقى ما جاء به على قدر من الاهمية، اذ يبين لنا جانباً هاماً من جوانب حياة الملوك المغول الاجتماعية والخاصة، وكذلك حرص دولة المغول على عزلة هذه القصور عن الناس، يقول بيرنير:–

"كيف يستطيع سائح مثلي وصف قصر الحريم الملكي وصفاً واضحاً ودقيقاً، لا سيما من الداخل، الا انني كنت اذهب لمشاهدته عن بعد في بعض الاوقات التي كان يغيب فيها الملك خارج مدينة دلهي، وذات مرة، حصل امراً غريباً، اذ سمح لي بالدخول إلى بوابة القصر لمعالجة احدى نساء القصر المريضات، التي

لم يسمح لها بالخروج خارج مبنى القصر ووفقاً للعادات المتبعة فقد اجرى الحرس ما يلزم من التعليمات، اذ غطوا رأسي بقطعة من قماش الشال الكشميري الطويل، والذي اخفى كل جسمي، وساقني احد الخصيان بيده، وكنت اسير كرجل اعمى لا يرى من حوله شيئاً ، وطمأنني ذلك الخصي، ثم اخبرني الخصيان بان داخل القصر مليئاً بالاجنحة الجميلة، وهي منفصلة عن بعضها البعض، وتختلف احجامها من جناح إلى آخر وفقاً للمراتب والمناصب، او حتى لدخل المرأة المالي، ولكل عنبر من عنابر الحريم خزان ماء خاص، يقع على مقربة من باب العنبر، كما ان الحدائق الجميلة تغطي ردهات القصر، حيث صمم بداخلها ممرات ومماشي بين الاشجار الجميلة، وهذه الممرات مضللة بالاشجار، ويحيط بها جداول مياه صغيرة مليئة بالنوافير والمغارات الصناعية (grotto) وشرفات تستخدم للنوم في المساء"[lviii].

وسجل بيرنير مشاهداته لقصر الحريم المغولي، من ذلك، ما كانت تعقده نساء القصر من مهرجانات واسواق تعتبر بمثابة الاعياد والنزه بالنسبة للمغول، فقد اقامت نساء قصر الحريم، وهن من الحسان الجميلات، ومعظمهن زوجات الامراء والرتب العالية في الدولة، معرضاً لبيع البضائع المختلفة، لاسيما الاقمشة النادرة المطرزة والمزركشة، وكذلك العمائم المصنوعة من افخر انواع الاقمشة النادرة المطرزة بالذهب، ويعرض ايضاً قماش نسائي فاخر مصنوع من الموسيلين، بينما يقوم على عرض وبيع هذه البضائع الثمينة، سيدات فاتنات وساحرات، في حين يقوم الملك والملكات والاميرات بشراء ما هو معروض من البضائع، حتى ان الملك كان ملفتاً للانتباه في مساوماته على الاسعار[lix].

كما قرر بيرنير ان الملك المغولي شاهجهان كان مغرماً بالنساء والجنس، وهو الذي حرص على اقامة المهرجانات داخل قصر الحريم المغولي بشكل مثير، الامر الذي احدث قلقاً واحراجاً للامراء، اذ انه كان كثيراً ما ينتهك القيود المفروضة ويتجاوز الحشمة المتعارف عليها في قصر الحريم الملكي، اذ كان يدعو الراقصات والمطربات والمغنيات إلى احياء مثل هذه الاحتفالات وقد احتفظ بهن من اجل هذا الغرض، علماً بان الراقصات لم يكن من البغايا، بل نساء خاصات ومن طبقات

اجتماعية معتبرة في المجتمع، ويكثر حضورهن في مناسبات زواج الامراء، واصحاب المناصب العليا في الدولة، في الوقت الذي كانت فيه اولئك النسوة من الجميلات اللواتي يرتدين ملابس ساحرة وفاتنة وجميلة، وشاهجهان كان مغرماً بهذا المهرجان الذي اطلق عليه اسم (Kenchens)، بينما اتخذ الملك اورانجزيب قرارات ثراكتشدداً وورعاً من والده، فحر ّم مثل هذه الافعال، ومنع اقامة المهرجان داخل قصر الحريم، ومع ذلك، ظلت هذه النسوة تأتي كل يوم اربعاء للسلام على الملك اورانجزيب، وذلك في مبنى الديوان الملكي الخاص داخل قلعة دلهي[lx].

رابعاً :- وصف المسجد الجامع في دلهي:-

قراءتنا لنص الرسالة التي وردت في رحلة بيرنير، تطلعنا فقط على مسجد واحد، وهو المسجد الجامع في دلهي، بينما هناك العديد من المساجد المتناثرة في المدينة، والتي بنيت في حقب تاريخية مختلفة، ورغم اهميتها التاريخية والمعمارية، الا ان بيرنير غض الطرف في الحديث عنها، ولا ندري ما الذي دفع به إلى ذلك، علماً بان الفترة التي تواجد فيها بيرنير في مدينة دلهي، تؤشر على مجموعة من المساجد الهامة، نشير إلى بعضها نظراً للفائدة العلمية، منها، مسجد قبة الاسلام، وهو اول مسجد بني في مدينة دلهي على يد السلطان قطب الدين ايبك وذلك سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م، وتمت توسعة المسجد في عهد السلطان شمس الدين التتمش سنة ٦٢٨هـ/١٢٣٠م[lxi]، ومسجد موتي، وهو المسجد اللؤلؤي، وهو من اروع المساجد التي بنيت في مدينة دلهي، واكثرها دقة وروعة هندسية، بني ايام الملك عالمكير (اورانجزيب) سنة ١٠٧٠هـ/١٦٥٩م[lxii]، ومسجد فاتحبور، ويعرف بـ "زينة المساجد"/ بني سنة ١٠٦٠هـ/١٦٥٠م، بأمر من الملكة نواب فاتحبور بيكم زوجة الامبراطور شاهجهان[lxiii]، وثمة مساجد عديدة لا داعي لذكرها هنا.

اما المسجد الجامع الذي خصه بيرنير بالوصف، فيقع خارج قلعة دلهي، وهو من المساجد المميزة التي شيدت في عصر دولة المغول المسلمين، ويعتبر معلم معماري شاهد على تطور فن العمارة والهندسة الاسلامية لدى المسلمين في الهند،

والمسجد يقع على مقربة من القلعة، من جهة الشمال الغر بي، بنته الابنة الكبرى لشاهجهان وهي الملكة جهانارا بيكم، وتم الانتهاء من بنائه سنة ١٦٤٨م، بعد خمس سنوات متواصلة من العمل [lxiv]، ونلاحظ ان حديث بيرنير قد انحصر في هذا المسجد فقط، اذ يقول:-

" يقع المسجد الجامع على صخرة كبيرة مربعة وسط مدينة دلهي، ويحيط به اربعة شوارع كبيرة، الشارع الاول يقابل المدخل الرئيسي للمسجد، ويقع الشارع الثاني خلف مبنى المسجد، بينما الشوارع الاخرى، فتقع على بوابات جانبية جميلة، وصعوداً إلى البوابات الثلاث، فينبغي تخطي ثلاثون درجة مصممة من الحجارة الكبيرة الجميلة، والتي تغطي طول وعرض الدر جة، اما الجانب الخلفي من المسجد، فمغطى بالحجارة المنحوتة على اشكال هندسية رائعة، والمداخل مرصوفة بالرخام الجميل. وقد صنعت الابواب من الخشب المغطى بالنحاس المزركش الجميل، بحيث يقع فوق تلك البوابات الرئيسية الثلاث، ابراج مصنوعة من الرخام الابيض، والتي تعكس هظراً جذاباً ، ويقع خلف المسجد ثلاث قباب كبيرة صنعت من الرخام الابيض الناصع، اما القبة الوسطى فهي اضخم من القباب الاخرى واكثرهن روعة وجمالاً، وباستثناء القباب والابراج التي صنعت من الرخام الابيض، فان المسجد جميعه صنع من الحجارة الحمراء والرخام الاحمر [lxv]، وقد اعتاد الملك المغولي على الذهاب إلى المسجد كل يوم جمعة، بهدف الصلاة جماعة، وهو اليوم المقدس عند المسلمين والذي يعادل بقدسيته يوم الاحد عند المسيحيين، في حين كان الشارع المؤدي من البلاط إلى المسجد يرش بالماء، وذلك للتخلص من الغبار والاوساخ، وتخفيف حرارة الشارع، كما ينتشر على جنبات الشارع جنود مسلحين، وذلك بدءاً من بوابة القلعة ووصولاً إلى مدخل المسجد، بينما هناك ستة خيول يمتطيها الفرسان والتي تقف على اهبة الاستعداد انتظاراً لخروج الموكب الملكي، ومهمتها فتح الطريق امام عبور الملك الشارع، فيما الملك يمتطي فيلاً ضخماً ، يسير به من القلعة إلى المسجد، وقد صمم على ظهر الفيل هودج جميل ورائع، تظلله مظلة مدعمة بدعائم مذهبة، طعمت بالازور (Azure)، ويقوم على حملها ثمانية من رجالات الحرس الأقوياء، كما يرافق الملك مجموعة من الامراء، بعضهم يركب

الخيول وبعضهم يركب عربات، ويتوسط الامراء اعداد غفيرة من ذوي الرتب والمناصب العليا في الدولة، كما يظهر حملة الصولجانات الفضية[lxvi].

وقد كشف الرحالة الفرنسي تافرنير (Tavernier) عن بعض التفصيلات التي رافقت الملك الى المسجد الجامع، وآثرنا تثبيتها هنا، مزيداً للفائدة:-

" يصحب الملك في العادة ثمانية من الفيلة، اربعة للحراسة،واربعة وضع عليها الهوادج، واحداً منها مخصص للملك، بينما يرافق الموكب ٥٠٠-٦٠٠ من الرماحين (Pikemen) و ٣٠٠-٤٠٠ يحملون الفتائل البارودية (البنادق)، اما اذا ركب الملك خيلاً، كان على النبلاء السير على اقدامهم، اما اذا ركب فيلاً ، فعليهم ركوب الخيول"[lxvii].

كما اشار إلى خطبة امام المسجد الجامع يوم الجمعة وذلك في حضرة الامبراطور المغولي:يا" الهي، اعز الاسلام وشر ّ فه، واعز شيوخ الاسلام بقوة ابدية (Perpetual)، كما واعز عبدك السلطان، ابن السلطان، وابن الخاقان، حاكم القارتين، وسيد البحرين، الفاتح الغازي المجاهد، الامبراطور ابو المظفر شهاب الدين محمد شاهجهان الغازي، ادام الله عزه وملكه، اللهم احفظه واحفظ عساكره، وكن له عوناً وعضداً، وامنحه القوة لقمع المردة والمنافقين، اللهم احفظ بلادنا، وانشر الاسلام في ربوع مدننا الاسلامية، وادم عليها نعمة الامن والصحة والعافية، واحفظ عبيدك وحجاج بيت الله الحرام، والمجاهدين، واحفظ كافة المسلمين في البر والبحر"[lxviii].

و سجل بيرنير العديد من المشاهدات في مدينة دلهي، من ذلك، موقع اومبنى "كروان سراي" (Karawan Sarai)، وهو مخصص للاميرات المغوليات، ويسمى ايضاً بـ "بيكم سراي" (Begum Serai)، حيث اخذ هذه التسمية من اسم ابنة الملك شاهجهان الكبرى، الاميرة بيكم صاحب، والتي امرت ببنائه، ويتكون هذا المبنى من مربع كبير مليء بالعقود والقناطر، والحجرات الصغيرة المتعددة الاشكال، والتي يحيط بها اروقة كثيرة على طول المبنى، لتشكل حجرات جميلة، ويعتبر هذا المبنى من الاماكن التي غلب عليها، ملتقى العشاق، من الامراء والاثرياء من الفرس

والاوزبك، وبعض الاثرياء والتجار الاجانب، بينما كان المكان يغلق في ساعات الليل[lxix].

وحاول بيرنير اثناء حديثة عن سكان مدينة دلهي، ان يقارنها مع مدينة باريس، الا انه يجعل من باريس زهرة مدائن الدنيا، والتي وصفها بانها مليئة بالناس والعمارات والابنية والشوارع والمحال التجارية، ويؤكد في نفس الوقت ان سكان مدينة دلهي، يتساوون، على وجه التقريب، مع سكان باريس، ونجده يقرر بان المدينة تحتوي على ما لا يقل عن خمس وثلاثون الف مجموعة بشرية، يضاف اليها، النساء والاطفال والخدم والحشم[lxx]، ثم يتحدث عن بعض المهرجانات التي شاهدها على مقربة من قلعة دلهي، والتي تشتمل على عروض مثيرة للمشاهدين، والتي لا يوجد لها مثيلاً في عموم دول الغرب الاوروبي، ذلك المهرجان هو مصارعة الفيلة، والذي يقام في تواجد معظم فئات الناس، وعلى ارض رملية قريبة من نهر جمنا، بينما يشاهد الملك والملكات والاميرات ورجالات الدولة تلك المصارعة منذ لحظاتها الاولى وحتى نهايتها، من اماكن مختلفة من ابراج القلعة بحيث تتقابل الفيلة وجهاً لوجه، على مقربة من الجدار الترابي الذي يرتفع ستة اقدام، في الوقت الذي يمتطي الفيل الواحد راكبين، يتحكمان بحركة الفيل، بينما سائس الفيل يحمل بيده قضيباً من الحديد على شكل خطافة (عقفة)، وفي حال سقوط هذا القائد، يستعاض عنه بآخر، ويقوم ركاب الفيلة بتشجيعها على المصارعة والقتال من خلال اطلاق اصوات يسمعها الفيلة، والمفاجأة والصدمة المروعة، انه لا يتم معالجة من يسقط عن ظهر الفيل، حتى وان كان مضرجاً بالدماء، كما لاحظنا توقف متكرر للمصارعة، لاراحة الفيلة، وقد ضمنت الدولة حقوقاً مالية لمن يقتل اثناء المصارعة[lxxi].

خامساً :-المسيحيون والهولنديون في دلهي و اكرا:-

بدى بيرنير حريصاً كل الحرص على معرفة التواجد المسيحي في دولة المغول المسلمين في الهند، الامر الذي يجعلنا نميل الى ان الرحالة الفرنسي كان بدون ادنى شك من الفرنسيين المتدينين، والذي يرغب في نشر العقيدة المسيحية في

بلاد الهند، وان هو لم يظهر عليه سمات التعصب الديني بشكل لافت للنظر، الا انه كرس الكثير من الجهد للوصول إلى معرفة حقيقة التواجد المسيحي في المنطقة، كما كان تواقاً لمعرفة موقف اباطرة المغول منهم، وعند معالجتنا لرسالته التي بعث بها إلى صديقه والتي جاءت في كتاب الرحلة، نجده يخوض في روايات كثيرة جداً حول المسيحيين في الهند، والتي يغلب عليها طابع المبالغة والخرافة في كثير من الاحيان وندعه يتحدث عن المسيحيين في دلهي واكرا وبعض المدن الاسلامية الهندية الاخرى:-

" في مدينة دلهي هناك كنيسة لليسوعيين المسيحيين، والتي سميت بالكلية، حيث بنيت تقديراً لعقيدتنا، بينما المسيحيون فيها لا يزيدون عن ثلاثون عائلة فقط، وقد تم استدعاء هؤلاء اليسوعيين من قبل الملك جلال الدين اكبر، وذلك عندما كان للبرتغاليين نشاط تجاري ملموس على شواطئ الهند، ولم يشملهم الملك اكبر برعايته المالية للمحافظة على مصالحهم فحسب، بل اصدر او امره ببناء كنائس لهم في مدينة اكرا ومدينة لاهور، كما حظي النصارى برعايته الدافئة، ورعاية الملك جهانكير ايضاً، الا انهم اضطهدوا في عصر الملك شاهجهان، الذي حرمهم من كثير من امتيازاتهم السابقة، ودعى إلى تحطيم كنيسة لاهور، والتي حطمت بالفعل، كما حطم اجزاء كبير ة من كنيسة مدينة اكرا (Agra)[lxxii].

ومما هو ملفت للانتباه، ان بيرنير، راح يكيل المدائح والثناءات على ملك المغول جهانكير، الذي جعله من افضل اباطرة المغول المسلمين في الهند على الاطلاق، واكثرهم تسامحاً مع المسيحيين، ويشير ايضاً إلى ان الرهبان والقسس كانوا متعطشين في عهده نحو تطور الكنيسة وازدهارها في بلاد الهند، وحاول بيرنير التأكيد على ان الملك جهانكير اظهر بكل جلاء ووضوح احتقاره بقوانين القرآن وتعاليم الاسلام، في حين ابدى اعجابه بالقوانين والتشريعات المسيحية، بل ذهب إلى اكثر من ذلك، حينما سمح لاثنين من ابناء شقيقاته باعتناق المسيحية، وقد تحدث اليسوعيون بان الملك جهانكير قرر تحديد سياسة جديدة للدولة تقوم على تشجيع انتشار التعاليم المسيحية في البلاد، وقرر ايضاً، تزيين البلاط الملكي وحاشية البلاط

الملكـي بـالملابس ذات الـنمط الاوروبـي، بـل انــه كـان يتمنــى، كمـا ادعــى ذلــك اليسوعيين، ان يموت على الديانة المسيحية وهو على فراش الموت[lxxiii].

وربما يكون ما استخلصه بيرنير حول التحولات العقائدية والفكرية عند ملك المغول جهانكير صحيحاً، اذ انه تأثر كثيراً بسياسة ابيه الدينية، والتي كانت سياسة توفيقية بين كل الاديان، ولذلك خضع لمؤثراته منذ ريعان شبابه، وذلك ان الملك اكبر احضر لابنه سليم (جهانكير) مدرسين يسوعيين جاءوا إلى البلاط الملكي، حتى انه في سنة ١٥٩٠م، كان الكاردنال اليوناني ليو جريمون (Leo Grimon) يعتقد بان الامير سليم قد اعتنق الديانة المسيحية[lxxiv].

اما الهولنديون، فقد اكد بيرنير، على انهم يتواجدون في مدينة اكرا، حيث كان لهم مصنعاً يشرفون عليه، وهم لا يزيدون على خمسة اشخاص، يقومون على حمل البضائع التجارية من مدينة اكرا، ثم يشحنونها عن طريق السفن إلى الموانئ وارسالها إلى اوروبا، وكانت هذه البضائع تحتوي على الملابس والزجاج وصمغ اللك، والذهب والفضة والاواني الحديدية، كما كانوا يشترون النيلة، التي يجنى محصولها من مدينة بيانة (Bianes) على مقربة من مدينة اكرا، ولذلك كان لهم فيها مساكن خاصة لجمع المحصول كل عام، وكذلك كان الهولنديون يشترون بضائع وسلع مختلفة من مناطق جيلابور (Jelapur) وهي على مسافة سبعة ايام من مدينة اكرا، وكان لهم فيها مساكن خاصة[lxxv].

سادساً :-وصف تاج محل " Taj Mahal ":-

الواقع وعند قراءتنا لرسالة بيرنير، نجده يستغرق في وصف معالم مدينة دلهي، والرسالة التي عدد صفحاتها قرابة ستون صفحة، لا نجد فيها الا القليل عن وصف مدينة اكرا، ليكتفي بيرنير بوصف ما له علاقة بهذه المدينة العظيمة، في الاثر المعماري الفريد الشهير بتاج محل، علماً بانه اخذ على نفسه في نهاية رسالته، ان يتحدث عن ضريح الملك جلال الدين اكبر ايضاً، الا انه لم يفي بوعده، وكذلك

لم يتحدث عن قلعة المدينة الضخمة والتي تسمى بالقلعة الحمراء (Red Fort) ولا عن مساجدها الكثيرة، ولا عن حدائقها ومعالمها الحضارية البارزة.

اما تاج محل الذي انبهر به بيرنير، فقد افرد له حديثاً طويلاً، ليتحدث عن مشاهدات كثيرة لهذا الصرح الخالد، ورغم ذلك الا ان وصفه لتاج محل ظل لم يظهر لديه بمظاهره الهندسية الفائقة، لا سيما من داخل القصر، والسبب في ذلك، ما اطلعنا عليه بيرنير نفسه، وهو ان دولة المغول المسلمين لا تسمح لاحد من غير المسلمبن في دخول القصر اطلاقاً، اذ كان بمثابة المكان المقدس الذي لا يجوز فيه الزيارة الا للمسلمين وذلك لقراءة الفاتحة وبعض آيات القرآن الكريم، للترحم على الملكة ارجمند والملك شاهجهان، لذلك لم يتمكن بيرنير ولا غيره من الرحالة من وصف التاج وصفاً شاملاً ودقيقاً .

يقول بيرنير (Bernier):-

" عندما نخرج من مدينة اكرا متوجهين جهة الشرق، ندخل في شارع طويل وعريض، والذي يحيط به سور طويل وعريض ايضاً ، والذي يشكل احد واجهات مربع الحديقة، وهو باتساع كبير يزيد على سعة القصر الملكي في باريس، وعلى الجانب الاخر، تمتلئ البيوت وتنتشر المساكن الجيدة المعمولة على شكل عقود وقناطر، الشبيهة إلى حد كبير بتلك الموجودة في مدينة دلهي، وبعد قطع الشارع نعثر في الجهة اليمنى على بوابة كبيرة، بنيت باحكام،وهي جميلة جداً ، وهي كروان سراي (Karwan Sarai)، كما يقع مقابل السور بوابة اخرى رائعة البناء وجميلة الاعمدة، والتي تشكل مدخلاً باتجاه الحديقة[lxxvi] ، وعند الدخول إلى باحة السرادق نقترب من حديقة تاج محل، ثم نجد انفسنا تحت قبة بالغة الجمال (Lofty Cupola)، يحيط بها من الاعلى اروقة وشرفات خارجية، بحيث يقع فيها ديوانين، إلى يمين وشمال القبة، وكلاهما يرتفعان عن الارض حوالي ٨-١٠ اقدام، يقابل المدخل من جهة الطريق قنطرة كبيرة مفتوحة بحيث تنقسم

الحديقة إلى قسمين طويلين ومتوازيين، بينما الممر من الاتساع بحيث يستوعب ست حافلات، وهو طريق مرصوف باحكام بالحجارة المربعة الكبيرة، ويشطر هذا الممر قنوات مائية صممت من الصخور المنحوتة بعناية فائقة، وزينت وزخرفت بنوافير مياه جاءت من مواقع مختلفة من اراض منخفضة بمحاذاة القنوات المائية الرئيسية، وعلى جنبات السرادق، وعلى طول سور الحديقة، ثمة رواق واسع وطويل، يحيط به اعمدة مصفوفة صفاً هندسياً رائعاً ، وكان يسمح للفقراء بالدخول إلى ساحة هذا الرواق ثلاث مرات في الاسبوع، خاصة في موسم الامطار، وذلك للحصول على منح واعطيات الملك المغولي"[lxxvii].

ثم يشير بيرنير إلى القبة الكبيرة المصنوعة من الرخام الابيض، والتي تواجه الحديقة، وهي التي يتشكل منها تاج محل (Taj Mahal)، وثمة اربعة منارات كبيرة تحيط بالتاج، كما يشاهد على المبنى النقوش الجميلة والتي ملئت بالآيات القرآنية باشكال هندسية جذابة، ويقع تحت القبة الكبيرة حجرة صغيرة حيث ترقد بداخلها الملكة ممتاز محل، وتفتح الحجرة مرة واحدة في السنة، ولان دولة المغول لا تسمح لدخول غير المسلمين الحجرة، ومشاهدة الضريح، فلم يستطيع بيرنير مشاهدته والحديث عنه[lxxviii].

وثمة مشاهدات اخرى للرحالة الانجليزي بيتر مندي (Petter Mandy) الذي مكث في مدينة اكرا من عام ١٦٣١م وحتى سنة ١٦٣٢م[lxxix]، وهي نفسها التي وردت عند بيرنير، وكذلك الرحالة الفرنسي تافرنير (tavernier) الذي سكن اكرا سنة ١٦٤١م، وحتى سنة ١٦٦٥م، سجل نفس الانطباعات[lxxx] التي سجلها السابقين، والرحالة مانوسي الفرنسي (Niccolai Manucci) الذي وضع نفس المشاهدات سنة ١٦٥٨م[lxxxi].

وعند مراجعتنا للمصادر التاريخية نجد حصول نقص كبير وواضح في المعلومات التي وردت عند بيرنير حول تاج محل، فلا هو تحدث عن تاريخ انشائه والظروف التي دعت إلى ذلك، ولا حاول الحديث عن المواد التي صمم منها التاج، وعليه، فان تاج محل، من المباني التي تستحق الدراسة وتستحق المشاهدة كذلك، فهو من المباني المعمارية والاثار الاسلامية التي خلدها التاريخ، والذي تظهر فيه ملامح وتطور فنون العمارة والهندسة والابداع، عند دولة المغول المسلمين في الهند، كان للتاج عدة مسميات، حيث اطلق عليه المسلمين اسم "الروضة المنورة"، وسموه "روضة ممتاز محل"، واشتهر فيما بعد باسم "تاج محل"[lxxxii] ، بناه ملك المغول شاهجهان بن جهانكير تخليداً لذكرى معشوقته وزوجته ارجمند بانوبيكم ابنة آصف خان الايراني، رئيس وزراء دولة المغول في عهده، وزوجته كانت بديعة الحسن وآية في الجمال، ولدت له اربعة ابناء وثلاث بنات، منهم الملك عالمكير "اورانجزيب"، كانت وفاتها في مدينة برهانبور سنة ١٠٤٠هـ/١٦٣٠م، ولها تسع وثلاثون سنة، ودفنت في بلدة زين آباد، ثم نقلوا جسدها بعد ستة اشهر إلى مدينة اكبر آباد (اكرا)، حيث بني على قبرها تلك العمارة البديعة المتقنة البناء، والتي قل نظيرها في مدن الاسلام بل ومدن العالم، والتي تعتبر درة يتيمه في المباني والقصور[lxxxiii] ، حتى اعتبره علماء الاثار والعمارة والفن من اكثر المباني روعة وجمالاً واتقاناً في العالم، وجعلوه من اعجوبات الدنيا[lxxxiv]، وقد استغرق العمل في عمارة تاج محل اكثر من عشرين سنة ، بُدء العمل به سنة ١٦٣٢م، وانتهى سنة ١٦٤٣م، الا ان العمل في المنشآت الخارجية للتاج لم تكتمل حتى سنة ١٦٥٣م[lxxxv].

ويشير الباحث الهندي ر.ناثا (R.Nath) إلى ان الملك شاهجهان اصدر خمسة فرمانات لغرض بناء تاج محل، ثلاثة منها موجودة في ارشيف بيكانير (Bikaner) وهي نسخ اصلية، والفرمانات الاخرى فهي من ضمن مقتنيات المهراجا في جايبور (Jaipur)[lxxxvi]، على ان هذه الفرمانات جميعها طالبت الامير الراجبوتي ميرزا راجا جايسنك (Mirza Raja Chaisingh) في توفير المهندسين والحرفيين والعمال، بالاضافة إلى مواد البناء، ونزولا عند رغبة الملك واوامره، بادر الامير

الهندوسي إلى الشروع بالعمل، وقد وضعت دولة المغول الاموال الطائلة تحت تصرفه، فبادر إلى جمع الرخام الابيض من اقليم مكرانا في راجستان، والرخام الاصفر من اواسط الهند، والكرستال احضره من الصين، وحجر اللازورد (LapisLazuli) وهو حجر سماوي الزرقة، جلب من سيريلانكا واحجار كريمة من نوع اليشب ذا لون اخضر (Jasper) جلبت من البنجاب، والعقيق (Onyx) من بلاد فارس، والفيروز ولونه ازرق مخضر (Turquoise) من بلاد التبت، واللؤلؤ والمرجان (Carol and Pearl) من المحيط الهندي[lxxxvii]، وقد قدرت تكلفة البناء بتقادير مختلفة، منها ٣١,٧٤٨,٠٢٨ روبية هندية، وهي تعادل ٣,١٧٤,٨٠٢ جنيه استرليني، وثمة تقدير بـ ٣٠ مليون جنيه استرليني[lxxxviii]، ولا نريد ههنا الخوض في تفصيلات، ربما تخرجنا عن اطار البحث، فصرح تاج محل يحتاج إلى دراسات كثيرة، الا اننا اردنا من هذه المعلومات توضيحاً اكثر لما ورد عند الرحالة الفرنسي بيرنير، الذي قصدناه في هذه الدراسة.

وخاتمة الدراسة، ان البحث في مدائن الاسلام كشف حالة التطور والازدهار التي مرت بها عبر مراحل كثيرة، تدعونا إلى قراءة تاريخ مدن زاهرة في الهند الا وهي مدينة دلهي ومدينة اكرا، وهي المدن التي اتخذها المسلمون عبر عصور دولهم المختلفة عواصم لهم، ومن هؤلاء المغول المسلمين، والرحلة التي تعرفنا عليها، والرسالة حول هذه المدن التي قمنا بدراستها، من الاهمية بمكان ما تجعلنا نقف على حقائق تاريخية كثيرة ومعاصرة، كان الرحالة الفرنسي شاهد عليها وعلى تطورها في القرن السابع عشر الميلادي، وهذا يدفعنا إلى استخلاص مجموعة من الاستنتاجات التي جاءت نتيجة دراستنا المتعمقة لرحلة بيرنير:-

اولاً :- تعتبر رحلة الفرنسي بيرنير من الوثائق الهامة التي اطلعتنا على واقع المدينة

الاسلامية في الهند، في فترة حكم المغول، لا سيما انها جاءت في مرحلة انتقال السلطة من الملك شاهجهان إلى الملك اوراتجزيب، والتي

القت بظلالها على متغيرات سياسية واجتماعية وحتى عقائدية كثيرة في حياة المسلمين في الهند.

ثانياً :- الكشف عن ازدهار وتطور كبير لمدينة دلهي ومدينة اكرا، وذلك بالقرن السابع عشر الميلادي، وهي الفترة التي غاب نجم العشرات من المدن الاسلامية في مشرق البلاد الاسلامية ومغربها، ففاقتها دلهي تطوراً في كافة الحقول والمجالات خصوصاً في مضمار العمارة والفن والتعليم والاقتصاد.

ثالثاً :- حرص الرحالة الفرنسي على ارسال مشاهداته لمدن المسلمين في الهند إلى فرنسا، الامر الذي جعله يكشف لهم عن حياة سياسية واقتصادية متطورة تعيشها شبه القارة الهندية في عهد المغول، وهو ما دفع بالفرنسيين تدريجياً إلى الاتصال مع الهند لتحقيق مكاسب تجارية، لا سيما وان اسواق الهند من الاسواق الغنية في العالم.

رابعاً :- كشف لنا بيرنير في رسالته عظمة قلعة دلهي التي بناها الملك شاهجهان، والتي تشكل مدينة شاهجهان آباد الجديدة، لا سيما ما احتوته القلعة من قصور وعمارات رائعة البناء والتصميم، كقصر الحريم والديوان الملكي العام والديوان الملكي الخاص والغسل خانة ومحلات الحرفيون (الكار خانة)، وقاعة الطبول "نكر خانة" والحدائق والممرات، ووصف العرش الملكي، جميعها جاءت لتبين واقع الفن والعمارة المتطورة لدى دولة المغول المسلمين في الهند.

خامساً :- توقف بيرنير في مدينة اكرا للحديث عن تاج محل، كان من ابرز ملامح الرقي الحضاري لدولة المغول في الهند، اذ ان هذا الصرح

العظيم الخالد، ظل عبر القرون صرحاً ماثلاً للناس ببهائه ودقة تصميمه وروعة بناءه، والذي قل نظيره في العالم.

سادساً :-تطور مدرسة الفنون والعمارة، وظهور علوم جديدة ومبتكرة عند المغول المسلمين، كعلم النقوش والزخرفة والرسم والتصميم.

وأخيراً ، نأمل ان نكون قد جئنا بجديد حول مدينة دلهي في القرن السابع عشر الميلادي من خلال دراستنا لرحلة بيرنير ورسالته التي كانت محور البحث والدراسة.

المصادر والهوامش:- **Sources and Footnotes:-**

[i]Sharma, Mughal Empire in India, Agra, PP.152-154, Beni Prasad, History of Jahangir, (Allahabad,1973),P.427
[ii]Saksena, History of Shah Jahan of Delhi, (Allahabad,1973) the introduction, P. xxi
[iii]Saksena, op-at, P. xxi
[iv]Prasad, op-at, P. 433
[v]Saksena, op-at, P. xxiii
[vi]Rekha Mesra, Women in Mughal India, (Allahabad,1967), P. 76
[vii]Saksena, introduction, P. xxix
[viii]Rekha Mesra, op-at, P. 77
[ix]Muhamad Basheer, Judicial System of the Mughal Empire, (Karachi, 1978) P. 31
[x]Saksena, introduction, P. xxix
[xi]Bernier, Travels in the Mughal empire, A.D. 1656-1668, An Chronicle of some the Principle events in the Vincent Smith, P.xx
[xii]Bernier, Travels, Smith revised, P. xx
[xiii]Bernier, Travels, Smith revised, P. xx
[xiv]Ibid, p. xxi
[xv]Bernier, Travels in the Mughal empire, (new Delhi, 1983), P.230.
[xvi]Bernier, op-cit, PP. 300-349
[xvii]Bernier, op-cit, PP. 350-357
[xviii]Bernier, op-cit, PP. 358-382
[xix]Bernier, op-cit, PP. 383-384
[xx]Bernier, op-at, PP. 393-431
[xxi]Bernier, PP. 1-3
[xxii]Bernier, P. 240
[xxiii]Bernier, P. 240
[xxiv]Bernier, P. 241
[xxv]Bernier, PP. 283-284
[xxvi]Bernier, P. 141 انظر، عبد الحي الحسني ، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م، ص ٣٧٥-٣٧٦.
[xxvii] للمزيد حول التعريف بمدينة دلهي الاسلامية، راجع احمد جوارنة، دور الدول الاسلامية في الهند في رعاية وتطور التعليم في مدينة دلهي، مجلة ابحاث اليرموك، المجلد ١٦ العدد ١، آذار ٢٠٠٠م، ص١٦٥-١٨٧.
[xxviii]Cambridge History of India, (Delhi, 1965), Vol. III, P.578.
[xxix]Bernier, Travels, PP. 241-242
[xxx]Bernier, PP. 242
[xxxi]Bernier, P. 243
[xxxii]Fanshawe, H.C, Shah Jahan's Delhi-Past and Present, (Delhi, 1902) 1st Indian reprinted, 1979, PP. 54-55.
[xxxiii]Fanshawe, op-cit, PP. 60-61.
[xxxiv]Fanshawe, op-cit, PP. 61-62.

[xxxv]Bernier, P. 256.
[xxxvi]Fergusson, History of Indian Architecture, editing of 1876..
[xxxvii]Fanshawe, P. 22.
[xxxviii]Fanshawe, P. 17-28.
[xxxix]Bernier, P. 256-257. For details see Keen, H.G. Appendix A. of A handbook for Visitors to Delhi and it's neighborhood, 4th ed. (Calcutta, 1882)
[xl]Bernier, P. 259.
[xli]Bernier, P. 258.
[xlii] الندوي، نزهة الخواطر، ص٢٨٣-٢٨٤
[xliii]Bernier, P. 259-260.
[xliv]Fanshawe, P. 28-29.
[xlv]Tavernier, Travels in India, tr. By V.Ball, (London, 1899) Vol.I, P. 400, (قدر بـ(١٢,٥٠٠,٠٠٠) جنيه)

[xlvi]Bernier, op-cit, PP. 260-270.
[xlvii]Bernier, P. 269.
[xlviii]Tavernier, Vol.I, P. 400.
[xlix]Fanshawe, PP. 34-36.
[l]Fanshawe, PP. 37-38.
[li]Bernier, Travels, PP. 265-267. For more details see Fanshawe, PP. 38-39.
[lii]Abul Fadl- Ain-I- Akbari, Vol.I, P.44
[liii]Manucci, Nicola, Storio Do Mogor (1653-1708) tr. By William Irvine, (London, 1907), Vol. II, P. 330.
[liv]Delaet, J, The Empire of the Great Mogal, tr. By J.S. HoyLand and Banerji, (Bombay, 1928), PP.37-39.
[lv]De laet, P. 40.
[lvi]Fitch, Ralph, England's Pioneer to India and Burma, Ed. by J-Horton, (London, 1899) PP.126-165
[lvii]Rekha Misra, PP. 76-78.
[lviii]Bernier, P. 267.
[lix]Bernier, P. 272.
[lx]Bernier, PP. 273-274
[lxi]Abdal Hai, India During Muslim Rule, (Lucknow, India, 1977), P.155
[lxii]Fanshawe, P.39.
[lxiii]Abdul Hai, P.161.
[lxiv]Saksena, op-cit, P.164.
[lxv]Bernier, PP. 278-279.
[lxvi]Bernier, P. 280.
[lxvii]Fanshawe, P. 46.
[lxviii]Fanshawe, P. 46.
[lxix]Bernier, P. 281.
[lxx]Bernier, P. 282.
[lxxi]Bernier, PP. 276-278.
[lxxii]Bernier, PP. 286-287.
[lxxiii]Bernier, PP. 287-288.

[lxxiv]Beni, Prasad, op-cit, P.37, for more details about Jahangir's Relations, with christians, See, S.R. Sharma, Religious policy of the mughal Emperors. (Lahore, 1975) PP. 74-76.
[lxxv]Bernier, P. 292.
[lxxvi]Bernier, PP. 293-294.
[lxxvii]Bernier, P. 295.
[lxxviii]Bernier, P. 298.
[lxxix]Peter Mundy, Travels of Peter Mundy, vol.II, (ed. R.C. Temple,1914) PP.212-213.
[lxxx]Travels in India, PP .90-91.
[lxxxi]Storia do Mogor, vol.I, PP. 183, 360
[lxxxii]R.Nath, Imperial Firmans Relating to the construction of the Taj Mahal mentioned on the "Muslims in India a miscellany, Vol.III, Ed by IRFAN HABIB Lahore, N.D.) P.158
[lxxxiii] عبد الحي، نزهة الخواطر، ص ٨٧
[lxxxiv]Saksena, op-cit, PP. 264-265.
[lxxxv]Grewal, B, Taj Mahal, (London, 1986) P.11
[lxxxvi]Nath, ImperialFirmans, PP.163-166.
[lxxxvii]Nath, op-cit, P.166, See also Grewal, Taj Mahal, PP. 11-12. For more details see, Fergusson,. History of Indian Architecture, 2ed.ed. 1910 and, John Lall, Taj Mahal and the glory of Mughal Agra, 1982, Lustre Press and, Carrol, D, The Taj Mahal, 1972, new York, see also, Brown, P., Indian architecture, Islamic Period, (Bombay, 1956).
[lxxxviii]Grewal, Taj Mahal, P.10.